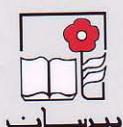


علي بن إبراهيم النملة

كُنه الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات



كتاب الاستشراق:
المفهوم - الأهداف - الارتباطات



(ج) علي بن إبراهيم الحمد النملة، ١٤٣٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النملة، علي بن إبراهيم الحمد.

كته الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات - ط٢٠. - الرياض ٥١٤٣٢

٢٠٢ سم × ٢١ سم × ١٤ سم

ردمك: ٦٠٣ - ٧١٢١ - ٠٠ - ٩٧٨

١- الاستشراق والمستشارون أ. العنوان

دبوسي ٢٩٥،٣٠١ ١٤٣٢/٣٣٠٥

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٣٣٠٥

ردمك: ٦٠٣ - ٧١٢١ - ٠٠ - ٩٧٨

الطبعة الثالثة
م ٢٠١١ / هـ ١٤٣٢



موسوعة الدراسات الاستشرافية
(١)

كتاب الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات

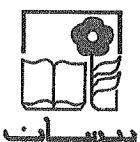
علي بن إبراهيم الحمد النملة

أستاذ المكتبات والمعلومات

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الثالثة

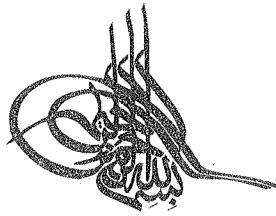
٢٠١١ / ١٤٣٣ م



- اسم الكتاب، كنه الاستشراق، المفهوم - الأهداف - الارتباطات
- تأليف: علي بن إبراهيم الحمد النملة
- الطبعة الثالثة، تشرين أول (أكتوبر) 2011م
- جميع الحقوق محفوظة © بيسان للنشر والتوزيع والإعلام
- لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو احتزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء أكانت «الكترونية»، أم «ميكانيكية»، أم بالتصوير، أم بالتسجيل أم خلاف ذلك. إلا بموافقة كتابية من الناشر وconditionally.

• الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام
ص. ب: 5261 - 13 بيروت - لبنان
تلفاكس: 961 - 1 - 351291
E-mail: info@bissan-bookshop.com
Website: www.bissan-bookshop.com





المقدمة

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه
ومن والاه، وبعد؟

فقد تعرّفت على الاستشراق في بدايات الاطّلاع الجادُ
والتكوين الثقافي، وكان المدخل العلمي عن طريق دراسة
الأدب الجاهلي وما فيه من نظرية الانتهال، ثم عن طريق مادة
الثقافة الإسلامية بكليات جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية. واستمرَّ الاطّلاع الجادُ لمجرد الثقافة والعلم بالشيء.

ويشاء الله تعالى لي أنْ أعمل سنة ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ
الموافق ١٩٨٥ - ١٩٨٦م في معهد تاريخ العلوم الإسلامية
والعربية بفرانكفورت بألمانيا الذي يديره الأستاذ الدكتور محمد
فؤاد سزكين، والتقييت فيه بعض المستشرقين المنكبين على
البحث والإنتاج. ودفعني الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين إلى المزيد
من الاطّلاع والمعرفة، كما دفعني إلى دراسة اللغة الألمانية

دراسةً منهجيةً، وقد فتح لي مكتبه المتنقلة بعنایة، وكلّفني بقراءة الكتب والمقالات باللغة الألمانية، ومن بينها المجلّدات التسعة التي أنهى في حينه تأليفها، ثم فتح لي مكتبه للنقاش والحووار، فكان له على أثر يذكر ولا ينكر.

ثم عملت في الملحقية الثقافية السعودية بواشنطن، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م تحت إدارة الملحق الثقافي معالي الدكتور حمد بن إبراهيم السلوم - رحمة الله تعالى - الذي كان له هو الآخر أثر علىي في تشجيعي على مزيد من الاتصال بالمستشرقين في الولايات المتحدة الأمريكية. وتعاونت الملحقية الثقافية السعودية مع بعض المؤسسات المهتمة بالعرب وال المسلمين في التعريف بالإسلام من خلال أستاذين مهتممين بالعرب وال المسلمين، أولهما د. رالف برابتي والآخر د. جورج نافه (نافع)، وكنت من أسهم بهذه بجهد المقلل من خلال المحاضرات واللقاءات في المدارس الثانوية وغيرها، والتقيّت بعض المهتمين بالبلاد العربية بخاصة، وبالإسلام بعامة، ولكنني لم أصّفهم من المستشرقين.

في هذه الأثناء بربت عندي فكرة رصد ما كُتب عن الاستشراق والمستشرقين باللغة العربية، وقد وجدتني أنكبّ على المنشور وأتوسّع في القراءة. وكان من نتيجة هذا التوسيع وقوعي على قواسم مشتركة تتحدد عن التعريف والنشأة والأهداف والدّوافع وال العلاقات. وكانت العلاقات مبثوثة، العيد

فبدأت مع استمراري في رصد المكتوب الكتابة، عن العلاقات والارتباطات بين الاستشراق والتيارات الأخرى، ثم رجعت إلى الكتابة عن التعريف والنشأة والأهداف والد الواقع. ولم أجد أنني أسهّم بشيء سوى عرض شبه شامل لما كُتب عن هذه الجوانب الأربع، حاصراً مراجعه فيها على العربية وقليل من المراجع الأجنبية. وبذا أنها انتهت إلى أنها عرض أقحمت نفسي فيه بالرأي والتعليق وإبداء وجهة النظر، بشكل غير مطرد ولا مباشر.

ورغبت في التوسيع في العرض، فوجدت نفسي مضطراً إلى شيء من التكرار الذي يفرضه الحديث عن جانب من الجوانب. ووجدت أنَّ الحديث عن بعض الجزئيات يحتاج إلى مزيد بسط للنشأة، فعمدت إلى الحديث عن النشأة والمفهوم والد الواقع والأهداف. بل وجدتني مضطراً قبل ذلك إلى فصل الد الواقع عن الأهداف وسُوِّغت هذا الفصل، وإنْ ظلَّ اللبس - فيما يبدو - قائماً.

تظل ظاهرة الاستشراق موضوع جدل وبحث، وإنني أكاد أخرج بمشروع يؤدي إلى نتيجة عامة هي أنَّ الاستشراق لم ينل حظه من البحث العلمي المتجرد، بل تدخلت عوامل أخرى عند الحديث عنه في الغالب. وأثُرُهم من أنصف المستشرقيين، ومن تجحّي عليهم هو أيضاً متهم. ويصدق على هذه الظاهرة فيما يبدو القول المأثور من بيت شعر: «وليلي عليك ووليكي



منك يا رجُلُّ»، فهناك شعور بالرغبة في البحث في العلوم الإسلامية من قبل غير المسلمين، وفي الوقت نفسه هناك إلحاح أنَّ الباحث في العلوم العربية والإسلامية ينبغي أن يلبس لباس المسلمين عند بحثه عن شؤونهم، وليس هذا بمحاصل لأسباب ثقافية وعلمية على أقلِّ تصور - في غالبيها - ومنها الاتساع لهذا الدين.

جاءت القراءات ترجمةً للإسهامات العربية (لغةً) في هذه الظاهرة، ولم أعمد إلى حذف رأي رأيت فيه عدم موافقة لهوَى في النفس، ولم أصرّ على إثبات رأي رأيت فيه الموافقة للهوَى في النفس بعيدًا عن تطبيق المنهج، متبعًا في هذا المنهج العلميَّ المؤَصَّل الذي عبرَ عنه الإمام الحافظ عبد الرحمن بن مهدي - رحمة الله تعالى - وهو من كبار أئمَّة الحديث الثقات، ت ١٩٨ هـ/٨١٣ م في قوله: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلاً ما لهم». ^(١)

مما يعين على قرب هذه القراءات من القبول إنها عُرضت أكثر من مرَّة على علماء متخصصين لهم باعٌ طويلاً في دراسة الظاهرة، فقد عُرضت عليهم عندما عمدت إلى نشرها مفرقةً في

(١) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم / تحقيق وتعليق ناصر بن عبدالكريم العقل ... ط ٧. - الرياض: المحقق، ١٤١٩ هـ/١٩٩٩ م - .



أكثر من دورية ومجلة ممحّكة، ثم عُرضت وهي في صورتها النهائية في الطبعة الأولى من الكتاب عن طريق مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية. وقد أفادت كثيراً جدّاً من هؤلاء الأعلام الأفاضل، واعتمدت على ملحوظاتهم - بعد اعتمادي على الله تعالى - التي كان لها أثراً واضح في الحدّ من الاندفاع العاطفي، الذي كان صدّى لبعض الكتابات في عموميات الاستشراق وخطره على الثقافة الإسلامية، على اعتبار أنه تيار من التيارات الهدامة عند البعض. وأدين بهذا التروي في الحكم على الاستشراق لهؤلاء العلماء والباحثين الكرام، فلهم مني جزيل الشكر.

والشكر كذلك موجّه إلى أولئك الذين أعادوني على القيام بهذا العمل، وشجّعني عليه من الزملاء والأساتذة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وغيرها من المؤسسات العلمية كالمجلّات والدوريات والمراکز الصيفية وغيرها، وكان هذا العمل قد نشره بدءاً في طبعته الأولى سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، على أنه القسم الأوّل من محاولة لرصد ورافي «بليوجرافيا» لما كتب عن الاستشراق باللغة العربية، وأضفت إليه وعدها في يسيراً، واستأذنت أمانة المركز في أنْ يُستل القسم الأوّل من الكتاب لينشر؛ رغبةً في تعميم الفائدة والنفع - بإذن الله تعالى - وهذا هو المؤمّل من نشره، مع ما أضيف إليه من أعمال تلت الطبعة



الأولى، مما لا يحتمل نشره في كتاب مستقل. وعليه يأتي هذا الكتاب تطويراً للقسم الأول من ذلك الكتاب.^(١)

وقد أجريت في هذه الطبعة شيئاً من التعديل عكس مدى ما وصلت إليه في فهم الاستشراق، بعد الرحلة التي واصلتها في دراسته، منذ أن تم إعداد الكتاب إلى أن تم تعديل القسم الأول منه مررتين، واقتضى هذا مبني شيئاً من التصرف في الأفكار التي كنت قد طرحتها حينئذ، مدعياً أنه كلما تمعن الباحث في دراسة الاستشراق والإحاطة به من وجه أو من وجه، دون الادعاء بالإحاطة التامة، زادت نظرته الموضوعية له، وزاد وضوح هذه الظاهرة له، ومن ثم زاد حكمه في الحكم عليه على أنه ظاهرة، والحكم على أربابه على أنهם علماؤه.

ثم بعد أن شارت الطبعة الثانية على النقاد أعدت النظر في الكتاب لطبعه طبعة ثالثة، لا تكون إعادة طباعة، وإنما تكون طبعة مختلفة عن الطبعتين الأولى والثانية، وقد اخترت لهذه الطبعة عنوان كُنه الاستشراق: قراءات في المفهوم والارتباطات. وهو العنوان الذي اختerte للطبعة الأولى، إلا أنه لم يُرُق لأحد المحكمين فاقتصر تغييره.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظارات وحصر ورقي للمكتوب -. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ... ٣٧٠ ص.



على أنَّ هذه خطوة تنتها - بحمد الله - خطوات في سبيل الوصول إلى كنه الاستشراق، وفي محاولة لشمولية النظرة، وتتبع الروابط وال العلاقات بين هذه الظاهرة والظواهر الأخرى، التي كان لها أثر بارز في الوضع الفكري والتربوي والعلمي الذي تعشه البلاد العربية والإسلامية اليوم، فظهرت إسهامات عدَّة حول العلاقات الثقافية بين الأمم، لا تكاد تخلو من ذكر الاستشراق بصفته مؤثِّراً قوياً من مؤثِّرات العلاقة بين المسلمين في الشرق والغربيين. هذا بالإضافة إلى سعي الباحث إلى رصد ما نُشر باللغة العربية حول الاستشراق، حيث جاء هذا الرصد في خمسة موضوعات في خمسة كتب سيأتي ذكر لها في هؤامش هذا الكتاب. وكان الله في عون الجميع.

علي بن إبراهيم الحمد النملة
الرياض (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)

الباب الأول

الاستشراق:
المفهوم والنشأة والدّوافع والأهداف



الثواب

الاستشراق مفهوم غير واضح المعالم لدى كثير من المفكّرين العرب وال المسلمين. وتعتمد قوّة الحديث عنه على منطلقات المتحدّث الفكرية. ونجد في هذا الصدد أنَّ المنطلقات الفكرية متعدّدة متفاوتة. فهناك من ينظر إلى هذا المفهوم نظرة الإعجاب التي تصل أحياناً إلى الانبهار. وهناك النّظرة الرافضة لكل ما يأتي عن هذا المفهوم، مهما اصطُنِع بالصبغة العلمية، إلى درجة التشكيك في اهتداء من اهتدى من أصحاب هذا المفهوم، لا سيّما بعض من المستشرقين قد ظاهروا بالاهتداء، ربّما قصدًا إلى تحقيق أغراض غير علمية على أحواف الأحكام.^(١) وهناك النّظرة الفكرية التي وقفت

(١) انظر: أغسطس رالي. مسيحيون في مكة/ ترجمة رمزي بدر... لندن: دار الوراق، ٢٠٠٧.. ٢٥٦ ص. وانظر إلى الكتاب بصيغة أخرى: أغسطس رالي. مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى/ نقله إلى العربية حسن سعيد=

موقف المتأمل، فلم تتبهر ولم ترفض، وأخضعت نتاج هذا المفهوم لأحكام علمية خالصة فرفضت وقبلت.^(١)

ليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق، بحيث يمكن معه إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها، لها قياداتها وأطْرُها ونظرياتها ومقوماتها. ومع الاتجاه الذي تميله الكلمة، إلا أنَّ هناك خلطاً واضحاً في الإنتاج الفكري العربي الذي حاول تحديد المفهوم. «ولعل السبب الرئيس في ذلك يعود بدرجة أولى إلى غموض المصطلح الذي خُصَّ به هذا الميدان، فهو على قدر من الشمول، بحيث إنه يدلُّ على كلِّ شيء، ولا يكاد يدلُّ على شيء بعينه، ففيه يُحشر علم الآثار والأدب، ويقرن علم الاجتماع بالإسلاميات، ثم تجتمع هذه الاختصاصات وغيرها تحت عنوانه الواحد دون مراعاة لما بينها من فروق نوعية، واختلافات جوهرية».^(٢)

كما أنه ليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق،

= غزالة وراجعه وعلق عليه محمد محمود السرياني ومراجع نواب مربزا...
الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٠ هـ - ٢٠١١ م - ٣١٤ ص. ويبدو أنَّ هذه الترجمة أوسع من الأخرى لما حوتها من تعليقات مفيدة جاءت من أهل مكَّة المكرَّمة. وأهل مكَّة أدرى بشعابها.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مصادر الاستشراق والمستشريين ومصادرتهم... بيروت: مكتبة بيisan، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م - ٢٦٢ ص.

(٢) انظر: محمد الصبحي العلاني. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي القديم: ريجيس بلاشير إنمودجاً... تونس: المؤلف، ١٩٩٨ م - ٢٣ - ٢٤ ص.

بحيث يستطيع الباحث أو المطلع أو المتوسّع في هذا المجال أن يحدّد تاريخاً بعينه، تكون فيه المنطلقات الأولى لاهتمام الاستشراق بعلوم الأمم الأخرى وثقافاتها وعقادتها وأدابها وعاداتها وتقاليدها التي كانت تغطي «الشرق».

وقد تعددت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق إلى أحد عشر رأياً، بعضها يعطي تاريخاً بعينه، وبعض آخر يعطي حقبةً أو عصراً من العصور التي مرّ بها الشرق أو العالم، والبعض الثالث لا يعطي زمناً، وإنما يعتمد على حوادث أو غایيات أراد الاستشراق الوصول إليها، فجعلت هي البدايات.

ولم تكن لمفهوم الاستشراق دوافع واضحةً متميزةً، بحث يمكن تحديدها بدقةً وعزل كلّ دافع عن الآخر، بل جاءت الدوافع من خلال الإنتاج الفكري العربي متداخلة بعضها مع بعض، بحث يخرج المطلع أحياناً في حال هي أكثر غموضاً من ذي قبل، فيكون بحاجة إلى المزيد من الإقناع للتسليم بهذه الدوافع كلها، وإن سلم بدافع أو دافعين منها. والمتفق عليه بين بعض الدارسين العرب وغير العرب ابتداءً أنَّ هناك دوافع للاستشراق. ^(١)

(١) انظر: محمد ياسين عربيي. الاستشراق وتغيير العقل التاريخي العربي: نقد العقل التاريخي - ١ - . الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩١م - . ص ١٤٢.



مع غموض المفهوم والد الواقع لم يكن هناك وضوح أيضاً في تحديد الأهداف، بل هناك خلط - أحياناً - بين الد الواقع والأهداف، نظر إليه استناداً إلى اتفاق أسماء الد الواقع مع الأهداف إلى درجة جعلت أحد الكتابين في هذا المجال يصرّح بأنَّ الد الواقع هي الأهداف، في الوقت الذي يجد فيه أنَّ هناك اختلافاً دقيقاً بين الد الواقع والأهداف، فالد الواقع منطلقات، والأهداف غايات، وقد لا تصل قوَّة الاندفاع إلى الغاية ذاتها المقابلة لهذا الاندفاع، بل قد تصل إلى غاية مناقضة للد الواقع أو معايرة له، وقد يقف المتدفع وسط الطريق فلا يصل إلى الغاية، فينصرف إلى شأن آخر دون أن يصل للهدف، هذا مع ملاحظة القدرة على رسم الد الواقع والانطلاق منها والصعوبة من ثمَّ في الوصول إلى الأهداف المرسومة، فالبلدء ممكن ولكن الوصول غير يسير.

ويعبّاني الإنتاج الفكري العربي في مجال الاستشراق في مجلمه من ضعف الموضوعية والتجرُّد في معالجة هذا المفهوم. ويزير هذا أحياناً في عناوين الكتب والمقالات المنشورة، ناهيك عن الدخول في المعالجات. هذا عدا عن أعمال محدودة حاولت التجرُّد، ولكنها وقعت في محاذير لم تكن قد رسمتها د الواقع لدراستها، أو منطلقاتٍ لها. ولعدم الموضوعية والتجرُّد ما يسوّغه إلى حدٍ ما، ولكنه تسويغ لا يصل إلى الإقناع بالقبول بهذا الموقف غير المتجرُّد. فلقد رأى «الغيورون» على التراث

العربي الإسلامي، وعلى القرآن الكريم، وسُنة الرسول وسيرته عليه السلام أنَّ هناك أقرواماً خاضوا في مصادر الإسلام وفي تراثه، وهم لا يتمنون إليه، ولا تربطهم به علاقة، فقرأوا التراث، ولا حظوا استنتاجات لا تحتملها هذه المصادر، وهذا التراث الإيجابي على الأقل. كما لاحظوا اتباع طريقة البحث عن العيوب ونقاط الضعف في التراث عموماً - وليس في الكتاب والسنة - فبنيت منها أحكام عامة، صُبِغَت بالعلمية فكان الردُّ - أو ردُّ الفعل - قويًا، غلبت عليه العاطفة في مواضع شتَّى، فقد شيئاً من مقومات الإقناع. ولم يتعدَّ المحلية، بحيث يكون مقبولاً من أولئك المستشرقين الذين أسهموا في النبش عن مواطن الضعف في التراث العربي الإسلامي. وسترد في هذا السياق نماذج لهذا.

وأصبحت «الغيرة» دافعاً لأنْ يكتب كثير من المهتمّين عن الاستشراق. ومنهم من غاص في هذا المفهوم وخرج بتائج مقنعة، لأنها مبنية على متابعة ورصد واستشهادات من «أدبيات» المستشرقين، فتخصّص في هذا وأنتج كثيراً من الدراسات. ومنهم من اكتفى بترديد جملة من العبارات يقولها في مناسبات علمية وفكّرية عدّة، بعد أنْ يغيّر من عنوان البحث، أو يضيف إليه شيئاً، أو يحذف منه حسبما يقتضيه المقام. وهذه الفتنة قليلة، ولكنها موجودة مدفوعة بالدافع عن التراث العربي والإسلامي أمام تيارات الغزو الفكري الذي قد يُعدُّ الاستشراق

جزءاً رئيسياً منه. ويحجم الباحث عن ذكر أمثلة من أرباب هذه الفتنة هنا؛ رغبة عن التجريح والتطاول على بعض من اجتهدوا في هذا المجال.

بسبب من هذا نجد هذه العموميات في إطلاق الأحكام لا على أعمال بعينها، بل على المفهوم كله، وعلى المسئمين فيه كلّهم. وليس في هذا دفاعٌ عن مفهوم الاستشراق. فقد كان وما يزال للاستشراق أثره في الانحراف في فهم مقومات الكتاب والسنة والتراث العربي الإسلامي، ولكن هذا الأثر يقابل عادة بموقف التصحيح والتبيان والرد والنقض، بصورة بعيدة ما أمكن عن الأسلوب الداعي في التصدي لتلك الإسهامات، بل هو أسلوب هادئ من أساليب الحوار والتبادل الثقافي، يُبيّن فيه الحق وتجلى الشبهات.

على أيّ حال يدعو الأمر إلى مزيد من التحرّي والدراسة التي قد ثبتت ما ذهبت إليه أو تنبأه، أو تعطيه حجماً مناسباً له. والمهم في هذا المقام هو محاولة الخروج بمفهوم للاستشراق بحدّه من خلاله التعريف والنشأة والدّوافع والأهداف والارتباطات. وهذا ما حاول الباحث القيام به في هذا الكتاب، مع عدم الادّعاء بالإثبات بجديد، بل ربما انطبق الاتهام أعلاه على هذه المحاولة، لا سيما إذا تبيّن من خلال المناقشات الآتية اعتمادها على ما سبق الإسهام به من قبل من تعرّضوا للاستشراق من قريب أو بعيد.

ولعلي بهذا أسمهم في هذا النوع من الحوار الفكرى بروح
المتزمى إلى هذه الثقافة التي تعرّضت لكثير من التشويه والهجوم
من قبل بعض المستشرقين وليس منهم كلهم . وكان الله في عون
الجميع .

* * *

الفصل الأول

المفهوم القلق

التمهيد:

مرَّ أنَّ الاستشراق بالمفهوم الإجرائي الذي شاع بيننا الآن هو تصديٌ علماء غير مسلمين – سواء أكانوا من الشرق أم من الغرب – لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وأدابهم وتقاليد شعوبهم وعاداتهم وأثارهم،^(١) سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض المتوسط أم الجانب الجنوبي منه. سواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية، كالتركية والفارسية والأردية والبشتون وغيرها من اللغات التي تتحدث بها شعوب المسلمين، وكان لها فيها آثار علمية أخضعتها المستشرقون للدراسة والتحليل. ويسمى هذا المفهوم بالمفهوم الإجرائي الذي لا يحيط بالمفهوم الشمولي المتعارف عليه بين

(١) انظر: محمد الأسعد. مستشرقون في علم الآثار: كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ... بيروت: الدار العربية للعلوم، هـ١٤٣١/ م٢٠١٠ م. ٢٤٦ ص.

المستشرقين الأوائل ومن تصدّى للأخذ عنهم أو الوقوف مع إسهاماتهم، والذي يشمل الشرق كله.

وعليه، فإنَّ غير المسلم المستغل بعلوم المسلمين وأدابهم وتراثهم وفنونهم وعاداتهم وتقاليدهم يُعدُّ مستشرقاً، وذلك لأنَّ المعيار هنا هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين من قبل أولئك الذين لا يدينون بالإسلام، فتكون كتاباتهم موضع نظر، وتتخصّص الشيء من الدراسة والتحليل والنقد والأخذ والردّ، وقد تكون ذات هوى، كما مرَّ في قول الإمام الحافظ عبد الرحمن بن مهدي. ومثل هذا التعريف قد لا يقبله بعض علماء المسلمين والعربية. فالأستاذ عمر فروخ لا يُعدُّ العربَ غير المسلمين ممن اشتغلوا بعلوم المسلمين من المستشرقين أمثال الأب لويس شيخو، وفيليب حتى وغيرهما.^(١)

كما أنه تعريف - فيما يبدو - أشمل من تعريفات سبقته، وركَّزَت على أنَّ الاستشراق هو اهتمام علماء الغرب فقط بعلوم المسلمين وتاريخهم ولغاتهم وأدابهم وعلومهم ومعتقداتهم وأساطيرهم. كما حاول أحمد حسن الزيات أنْ يعرِّفه.^(٢) وكذا

(١) انظر: عمر فروخ. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة.. ص ١٢٥ - ١٤٣... في: الإسلام والمستشرقون/ تأليف نخبة من العلماء المسلمين.. جدة: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.. ص ٥١١.

(٢) انظر: أحمد سمايلو فتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.. ط ٢.. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.. ص ٣٨ - ٢١.

الحال مع محمد حسين الصغير،^(١) ومحمد عبدالغنى حسن،^(٢)
وأحمد الإسكندرى،^(٣) و محمود حمدى زقزوق،^(٤) ومالك بن
^(٥) نبى.

ويقرب من هذا التعريف الأشمل تعريف عدنان بن محمد وزان، حيث ينص على أن الاستشراق هو: «مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعني بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامّة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة»،^(٦) فلم يحدّد عدنان بن محمد وزان المنطقة التي

(١) انظر: محمد حسين علي الصغير. المستشرقون والدراسات القرآنية. ط ٢ / بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، هـ١٤٠٦ / ١٩٨٦ . ص ١١ - ١٣ .

(٢) انظر: محمد عبدالغنى حسن. عبدالله فكري . القاهرة: الدار المصرية للطباعة، (د. ت). . ص ٨٩ . (سلسلة أعلام العرب).

(٣) انظر: أحمد الإسكندرى وأخرون. المفصل في تاريخ الأدب العربي . القاهرة: مطبعة مصر، مـ١٩٣٤ . . ص ٤٠٨ .

(٤) انظر: محمود حمدى زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، هـ١٤٠٤ . . ص ١٧ - ١٨ . (سلسلة كتاب الأمة؛ ٥).

(٥) انظر: مالك بن نبى . إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث . بيروت: دار الإرشاد، هـ١٣٨٨ / ١٩٦٩ م . . ص ٥٠ . (سلسلة مفاهيم إسلامية).

(٦) انظر: عدنان محمد وزان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر . مكّة المكرّمة: رابطة العالم الإسلامي ، هـ١٤٠٤ / ١٩٨٤ م . . ص ١٥ . (سلسلة دعوة الحق؛ ٢٤).

تبعد منها هذه الدراسات، ولا المكان الذي يأتي منه هؤلاء الدارسون. إذا فالجانب الجهوي غير معتبر هنا.

ليس القصد من إغفال الجهة أو المكان إدخال العرب وغير المسلمين فحسب، بل إدخال الشرقيين غير المسلمين بشكل عام. وحيث إنَّ المعرفة اليوم انتشرت شرقاً وغرباً بفعل القرية الكونية وتقارُب المسافات، لم يُعد الاهتمام بال المسلمين وعلومهم مقصوراً على علماء الغرب وجامعاتهم ومعاهدهم ومراكز بحوثهم، بل إنَّ الشرق «الأقصى» خطأ خطواتٍ ملحوظة في جامعاته ومراكز بحوثه نحو دراسة المسلمين وعلومهم وأدابهم وعاداتهم وتقاليدهم، بل وأساطيرهم. ولا بدَّ أنَّ هناك مستشرقين من اليابان وكوريا والصين والهند ودول جنوب آسيا الأخرى وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. ^(١)

ولا بأس من القول هنا إنَّ علماء الغرب مقارنةً بغيرهم من العلماء غير المسلمين كانوا هم السباقين إلى دراسة علوم المسلمين وما يتعلَّق بهم ورسم المنهجية التي يقوم عليها البحث في الشأن الإسلامي في أطواره التاريخية المتعاقبة، كما يشير إلى ذلك تاريخ الاستشراق ونشأته.

ولا بأس من القول أيضاً بأنَّ المستشرقين من غير الغربيين ربما يكونون عالة على المستشرقين الغربيين، حين تلملذوا

(١) انظر: علاء يُومي. الاستشراق الأسود: الأصول والإشكاليات.



عليهم أو قرأوا إنتاجهم الفكري، أو تبئوا منه جهم في البحث، أو حاولوا تحقيق بعض أغراضهم التي سعى الغربيون إلى تحقيقها من خلال دراساتهم ونشاطاتهم في هذا المجال. إلا أنَّ المستشرقين من غير الغربيين قد يكونون أكثر إقبالاً على الموضوعية في دراسة علوم المسلمين وما يتعلَّق بهم، لأسباب عدَّة؛ منها:

- ١ - أنَّ المستشرقين من غير الغربيين قد لا يملكون الجذور التاريخية التي دفعت إلى الاستشراق. وإنْ كنا لا نستطيع أنْ نجرِّد بعض المستشرقين الشرقيين من هذه الجذور.
- ٢ - أنَّ المستشرقين من غير الغربيين قد ظهروا في وقت بدأ به المسلمون حركةً فكريةً قويةً، كان لها أثر في نشر التراث وترجمة شيء منه إلى لغات أخرى غير العربية، لا سيما الألمانية ثم الإنجليزية، اللغة الشائعة في معاهد العلماليوم. (١)

فتات المستشرقين :

ولذا نجد أنَّ هناك من يصنف المستشرقين على فئتين: فئة تستحقُ التقدير والاحترام؛ لما لها من المأثر في نشر العلم

(١) انظر: عبد العظيم الدبيـ. المستشرقون والتراـث. — المحرق (البحرين): مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ مـ . . ص ٧ - ١٤



والثقافة، وتسهيل الوصول إلى مؤلفات وأعمال ودراسات بادروا إلى حفظها وتحقيقها ودرسها وفهرستها ونشرها.

وفئة أخرى، ومعظمهم من اليهود أو من يتعاطف معهم، درسوا الإسلام وعلومه قصدًا إلى محاربته وإنكار أصلاته وأثره في تفكير المؤلفين الأوروبيين وفي المنجزات الفكرية الحضارية.^(١)

وهذا تقسيم سريع لفئات المستشرقين أُريد منه التوكيد على التأثير اليهودي في الفئة الأخرى للاستشراق. والحق أنَّ المستشرقين طوائف عدَّة إذا نظرنا إليهم بعيدًا عن جنسياتهم وخلفياتهم الثقافية. فمنهم فئة لم تملك ناصية اللغة فأخطأت في نشر الكتب وفي فهم النصوص، ومنهم فئة آثرت في دراساتها مآرب السياسة والتعصب للدين، فوجَّهت الحقائق وفسَّرَتها بما يوافق أغراضها أو ما تسعى إليه. ومنهم فئة أوتيت الكثير من سعة العلم والتمكن من العربية والإخلاص للبحث والتحرُّر والإنصاف.^(٢) وربما كثر اليهود في الصنفين الأولين هنا.

ومثل هذا أُنْ يُقال عنهم: إنَّهم فئات متعددة حسب الميل والأهواء. فالفئة ذات المآرب السياسية هي الفئة التي يمكن أن

(١) انظر: محمد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم... مرجع سابق... ص ٩٣ - ٩٤.

(٢) انظر: صلاح الدين المنجِّد. المتنقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية... مرجع سابق... ص ٥ - ج ٣.

يقال عنها إنها الفئة المتعصبة للغرب وطينًا وجنسياً. وهناك فئة المستشرين الماديين الملحدين الذين يدعون إلى هدم المجتمعات القائمة، ويؤكّدون أنَّ الأديان تقف عقبة في طريق الإصلاح الاجتماعي. وهناك فئة المؤمنين المحترفين سماسراً للتنصير يتَّخذون من تشويه الإسلام صناعة لهم يستدرُّون بها الرزق. وهناك طائفة المغرمين بالأساطير والخرافات والخيال ينقلون عن المجتمع العربي المسلم صوراً علقت في أذهانهم عندما قرأوا «ألف ليلة وليلة». ^(١)

وهناك فئة الصهابية، وهي أخطر الفئات على الإطلاق، لما يتوافر لها من الإمكانيات المادية والوسائل الدعائية والإعلامية ودور النشر وغيرها. ^(٢) وهناك فئة المحتلين التي تبحث الآن عن مجالات أخرى تخدم فيها الاحتلال بعد أن شهدت انحساره عن أرض العرب والمسلمين والأراضي الأخرى.

والمستشارون من حيث اهتماماتهم فئات أيضًا:

١ - وهناك فئة عنيت بالقرآن الكريم وعلومه. ^(٣)

(١) انظر: آرثر آربرى. المستشارون البريطانيون / ترجمة محمد الدسوقي النويهي... لندن: مطبعة ولIAM كولنز ١٩٤٦م.

(٢) انظر: عباس محمود العقاد. ما يقال عن الإسلام... القاهرة: دار الهلال، ١٩٦٦هـ/١٣٨٦م... ص ٩ - ١٨... (سلسلة كتاب الهلال؛ ١٨٩).

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. المستشارون والقرآن الكريم في المراجع العربية... بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م... ص ٢٦٩.



- (١) ٢ - وهناك فئة اهتمَت بسيرة الرسول ﷺ.
- (٢) ٣ - وهناك فئة عنيت بالسنة والحديث.
- (٣) ٤ - وهناك فئة ركَّزت على الفرق الإسلامية.
- (٤) ٥ - وهناك فئة عنيت بالأحكام الإسلامية.
- (٥) ٦ - وهناك فئة اهتمَت بالفتوح الإسلامية.
- ٧ - وهناك فئة ركَّزت على الولاة والأمراء وحكَّام الأمصار والخلفاء في الدول الإسلامية.
- ٨ - وهناك فئة درست الحضارة الإسلامية وما لها من تأثير وما عليها من تأثير.
- ٩ - وهناك فئة تخصصت في الآداب العربية.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. المستشركون والستة والسيرة في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م - ١٥٧ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. المستشركون والستة والسيرة في المراجع العربية. - المرجع السابق - ١٥٧ ص.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق والإسلام في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م - ٢٢٤ ص.

(٤) انظر: علي بن إبراهيم النملة. نقد الاستشراق في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م - ٣٠٣ ص.

(٥) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م - ٢٥٦ ص.

(٦) انظر: محمد عبد الفتاح علَيَّان. أصوات على الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ٥٧ - ٥٣.

- ١٠ - وهناك فئة اهتممت بالفن الإسلامي .
- ١١ - وفئة أخرى اتجهت إلى العلوم عند المسلمين .^(١)

وهكذا تتعدد الفئات حسب الاهتمامات ، ويدخل اليهود المستشرقون في هذه الفئات جميعها محاولين عدم التمييز عن غيرهم من المستشرقين ، بل ربما تعمّلوا إخفاء الخلطية العرقية التي يعودون إليها ، واكتفوا بأنهم مستشرقون إنجليز أو فرنسيون أو ألمان أو هولنديون أو أمريكيون .. الخ «وهكذا لم يُرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشرافية بوصفهم مستشرقين يهوداً ، حتى لا يعزلوا أنفسهم فيقلّ تأثيرهم .. وبذلك كسبوا مررتين : كسبوا أولاً فرض أنفسهم على الحركة الاستشرافية كلها ، وكسبوا ثانياً تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام ، وهي أهدف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى» .^(٢)

وعلى أيّ حال فإنّ تقسيم المستشرقين إلى فئات ، واختلاف الفئات ، يحتاج إلى دراسة مستقلة .

وكان من آثار هذه الحركة الفكرية وجود علماء مسلمين في الشرق والغرب هم أقلّ خطراً على الإسلام من المستشرقين ،

(١) انظر : علي بن إبراهيم النملة . الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية . - مرجع سابق . - ٢٥٦ ص .

(٢) انظر : محمود حمدي زقزوق . الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . - مرجع سابق . - وتقسيم المستشرقين إلى فئات ، واختلاف الفئات ، يحتاج إلى دراسة مستقلة .

وإن كان بعض المعينين يرى أنهم أكبر خطرًا من المستشرين،
إذا ما عُدّ هؤلاء من تلاميذ المستشرين.

وليس بالضرورة أن يكون وجود هؤلاء العلماء المسلمين في الشرق والغرب مدعأً لأن يوصموا بأنهم أصبحوا تلاميذ للمستشرين،^(١) بل إنَّ النظرة العلمية تتحمّل علينا عدم وسم بعض تلاميذهـم ممن تخرّجوا على أيديهم بأنهم أصبحوا ممثّلين لهم. ويحضرني هنا مثال طالب مسلم كفيف تلمذ على مستشرق ألماني، وكتب رسالته للماجستير عن أمّهات المؤمنين - رضوان الله تعالى عليهن -. وكانت كتابته منصفة دعت أستاده إلى عدم الترحيب به تلميذًا له في مرحلة الدكتوراه، لأنَّ بحثه للماجستير لم يناسب ما يرمي إليه هذا المستشرق في أمّهات المؤمنين. وقد يُعدُّ البعض هذه الواقعـة دليلاً على أنَّ تلاميذ المستشرين «المرضي عنـهم» أشدُّ خطرًا من المستشرين أنفسـهم. وليس في هذا نفيًّا لهذا، ولكنـها المحاولة لاجتناب التعميم.

(١) انظر: علي محمد جريشة ومحمد شريف الزييق. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي. - القاهرة: دار الاعتصام، (١٩٧٨). - ص ٢٢ - ٢٤.

(٢) انظر: فاروق محمد الزيات. أمّهات المؤمنين. - ميونخ: شركة بفاريا للنشر والإعلام، (١٤٠٣/١٩٨٢م). - ص ١٠٩. وقد قابلت الأستاذ فاروق الزيات أكثر من مرة في ألمانيا وناقشهـ حول هذا الموقف فأيدـ لي وقدمـ لي من الحجـج ما يجعلـني أثبتـ هذهـ الحادـةـ هنا.

٣. أنَّ الطابع العام للاستشراق في الآونة الأخيرة بدأ يميل إلى الموضوعية بقدر أكبر مما كان عليه من قبل، ويدلُّنا نستقبل دراساتٍ يصعب على القارئ المتخصص الخروج منها بغير الموضوعية، ما عدا بعض الأخطاء الشائعة التي توارثها المستشرقون وما استطاعوا التخلص منها، مثل مواقفهم من الفن «الإسلامي» والتصوف والفلسفة «الإسلامية». وهم يطردون هذه الفنون على أنها من ثقافة المسلمين وجزء من حضارتهم. وهذا ناتج قطعاً عن عدم القدرة على التوسيع في الأحكام الشرعية في الإسلام تجاه بعض التصرفات والسلوكيات التي استحدثت وابتُدعت في حياة المسلمين في مدة المد والرخاء والركون إلى المتعة، مما كان سبباً في ضياع رقة غير يسيرة من بلاد كان يحكم بها الإسلام، والحكم على الشيء فرع عن تصوُّره.

ولعل من الدقة العلمية أنْ نفرق بين الاستشراق والاستعراب. والذي يبدو - هنا - أنَّ الاستعراب ينصب على الاهتمام بالعرب. ولا يمكن الاهتمام بالعرب بعد البعثة المحمدية من دون الاهتمام بالدين الذي نقله العرب إلى بقية العالم. وإذا كان هناك إصرار على الاستعراب فيمكن أنْ ينصب على الاهتمام بحياة العرب قبل الإسلام وحضارتهم وثقافتهم وأدابهم وتقاليدهم وعاداتهم وأساطيرهم ومعتقداتهم قبل الإسلام.

وهذا يعني أنَّ للعرب قبل الإسلام حضارةً وثقافةً وأدبًا



وتقاليد وعادات وأساطير ومعتقدات، بخلاف من يقول إنه لم يكن للعرب حضارة، وأنهم «لم يكونوا أمّة ولا شيئاً مذكوراً إلا بالإسلام». ^(١)

وأود أن أصل إلى أنه متى ما دخل المستعرب في دراسة العرب أثناء بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعدها، فإنه يدخل في مصطلح الاستشراق، ويعتبر من مصطلح الاستعرب. وقد يكون العالم الواحد مستعربياً ومستشرقاً في آن واحد بالنظر إلى اهتماماته. وعليه فإن الاستعرب ليس - على ما يظهر - فرعاً من فروع الاستشراق، كما يريده أحمد سمايلوفتش، ^(٢) وينفيه خوان غويتسيلو. ^(٣)

على أن المستشرقين الأسبان لا يرون أنهم من المستشرقين بهذا المفهوم الإجرائي، بل يفضلون أن يدعوا بالمستعربين؛ لأنهم يبحثون في حقبة كان المسلمون فيها يحكمون الأندلس

(١) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.. - دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.. - ص ٨٩.

(٢) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.. - مرجع سابق.. - ص ٣٤.

(٣) انظر: خوان غويتسيلو. في الاستشراق الإسباني/ تعریب کاظم جهاد.. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.. - ص ١٥٣ - ١٦٣، وانظر كذلك: محمد عبدالواحد العسري. الإسلام في تصويرات الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى آسين بلايثوس.. - الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.. - ص ٤٢٠.

خصوصاً وإسبانيا عموماً. والمستشرقون الأسبان يبحثون تاريخ بلادهم الثقافي والحضاري، فييسوا مستشرقين.^(١) ولذلك نجد من يفرق بين الاستشراق الإسباني والاستعراب الإسباني، فالاستعراب الإسباني - كما يُنقل عن محمود صبح - يهتم بالدراسات العربية الإسلامية، وبخاصة الأندلسية منها، والاستشراق الإسباني يهتم بقضايا الشرق على العموم، وبخاصة قضايا الشرق الأقصى. وهناك تفصيلات أخرى لإطلاق مصطلح المستعرب أو المستعربة، تعود في إطلاق المفهوم إلى القرن الأول والثاني الهجريين، وقد ذكرها محمد عبد الرحمن القاضي في كتابه عن ميغيل آسين بلايثيوس.^(٢) ولأحمد سمايلوفتش تفصيل آخر لمفهوم الاستعرب يحسن الرجوع إليه.^(٣)

وهناك إمكان واحد نستطيع فيه أن نقول إنَّ العالم الباحث في حضارة العرب قبل الإسلام يمكن أن يطلق عليه مستشرق،

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الالتفاف على الاستشراق: محاولة التوصل من المصطلح... الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م... ص ٧١ - ٧٢... (سلسلة الأعمال المحكمة؛ ٩٧).

(٢) انظر: محمد عبد الرحمن القاضي. ميغيل آسين بلايثيوس (MIGUEL ASIN PALACIOS 1871 - 1944) رائد الاستعرب الإسباني المعاصر... الرياض: المجلة العربية، ١٤٣١هـ... ص ٨ - ١١... (سلسلة كتاب المجلة العربية؛ ١٦٧).

(٣) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر... مرجع سابق... ص ٣٢ - ٣٤.

وذلك إذا جعل من دراساته في حضارة العرب قبل الإسلام قاعدةً ينطلق منها للحكم على جزئية مهما صغرت من الإسلام، كما فعل مرجليوث في نظرته حول الاتصال في الشعر العربي في كتابه *أصول الشعر العربي المنشور سنة ١٩٢٥م*^(١)، إذ نظر الناقدون إلى هذه النظرية على أنها لا تمثل العرب قبل الإسلام فحسب، بل إنها تتعرّض لموضوع مهمًّا جداً في حياة المسلمين، يتعلق بعلم الرواية أو الإسناد أو علم الرجال، إذ التشكيك في رواية أشعار العرب قبل الإسلام يصل إلى التشكيك في رواية الأحداث والأحاديث بعد الإسلام، بل وفي نسب الرسول ﷺ.^(٢)

ومع هذا كله فالتفريق بين المفهومين غير دقيق. وعلى أيّ حال فإنَّ هذه المحاولة في التفريق بين التوجُّهين إنما هي جزء من محاولات للخروج من مصطلح الاستشراق الذي تحمل لفظته العربية «من الشحنة العاطفية أكثر من معادلها الأعمامي»^(٣). «Orientalisme».

(١) انظر: شوقي ضيف. *تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي*.. ط ١٢ .. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣م.

(٢) انظر: نذير حمدان. *الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين*.. ط ٢ .. جدَّة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .. ص ١٧٣.

(٣) انظر: ناديا أنجيليسكونو. *الاستشراق والمحوار الثقافي*.. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ١٩٩٩م .. ص ٧٢.

على أنَّ هناك محاولةً للانتقال من الاستشراق إلى مصطلح يكاد يكون جديداً، فيسبب من نظرة مفكري المسلمين للاستشراق وتصديهم بالنقد لما أفرزته الدراسات الاستشرافية صار بعض المستشرقين يعمد إلى الهروب من هذا المصطلح، ويحاول أنْ يلصق نفسه بمصطلح جديد، بدأ يتردد في أوساط المهتمين بال المسلمين وعلومهم وهو علم الإسلاميات وعلماء الإسلاميات.

ومن هؤلاء عالم الإسلاميات المعاصر جون إسبوزيتو الذي رفض في محاضرة ألقاها في السفارة الأمريكية بالرياض أنْ يُدعى من المستشرقين، وفضل أنْ يدخل في حمى علماء الإسلاميات، وقبله رفض أندريله ميكيل هذا التصنيف، إذ ردَ على من اعتبره من المستشرقين بقوله: «أنا لست مستشراً وأرفض هذه الكنية، أنا عربي، سحرني الأدب العربي، فانكبيت عليه بحثاً ودراسة».^(١)

وبعد ميكيل جاءت ناديا أنجيليسكو لتنفي عن نفسها كذلك «تهمة» الاستشراق بقولها: «خلال زيارتي إلى البلدان العربية قدَّمتني الصحف أكثر من مرَّة بـ«المستشرقة الرومانية ناديا أنجيليسكو»، واحتججت أكثر من مرَّة على هذه التسمية. طبعاً

(١) انظر: الاستشراق. - بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، (فبراير ١٩٨٧م). -

. ٢ : ١٩٣ - ١٩٤

كان من أهم الأسباب للاحتجاجي أن شخصية «المستشرق» أصبحت مشوّمة إلى حد ما في الوطن العربي...». (١) وبين ذلك جاء دانيال ريج الذي اعترف بكراهية المسلمين للمصطلح. (٢)

ومجرد الهروب من المصطلح يوحى بأشياء غير قليلة، منها:

- أن هناك نيةً لطرق أبواب الموضوعية في دراسة أحوال المسلمين، لا سيما في الوقت المعاصر الذي ظهر فيه صيت الإسلام في الغرب بطرق غير مناسبة أحياناً كثيرة، ويطرق مناسبة أحياناً قليلة. (٣)
- أنه - على رأي المستشرق دانيال ريج - الذي «رسم في الصفحات الأخيرة من كتابه الإنسان والاستشراق صورةً قائمةً عن واقع الدراسات العربية المكتوبة باللغة الفرنسية، فقد مضى جيل الأسماء اللامعة، ومع رجال أمثال ريجيس بلاشير وهنري لاوست وشارل بيلا،

(١) انظر: ناديا أنجليسكو. الاستشراق والحوار الثقافي.- مرجع سابق.-
ص ١٧ - ١٨.

(٢) انظر: محمد خليفة حسن. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر.- الرياض:
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.- ص ٢٥ - ٢٦.

(٣) انظر: ناديا أنجليسكو. الاستشراق والحوار الثقافي.- مرجع سابق.-
ص ٢٦ - ٣٣.

استوفى الاستشراق التقليدي في مجال الدراسات العربية منذ سنوات الخمسين آخر طلقاته، وانكفاء الباحثون المتخصصون في العربية ولغتها وأدبها على أعمال بسيطة هي مرجع صدى باهت لما قام به سابقوهم^(١). وعليه فإنَّ الاستشراق بدأ ينزع إلى السطحية، ويميل إلى البعد الإعلامي الصحفى البسيط^(٢).

أن هناك «تكتيكاً» جديداً لا يعدو أن يكون استمراً لفكرة الاستشراق ومنهجه، ولكن مع محاولة تغيير المصطلح طمعاً في القبول وكسباً للوقت، بحيث لا يعرف مفكرو المسلمينحقيقة هذا المصطلح، حتى يكون قد قطع شوطاً غير يسير في تحقيق أهداف الاستشراق، وفي هذا الرأي سيطرة لها جس المؤامرة الذي طغى على تفكير كثير من الأمم، ناهيك عن الأشخاص^(٣).

وقد رسم في الأذهان أنه من الصعب جداً - في الغالب - لغير المسلم أن يتحدَّث عن الإسلام بإيجابية تامة، وإن كانت

(١) انظر: محمد الصبحي العلاني. الاستشرافي الفرنسي والأدب القديم -. مرجع سابق. - ص ٢٠٠

(٢) انظر: حسن عزوzi. ظاهرة الاستشراق الصحفى -. الوعي الإسلامي -. ع ٤٠٣ (ربيع الأول ١٤٢٠ هـ / يونيو - يوليو ١٩٩٩ م) -. ص ٥٨ - ٥٩

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهرين والتهويل -. الرياض: المؤلف، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م -. ص ٢٣٠

هناك محاولات جادةً أنصفت الإسلام وال المسلمين،^(١) ولكنها محاولات محدودة انتهت ببعض أصحابها إلى اعتناق الإسلام. وعلى أيّ حال فقد عالج الباحث فكرة التخلّي عن المصطلح في عمل مستقلٌ بعنوان: الالتفاف على الاستشراق.^(٢)

* * *

(١) انظر: كارين آرمسترونج. التراثات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام / ترجمة محمد الجورا. - دمشق: دار الكلمة، ٢٠٠٥ م. - ٤٢٤ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الالتفاف على الاستشراق. - مرجع سابق. - ١٨٢ ص.

الفصل الثاني

النشأة والتاريخ

التمهيد:

الذين يبحثون في نشأة الاستشراق يمرون بضعيّة تحديد زمن بعینه يمكن أن يقال عنه إنّ بداية الانطلاق الاستشراقي، ولأنّ هناك شبه إجماع على أنّ أغراض الاستشراق لم تكن موضوعية علمية في مجملها فإنّ نشأة فكرة الاستشراق يمكن أن تكون قد بدأت مع بعثة محمد بن عبد الله سنة ٦١١م، في مكة المكرّمة، فعلم بها «الغرييون» من خلال الوفود التي بعثها الرسول ﷺ، فمثلت أمّاً م Cyrus ملك الروم تدعوه إلى الإسلام حاملةً معها كتاب النبي محمد ﷺ الذي يحدّد فيه العلاقة المتواخّة بين الشرق والغرب من خلال الرغبة في اعتناق الإسلام ومناصرته. ^(١)

(١) انظر: عبدالسلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام.. ط ٢ .. القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .. ص ٣٧٥ . وانظر أيضًا:

إذا سمح لهذا الاتجاه بأن يكون منطلق فكرة الاستشراق فعلينا ألا نغفل وفد الرسول ﷺ إلى الحبشة، حيث فتح هذا الوفد للأحباش آفاقاً جديدة للتعرف على الإسلام، بذاتها النجاشي من خلال حواره مع رئيس الوفد جعفر بن أبي طالب رض، فقد سبق هذا الوفد الوفود الأخرى التي انطلقت إلى فارس وبيزنطة، ذلك أنه صاحب هجرة المسلمين من مكة المكرمة إلى الحبشة فراراً بدينه من اضطهاد المشركين لهم في مكة المكرمة. (١)

أمّا إذا وسعنا من فكرة الانطلاق - كما هي الحال عليه في مناقشة المفهوم في الفصل السابق - فإننا نجد أنّ هناك جذوراً للاستشراق في المدينة المنورة ذاتها. يتزعم هذه الجذور عبد الله بن سباء، الذي يُذكر أنه قد عمل على زعزعة المسلمين، ورفع شعارات تحوم حول الأحقية بالخلافة، كانت نتيجتها وجود تيار لا يزال يذهب إلى أنّ أفراداً من الصحابة لم يكونوا أحق

= محمد بن علي بن أحمد بن حدبة الأنصاري (ت ٥٧٨هـ). المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي رض إلى ملوك الأرض من عربي وجمي / علق عليها ووضع حواشيها أحمد فريد المزیدي.. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.. ٢٢٧ ص. ويليه كتاب إعلام السائلين عن كثب سيد المرسلين ص لمحمد بن علي بن أحمد بن خمارويه بن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي، (ت ٩٥٣هـ).. ٢٢٨ - ٢٧٩ ص.

(١) انظر: عبد السلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام.. مرجع سابق.. ص ٧٢ - ٧٨.



بالخلافة من أفراد آخرين - رضي الله عنهم أجمعين - مما كان سبباً رئيسياً في بروز فكرة السبية. (١)

على أن هناك مؤرخين ينفون وجود الاسم في التاريخ الإسلامي وإن وجدت فكرته ومفهومه، وأن روایات وردت عنه في كتب الفرق والأدب غير صحيحة، وأنه شخصية وهمية، وأنه لا أثر له في إحداث الفتنة وأحداثها زمان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. (٢)

يذهب بعض الباحثين إلى أن نشأة الاستشراق يمكن أن ينظر إليها مع بداية الانطلاقـة الإسلامية عن طريق الغزوات والفتحـ. وتعـد غزوـة «مؤـة» في شمال جـزيرـة العـرب الانـطـلـاقـة الحـرـيرـية الأولى للـمـدـ الإسلامـي في السـنة الثـامـنة للـهـجـرة، (٦٢٩ مـيلـاديـ)، هـذـه الانـطـلـاقـة كان يـنـظـرـ إـلـيـها عـلـى أنها تـهـدـيدـ لـلـوـجـوـدـ «غيرـ الإـسـلامـيـ».

وحيـثـ لم تـُجـدـ الكـتـبـ ولاـ الـوـفـودـ، وحيـثـ رـفـضـ بـعـضـ الأـقـوـامـ حـمـاـيـتـهـمـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ وـدـفـعـ الـعـزـيـزـ، كانـ لـاـ بـدـ مـنـ

(١) انظر: عباس محمود العقاد. إسلاميات: عقـرـيةـ عـلـىـ. .ـ القـاهـرـةـ: دـارـ الشـعـبـ، ١٣٨٩ـهـ ١٩٦٩ـمـ. .ـ صـ ٣٧ـ .ـ ٤٧ـ .ـ

(٢) انظر: عبد العزيز الهلبي. عبدالله بن سبأ: دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة. .ـ الكويتـ: جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، حلوليات كلية الآداب، ١٩٨٧ـمـ. .ـ وانظر الطبعة الثانية من هذا العمل. .ـ لندنـ: صحـارـيـ، ١٩٨٩ـمـ. .ـ ٩٤ـ صـ .ـ

الخيار الثالث، وهو الجهاد في سبيل الله. وكان لا بدًّ للآخرين أنْ يجاهوا هذا المدّ الإسلامي، ويصرُّوا على رفض الخيارات الأوليَّن: الإسلام أو الجزية. والمجابهة لا تقتصر على الجنود والسلاح والواقع والتزال، ولكن جانبًا علميًّا وفكريًّا صاحب الحرب وكان ملازمًا لها؛ إذ اضطررتُ «الحكومات» أنْ تعرَّف على هذا القادر الجديد،^(١) وأنْ تعطي عنه صورًا تشجع على قتاله والوقوف في وجهه، لا سيما أنَّ الوصول إلى «مؤته» يعني الوصول إلى «بيت المقدس». والوصول إلى «بيت المقدس» - في زعمهم - يؤثُّر في فكرة «الحجّ» عند النصارى^(٢) إلى «بيت المقدس»، فكان هناك تخوُّف فكري وطائفي من أنْ تمتدَّ حضارة الإنسان من خلال الإسلام، فكان لا بدًّ من المواجهة.^(٣)

الأندلس وصقلية:

وفي العصر الأُموي كانت هناك صلات بين الشرق

(١) انظر: قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتراضية. - الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م - ص ١٩.

(٢) رجحَت التعبير بالنصارى على التعبير بالمسحيين من باب التفضيل استنادًا إلى ذكرهم بالقرآن الكريم. انظر: محمد عثمان بن صالح. النصرانية والنصرى أم المسيحية والتبيير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلائل... المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م - ٦٩ ص.

(٣) يفرق الباحث بين المواجهة والمجابهة، إذ المواجهة بالحجّة والإقناع والبرهان والدليل، والمجابهة تأتي بالقوة والعنف والتصادم.

الإسلامي والغرب الأوروبي، وفي الأندلس وصقلية لم يُعد الشرق الإسلامي شرقاً إسلامياً فقط، فقد دخل الإسلام في الغرب الأوروبي، ودخله بقوّة روحية وماديّة وعلميّة. وظهرت الجامعات والمعاهد ومراكز العلم والمعرفة في الوقت الذي يُقى فيه الإحساس الأوروبي - النصراني الزعامـة - بأنّ هؤلاء القادمين من الشرق لا بدّ أنّ يعودوا إلى الشرق. ولن يعودوا إلا إذا تعلّم الغربيون سرّ وصول هؤلاء الشرقيين إلى الغرب. فدرسوا في مدارسهم وجامعتهم، وكانتبعثات إلى جامعات طليطلة وقرطبة وبلنسية وإشبيلية وغرناطة والميرية وغيرها.^(١) فخرجت في بداياتها معتزّة بما تعلّمته من المسلمين، بما في ذلك الحديث باللغة العربية وتقمّص اللباس العربي والعمامة الشرقية وجعلهما علامة على العلم، مما جعل ألبارو يتحسّر على هذا التحول، في الوقت الذي أريد فيه منهم أن يتّعلّموا علوم المسلمين لدحض الإسلام والردّ عليه.^(٢)

فعاد خريجو هذه الجامعات الإسلامية يخدمون في الأديرة والكنائس، وينشئون المعاهد والمدارس الملحقة بها،

(١) انظر: يوسف أسعد داغر. مصادر الدراسات الأدبية -. بيروت: المطبعة المخلّصية، ١٩٦١م -. ٢: ٧٧٢.

(٢) انظر: محمد عبد الرحمن القاضي. ميغيل آسين بلايس MIGUEL ASIN PALACIOS (1871 - 1944) رائد الاستعراب الإسباني المعاصر -. مرجع سابق -. ص ٩ - ١٠ .



ويدرّسون اللغة العربية وعلوم الإسلام. ثم حملت الكاتدرائيات العباء الأكبر في تعليم اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي عن طريق الأديرة، وذلك منذ القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي. «فذاعت شهرة مدارس (أوبيدو) و(ليون) و(برشلونة) و(سانت باجو)، وقامت مثيلات لها في (باريس) و(أورليان) و(تور)، وفي كبرى مدن إيطاليا وإنجلترا وباجييكا وغيرها». ^(١)

وفي الشرق الإسلامي، وانطلاقاً من الخوف على «بيت المقدس»، أو انطلاقاً من التشتّر وراء الخوف على بيت المقدس من المسلمين، كانت حروب الفرنجة أو الحملات الصليبية - كما يسمّيها الصليبيون أنفسهم - منطلقاً من المنطقات التي يمكن أن يقال عنها إنها أسهمت في نشأة الاستشراق. فكان القادة العسكريون مصححين بعض العلماء الذين درسوا الثقافة الإسلامية والعربية، وكانوا يعملون مستشارين علميين للقادة العسكريين، وعلى أيديهم تم ترحيل مجموعة هائلة من نتاج المسلمين العلمي والفكري (المخطوطات) في شتّي العلوم، لتبقى إلى اليوم في معظمها مخبوعة في شهيرات المكتبات والمتحاف الأوروبية. ^(٢) وكانت مادة «دسمة» للمستشرقين

(١) انظر: نذير حمدان. مستشرقون سياسيون، جامعيون، مجمعيون...
الطايف: مكتبة الصديق، ١٤٠٨/٩١٩٨٨م - ص ١٧.

(٢) انظر: محمد ياسين عرببي. الاستشراق وتقريب العقل التاريخي العربي...
مرجع سابق - ص ١٣١ - ١٦٠.

المتأخرين، فدرسوا وحقّقوا شيئاً منها ونشروا مجموعة لا باس بها منها كذلك.^(١)

تهايد الإسلام:

وبين هذه وتلك يظهر رأي مؤدّاه أنه مع بروز المدّ الإسلامي في الشرق والغرب ظهرت الحاجة إلى الردّ على الإسلام والمسلمين، لا سيّما أنَّ الإسلام هو الدين المكمل للأديان السماوية التي سبقته، وأنه صريح في أنه خاتم الأديان، وأنَّ محمداً ﷺ كان خاتم الرسل، وهو الذي وضع اللِّيَّنة الأخيرة في البناء الديني الذي أسهم فيه إخوه له من قبل. فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مثلَيِّي ومثلَ الأنبياء من قبلي كمثلَ رجلٍ بنى بيَّنا فأحسنه وأجملَه إلَّا موضعَ لِيَّنةٍ من زاوينِه، فجعلَ الناس يطوفونَ به ويعجبونَ له، ويقولونَ: هلاَّ وُضعتْ هذه اللِّيَّنة؟! فقالَ: أنا اللِّيَّنة، وأنا خاتم الأنبياء». رواه البخاري في صحيحه.^(٢)

يؤكّد هذا أنَّ الأديان السماوية السابقة للإسلام قد تعرّضت للإفساد من قبل بعض المستغدين، ومن تلبّسوا بلباس الدين، أو كان لهم تأثير قوي في الكنيسة، فهُبَّ هؤلاء للحدّ من هذا

(١) انظر: أحمد الشريachi . التصوُّف عند المستشرقين .. القاهرة: مطبعة نور الأمل ، ١٩٦٦ م .. ص ٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري .. كتاب المناقب .. باب: ١٨ .

المدّ الذي أصبح يهدّد وجود هؤلاء المستفیدين على الصيغة التي هم عليها، ويهدّد ذوي التأثير القوي في الكنيسة، فيؤكّد أنَّ الإنسان لا يملك أَنْ يغيّر في شيء أُنزَلَهُ اللهُ، فيحذف منه أو يزيد عليه.^(١)

ولا يرجُّ هذا الرأي على تاريخ بعينه، ولكنه لا يملك أَنْ يخفى أنَّ هذا الاتجاه كان مصاحباً لازدهار الإسلام في العصر العباسي على أقوى الاحتمالات.

السامية:

على أنَّ هناك رأياً يقول: إنَّ نشأة الاستشراق تعود إلى البدايات في محاولة تفهُّم العقلية السامية.^(٢) ومصطلح السامية يُطلق اليوم فينصرف الذهن إلى اليهود. واليهود يتعلّقون بالسامية، ويتّهمون كلَّ أو جلَّ من يقف في طريقهم بمعاداته للسامية. حتى أنَّ بعضًا منهم عمد إلى اتهام العرب الساميين بمعاداتهم للسامية!

ومحاولة التعرُّف على العقلية السامية يمكن أنْ ينظر إليها على أنها جزءٌ أسهم في نشأة الاستشراق، إذا نظرنا إلى أنَّ بعض

(١) انظر: علي حسني الخبروطلي.- المستشرقون والتاريخ الإسلامي-- القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-- ص ٢٢.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم العربية للشرق/ ترجمة محمد عناني-- القاهرة: رؤية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م-- ص ٥٦٠.

المستشرقين قد بدأ اهتمامه بالعبرية وتراث اليهود، فوجد شيئاً من العلاقة بين دراسة تراث اليهود ودراسة الإسلام والمسلمين، وربما العرب، فاستمر في دراسة التراث اليهودي والمسلم، أو ربما عزف عن دراسة التراث اليهودي واتّجه إلى دراسة تراث المسلمين. ومن أبرز من اشتهر عنه هذا الاتّجاه المستشرق المجري «إيناس جولدزيهر». ^(١) ولكن «جولدزيهر» متأخر جداً، ولا يمكن الاحتجاج به على أنه يمثل هذا المنطلق.

وعلى أي حال فلا علاقة مباشرةً بين الإسلام والسامية سوى أن الانطلاق الأولى للإسلام كانت على أيدي العرب الساميين، فإن كانت هناك محاولات لفهم العقلية العربية الإسلامية والنفسية العربية الإسلامية فإنها محاولات عاجزة عن الوصول إلى هذا الهدف، والسبب في ذلك ربما يعود إلى تغليب الأهواء والأراء المسبقة. ^(٢)

الاحتلال:

هناك رأي يذهب إلى أن البدايات الحقيقة للاستشراق كانت مزامنة - أو سابقة سبقاً تمهدياً - لحقبة الاحتلال الأوروبي للعالم

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... ج. ٣.. ط. ٥. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م. ٤٠ - ٤٢: ٣..

(٢) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.. مرجع سابق. - ص. ٩٤.

الإسلامي، شرقه وغربه.^(١) وقد احتاج المحتلون إلى المستشرين كثيراً في حقبة الاحتلال، إذ كان رهط من المستشرين يعملون مستشارين في وزارات المخابرات والخارجية والاحتلال في البلاد المحتلة كإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا.^(٢)

وهذا رأي تشهد له الوثائق وتقرّبه الحوادث. ولكنه لا يقف شاهداً على نشأة الاستشراق، فالاستشراق كان موجوداً قبل حقبة الاحتلال، وعلم به المحتلون فقرّبوا المستشرين منهم، وأفادوا منهم كثيراً في رسم استراتيجيات الاحتلال، وصاحب بعض المستشرين المحتلين في غزو البلاد الإسلامية، كما صاحب بعض المستشرين الصليبيين من قبل.

ونستطيع القول إنَّ الاستشراق قد ازدهر كثيراً في حقبة الاحتلال. وزادت رحلات المستشرين إلى العالم الإسلامي،

(١) في سهل تحديد للمفهومات وإعطائها المصطلحات المناسبة لها يرفض الكثيرون إطلاق مصطلح الاستثمار على هذه الحركة، ويفضلون أن يحملُ محتلها مصطلح «الاحتلال» على سبيل التفضيل لا التخطئة لمصطلح الاستثمار. على أنَّ البعض نظراً لقوة رد الفعل لديهم يسمُّون هذه الحركة بالاستعمار. وفي هذا مبالغة يغنى عنها مصطلح الاحتلال؛ لما يكتنف المصطلح من مفهوم يفضي إلى المراد. انظر: علي بن إبراهيم النملة. إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الانحراف في النقل المعاصر للمفهومات. - بيروت: بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ص ٢٤٨.

(٢) انظر: علي إبراهيم الحمد النملة. العلاقة بين الاستشراق والاستعمار. - التوباد... مج ١ ع ٤ (شوال ١٤٠٨هـ / حزيران ١٩٨٨). - ص ٣٨ - ٤٢. (وهي تمثل الفصل الأول من الباب الثاني من هذا الكتاب).

وزادت معها محاولاتهم لنقل ما بقي من تراث المسلمين إلى المكتبات والمتاحف الأوروبية والأمريكية فيما بعد. وقد ذُكر أنَّ هذا النقل قد جاء في مصلحة هذا التراث، من حيث حفظه والعنايةُ به.

الإصلاح :

ورأى آخر ينظر إلى نشأة الاستشراق من حيث ارتباطه المباشر والجدي بحقيقة ما يسمونه بالإصلاح الديني في القرن الحادى عشر الهجرى السادس عشر الميلادى. وفي هذه الملحقة بدأ اتصال الغرب النصرانى بالشرق المسلم اتصالاً اقتصادياً، سواء أكان في كشف موارد الثروة فيه أم في استغلالها ونقلها إلى الغرب في صورة تبادل تجاري، أو في أيّ صورة أخرى.^(١)

ولعلَّ حقبة الإصلاح الديني قد قوَّت من نفوذ الاستشراق في المجتمع الأوروبي، وأدركت أوروبا أنه في سبيل التوغل في البلاد الأخرى تجارياً أو دينياً لا بدَّ من دراسة هذه البلاد، من حيث الثقافة والخلفية الفكرية والبيئة والطبيعة الجغرافية، وغيرها من الجوانب التي تُعين على الإفادة من هذه البلاد.

(١) انظر: نذير حمدان. في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات... الطائف: مكتبة الصديق (د. ت)... ص ١٩٣. مع الأخذ بالحسين أنَّ التبادل التجارى كان لمصلحة الطرفين، فلم يخلُ هذا الجانب من فائدة عادت على الشرق الإسلامي مهما كانت محدودة.

ويصعب اعتبار هذه الحقبة في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي منطلقاً للاستشراق. ويمكن القول إنَّ هذه الحقبة تمثل دليلاً واضحاً على الدافع التجاري للاستشراق، كما سيأتي بيانه عند مناقشة دوافع الاستشراق. وربما بتأييد ما ذهب إليه محمد البهري من أنَّ الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة جدِّية بعد حقبة الإصلاح الديني.^(١) مما يشير إلى أنَّ الاستشراق قد أخذ مكانه – ولو على نطاق ضيق – في هذه الحقبة.

مجمع فيين:

الذين يحاولون تحديد نشأة الاستشراق علمياً قائماً على واقعة علمية يعودون بنشأة الاستشراق إلى سنة ٧١٢ هـ (١٣١١ م) – بينما عُقد مؤتمر مجمع (فيين) الكنسي، ونادي بإنشاء كراسي للعبرية والعربية والسريانية في روما على نفقة الفاتيكان، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكسفورد على نفقة ملك إنجلترا، وفي بولونيا على نفقة رجال الدين فيها. وتم إنشاء الكراسي ونشطت الدراسات الاستشرافية، فدُرِّست اللغة العربية وعلوم المسلمين، وتُرجمت الكتب من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية ترجمةً علميةً وثيقة.^(٢)

(١) انظر: محمد البهري. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.. ط ١١ .. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .. ص ٤٢٩.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشركون .. مرجع سابق .. ١: ١٨.

ويردّد هذا الرأي كثيرٌ ممن كتبوا عن نشأة الاستشراق أمثال نذير حمدان^(١) ومحمد حمدي زقزوق^(٢) وإدوارد سعيد^(٣) وعدنان ورّان.^(٤) ويدرك نجيب العقيقي هذا التاريخ في معرض حديثه عن ريموند لوبيو.^(٥)

ولأنَّ هذا الرأي يعطي تارِيخاً بعينه وحادثة «علمية» محددة بالزمان والمكان والتائج، يظهر ميل بعض الباحثين إلى الأخذ به، على اعتبار أنه أكثر «أكاديمية» ووثيقاً من الآراء التي سبقته. وإنْ كان التاريخ متَّخراً (في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)، إلا أنه يُعدُّ الانطلاقـة العلمـية للاستشـراق، من حيث التوسيـع في إنشـاء المدارـس والمعاهـد الاستشـراقـية المـهتمـة بـدراسـة تارـيخ الشـرق وثقـافـته عمـومـاً، والإـسلام والـمـسـلمـين بشـكـل خـاصـ. إذ لم يقتـصـر الأمر الآن على المؤـسـسـات الـعـلـمـية من معـاهـد وـمـدارـس تـدـرـس الاستـشـراقـ، وإنـما أـصـبـحـتـ هـنـاكـ أـقـسـامـ علمـيـةـ أـخـرىـ تـتـعرـضـ للـشـرقـ عمـومـاًـ، ولـالـإـسـلامـ والـمـسـلمـينـ

(١) انظر: نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين. - مرجع سابق. - ص ٣٤.

(٢) انظر: محمد حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. - مرجع سابق. - ص ١٩.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ١١٠.

(٤) انظر: عدنان محمد ورّان. الاستشراق والمستشرقون. - مرجع سابق. - ص ٢٨ - ٢٩.

(٥) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق. - ١ : ١٢٢.

والعرب بشكل أكثر تحديداً، مثل أقسام التاريخ والجغرافيا والعلوم السياسية والاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرها.

وازداد هذا الاهتمام بعد بروز اليهود، وإنائهم لوطنيهم القومي في فلسطين المحتلة، منذ سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م، بل وقبل ذلك بخمسين سنة، مروراً بشورة الخميني في إيران سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، كما ازداد بوضوح بعد حوادث يوم الثلاثاء ٢٠٠١/٩/١١ هـ الموافق ٢٢/٦/١٤٢٢ هـ، وما أعقبها من غزو للعراق وأفغانستان، تلك الأحداث التي غيرت مجرى التاريخ التماقي، وأثرت في العلاقات بين المسلمين والغرب.

إلا أن نجيب العقيلي - وهو يذكر تلك الحادثة في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي - يؤكّد ضمناً أنها لا تعدُ الانطلاقة لنشأة الاستشراق، إذا نراه يتحدث عن أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا عموماً، وبالتفصيل في الفصل الخامس «النهضة الأوروبية»، ويتحدث عن طلائع المستشرقين بادئاً بعمربر دي أوراليك - من الرهبانية البندكتية - الذي عاش في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي (٩٣٨ - ١٠٠٣ م)، ثم قسطنطين الأفريقي الذي عاش في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي (توفي سنة ١٠٨٧ م)، وهكذا مروراً بالتاريخ المراد جعله الانطلاقة الحقيقة لنشأة الاستشراق ١٣١٢ هـ / ٧١٢ م. ^(١)

(١) انظر: نجيب العقيلي. المستشرقون... مرجع سابق... ١ : ٨٧ - ١٣٧.



رأي المختار:

رغم وجاهة جميع تلك الآراء إلا أنَّ النفس تميل إلى الرأي القائل بأنَّ بدء الاستشراق قد انطلق من الأندلس وصقلية في القرن الثالث الهجري، الثامن الميلادي، حيث اختلط غير المسلمين من أوروبا بال المسلمين بالأندلس اختلاطًا علميًّا، شجَّعه كثرة الجامعات ودور العلم والمكتبات، وكثرةبعثات الأوروبيَّة إلى مدارس الأندلس، ورجوع هذهبعثات متأثرة بالثقافة الإسلاميَّة ناقلة معها المنهج العلمي، منهُ المسؤولين هناك إلى أهمية مضارعة هذه النهضة العلمية.^(١) وهذا ما أدى إلى تحظِّيها وتسلُّم زمام المبادرة في حمل الحضارة إلى العالم، بعد الانقلاب على الحضارة الإسلاميَّة في الأندلس وفي الشرق.^(٢)

وما كان قبل هذه المحبقة يُعدُّ من قبيل الإرهاص لها، وما أتى بعدها يُعدُّ من قبيل تعميق الفكرة، والتَّوسيع فيها وشدُّ الانتباه إليها. ويميل إلى هذا الرأي مصطفى السباعي، حيث يقول: «لا يُعرف بالضبط من هو أول غربي عُني بالدراسات الشرقية ولا في أيِّ وقت كان ذلك، ولكن المؤكَّد أنَّ بعض الرهبان الغربيين

(١) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر... مرجع سابق... ص ٦٧ - ٧٠.

(٢) انظر: محمد ياسين عربي. الاستشراق وتحريف العقل التاريخي العربي... مرجع سابق... ص ١٣٧ - ١٤٣.



قصدوا الأندرس في إيان عظمتها ومجدها وتقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتلذموا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات». ^(١)

ويؤيد هذا الرأي أيضا خليل أحمد النظامي الذي وزع الجهود العلمية التي بذلها المستشرقون لدراسة العلوم الإسلامية إلى خمس مراحل، جعل المرحلة الأولى منها تبدأ عندما «نشأت في الغرب رغبة الاطلاع على ما حققه الإسلام من مآثر حضارية، حينما دخل العرب في إسبانيا وصقلية، ولم يكن دخول العرب فيها فتحاً لدولة أو جزيرة فحسب، بل إنه كان فتحاً لعهد جديد في مجال العلوم والفنون والحضارة والمدنية، وقد بعث هذا الفتح - كما قال المستشرق الفرنسي ماسينيون - يقطة حضارية في أوروبا، وفتح للغرب آفاقاً جديدة للتقدم والرقي». وقد كان حث الاستفادة من علوم العرب وتقدير حقيقة دينهم باعثاً لدراسة شاملة للإسلام». ^(٢)

وإنما أطّال الباحث الحديث في الشأن والتاريخ قصداً إلى استعراض أشهر الآراء حولها، ليتم اختيار واحد من هذه الآراء

(١) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم... ط ٣ - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م - ص ١٣ - ١٤.

(٢) انظر: خليل أحمد النظامي. عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم... ص ١٠٣ - ١٠٤... في: الإسلام والمستشرقون... مرجع سابق... ص ٥١١ - ٥١٣.

وتأييده، ثم لتحقق - أيضاً - الجولة المراده في كنه الاستشراق، رغبةً في استعراض مجمل الآراء التي انبثت في إسهامات المهتمّين، ثم اختيار الرأي الراجح منها، وهو ما يتمثل في انطلاقه الإسلام بعلمه وحضارته من الأندلس وصقلية إلى العالم الآخر في الشمال عن طريق أبناءه الراودين إلى الأندلس وأبناء المسلمين الذاهبين إلى الشمال، قصداً إلى التجارة أو الأعمال الرسمية التي كانت قائمة بين المسلمين وملوك الفرنجة.

* * *

الفصل الثالث

د الواقع الاستشرافي والمستشرقين

التمهيد:

ما الذي دفع مجموعةً من أبناء الثقافات الأخرى إلى الاهتمام بالثقافة الإسلامية العربية؟ لمْ يكن اهتمامهم منصبًا على ثقافتهم انصبًا مباشراً يخدمونها وينشرونها على الملا؟ قياساً على ما رأه رسول الله ﷺ من قطع من التوراة في يد الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنكر عليه أن يصرف جهده الفكري في غير القرآن الكريم.^(١) وفي هذا إيحاء منه - عليه الصلاة والسلام - لأمته أن تشغل بثقافتها، لا سيما مع بداية ظهور الإسلام والحاجة إلى ترسیخه في الأذهان، وصرف ما يصرف عنه.

(١) انظر القصة في روايات متعددة في تفسير القرآن العظيم لابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي). - بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . - ٢ :

. ٤٦٧ - ٤٦٨

ولدى بعض الآخرين من غير المسلمين فكرة أنَّ الدين الإسلامي لم يصل إلى درجة الدين، وأنَّ محمداً ﷺ لم يكن أكثر من مصلح ظهر بين مجموعة من البدو الجهلة الأميين، فلِم كُلُّ هذا الاهتمام؟ ولِم يأتي الاهتمام في البداية من الرهبان والقساوسة أو القسسين؟ فيقصدون ديار الإسلام يتَعلَّمون اللغة العربية، فيعودون إلى أديرتهم وينقلون تراث المسلمين معهم؟^(١) ولِم بدأ تدريس اللغة العربية وعلوم الإسلام في الكنائس والأديرة؟ لأنَّ الجامعات والمعاهد لم تقم في أوروبا في ذلك الوقت؟ أم لأنَّ هناك باعثاً وراء هذا الاهتمام بعلوم المسلمين؟!

هذه جملة من التساؤلات تحديد مسار الدوافع التي حدت بirth ظاهرة الاستشراق منذ بداياته الأولى. وفي ضوء هذه التساؤلات هذه جملة من البواعث أو الدوافع.

١ - الدافع الديني:

وقف الباحثون العرب والمسلمون والغربيون في الاستشراق على الدوافع أو البواعث أو الأسباب التي كانت وراء الاهتمام باللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي وسيرة الرسول ﷺ، فمنهم

(١) انظر: حسن ضياء الدين عتر. الاستشراق: نشأته وأهدافه... مجلَّة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكَّة المكرَّمة... مجلَّة ٦٥ ع ٦ - ١٤٠٠ هـ... ص ٢٣ - ٥٩.

من وزع الدوافع إلى مجموعة غير يسيرة. ومنهم من ركز على أن الدافع الرئيسي هو الدافع الديني. يقول محمد البهـي: «والسبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى، فقد تركت الحرب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مرأة عميقة. وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون - بروتستانت وكاثوليك - بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمّضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية، وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية؛ لأنّ الأخيرة كانت ضرورية لهم الأولى، وخاصة ما كان منها متعلّقاً بالجانب اللغوي. وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أدياناً ولغاتٍ وثقافاتٍ غير الإسلام وغير العربية». (١)

ويضيف محمد البهـي القول: «ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في «التبشير»^(٢) بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على

(١) انظر: محمد البهـي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي -. مرجع سابق -. ص ٤٣٠ .

(٢) يفضل الباحث التعبير بالتنصير على التبشير من باب التفضيل لا التخصئة لمصطلح التبشير؛ ليكون التنصير مصطلحاً على تلك الحملات التي رغبت في نقل غير النصارى إلى النصرانية. انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير المفهوم - الوسائل - المواجهة -. ط ٥ -. بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م -. ص ٦٢ -. ٦٤ .



الاستشراق ليتستَّى لهم تجهيز الدعاة^(١) وإرسالهم للعالم الإسلامي. والتقت مصلحة المبشِّرين مع أهداف المستعمرين فمكَّن لهم واعتمد عليهم في بسط قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق. وبذلك سهَّل الاستعمار للمبشِّرين مهمَّتهم ويُسطِّع عليهم حمايتها، وزوَّدهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب في أنَّ الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشِّرين والرهبان ثم اتَّصل بالاستعمار^(٢).

ومن جهة ثالثة «أدى التفُّوق العسكري والحضاري لل المسلمين إلى تحول أعداد كبيرة من المسيحيين إلى الإسلام. كما أنَّ كثيراً من بقوا على نصرانيتهم أُعجِبوا في قرارة أنفسهم بالإسلام والمسلمين، مما حمل الرهبان على قيادة حركة لدراسة اللغة العربية وترجمة التراث الإسلامي بقصد تشويهه وحجب محاسنه عن الجماهير المسيحية الخاضعة لنفوذهم».^(٣)

التفُّوق الحضاري والعسكري لل المسلمين لم يؤدِّ إلى تحول أعداد كبيرة من النصارى إلى الإسلام فحسب، بل أدى إلى

(١) الأولى أنْ يُقال: المنصِّرين؛ لأغراض التعريفات الإجرائية والاطراد في المصطلحات.

(٢) انظر: محمد البهبي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي -. مرجع سابق -. ص ٤٣٠ .

(٣) انظر: محمد عبد الفتاح علَيَّان. أصوات على الاستشراق -. الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م -. ص ٤٣ .

تحوّل كثيرون من المماليك «المسيحية» إلى حكم الإسلام، كمصر وسوريا وشمال أفريقيا والأندلس، «ولهذه البواعث - وهي قليلة من كثير - كانت دراسة المستشرقين تاريخاً وتشريعاً غير مخلصة ولا نزيهة ولا علمية موضوعية، وإنما كانت رغبة في التشفي والانتقام من الإسلام وكتابه ورسوله». ^(١) وفي الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا الكتاب محاولة للربط بين الاستشراق والتنصير، وفيه مزيد تفصيل وأمثلة.

أقبل المستشرقون اليهود على الاستشراق لأسباب دينية، وهي محاولة إضعاف الإسلام وتشويهه والتشكك في قيمه بآيات فضل اليهودية عليه، وادعاء أن اليهودية هي مصدر الإسلام الأول. ^(٢)

ولا بدّ من التوكيد على عمومية الدافع الديني ليدخل فيه - ولو من بعيد - الدافع الديني عند اليهود، بعيداً عن نظرة اليهود أنفسهم إلى دينهم، ولكنهم قصدوا إلى ترسیخ فكرة أن الدين

(١) انظر: أحمد محمد جمال. مفتريات على الإسلام.. ط ٣.. القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٥م.. ص ١٠.

(٢) انظر: الشيخ أحمد بشير. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.. القسم الخامس في الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.. من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقده جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ.. الرياض: الجامعة، ٤١٤٠هـ/١٩٨٤م.. ص ٤٥٩ - ٤٩٦.

الإسلامي قد أخذ من اليهودية. ومن هنا جاء إطلاق الدافع الديني بهذا العموم.^(١)

إذا فالدافع الرئيسي هو ال باعث الديني، على وجه التعميم الذي يعني الجهود الداخلية والخارجية، وليس التنصير بالمفهوم الخاص أو الدافع الصليبي فحسب، كما بدا لبعض المهتمين فقط.^(٢) فقد أراد القوم التعرّف على دينهم من خلال التعرّف على أصول الدين، وذلك بالخصوص في تراث «المسيحية» الذي يعود إلى جذور يهودية رُصدت بالعبرانية، وأرادوا كذلك التعريف بدينهم لدى المسلمين، لا طمعاً في أنْ يعتنق المسلمون النصرانية، ولكن أملاً في أنْ يتخلّى المسلمون عن دينهم الذي لم يجد معه احتلال البقاع المقدّسة، بل زاد تمسّك المسلمين بدينهم.^(٣) وأرادوا أيضًا الصدّ والحدّ من التحول

(١) انظر: محمد بن فارس الجميل. النبي ﷺ ويهود المدينة.. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.. ص ١٥ - ٣٢.

(٢) انظر: محمد ياسين عرببي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي.. مرجع سابق.. ص ١٤٤. حيث ينقل عن يوهان فوك أنْ دراسة القرآن الكريم واللغة العربية قد جاءت منطلقاً للاستشراق بسبب فكرة التنصير. انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين/ نقله إلى العربية عمر لطفي العالم.. ط ٢.. بيروت: دار المدى الإسلامي، ٢٠٠١ م.. ص ١٦.

(٣) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين.. المراجع السابق.. ص ١٦.

«المسيحي» إلى الإسلام، والحدّ من دخول المذاهب «المسيحية» تحت رأية الإسلام.^(١) ثم أراد فريق منهم إثبات فضل اليهودية على الإسلام، كما سعوا إلى إبراز فضل اليهودية على «المسيحية».

٢ - الدافع العلمي :

والدّوافع الأخرى التي تلي هذا الدافع الرئيسي لا تكاد تخرج عن هذا المنطلق، وإن اصطبغت بالصبغة السياسية أو الاحتلالية أو الاقتصادية أو العلمية البحتة، إذ يستحيل أن يبحث غريب في دين وهو يدين بدين آخر، دون أن يترك بصمات الدين الذي يدين به في البحوث التي يُعدُّها ودون أن تسيطر عليه ثقافته التي يقيس بها ثقافات أخرى، سواء أكان تركه للبصمات هذه عن عمد، كما يتضح من الدافع الديني أم عن غير قصد مباشر، كما يتضح من الدافع العلمي البحث. ولا يستثنى من ذلك من وصفوا أنفسهم أو وصفهم غيرهم بأنهم مستشرقون ملحدون. فالإلحاد على شیوعه في الغرب لم يُخفِ الخلفيات الدينية للملحدين عندما يأتي الحديث عن ثقافة أخرى، وإن حاربوا الدين في ظاهر ما يظرون.

وهناك مجموعة من المستشرقين اندفعوا إلى الشرق (العالم

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة... التنصير... مرجع سابق... ص ٦٠ - ٦١.



الإسلامي) نتيجة للانبهار بالحضارة والتاريخ المسلمين، ونتيجة للانبهار بالعقيدة الإسلامية التي بنيت على السماحة مع الآخرين،^(١) الأمر الذي لم يتحقق في إطار الدين الواحد في النصرانية، وقبلها في اليهودية، والأمر الذي لم يتحقق ولن يتحقق في العلاقة المفروضة بين اليهودية والنصرانية.

هذا النوع من الانبهار حداً بعض المهتمين من الغربيين إلى الاتجاه نحو الشرق والغوص في علوم الإسلام، وانتهى المقام بكثير من هؤلاء المنبهرين إلى أن يخرجوا من ربة الاستشراق ويصبحوا في عداد المسلمين، وإن أخفى بعضهم إيمانه؛ نظراً لعوامل اجتماعية وعلمية.^(٢) وهذه ظاهرة تستحق بحثاً أو بحوثاً مستقلة.

وهذه المجموعة من المستشريين هي التي تمثل الدافع العلمي التزيء، الذي انطلق من مُسلمة أنه إذا كانت أوروبا تزيد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وأدابه وحضارته، وتكتمن بواطن العلم في الحضارة

(١) يرى الباحث أن السماحة أعمّ من التسامح، وأن الحديث عن التسامح إنما هو من تأثير رسائل في التسامح كتبها لوكل وغيره من فلاسفة الغرب. انظر: علي بن إبراهيم النملة. إشكالية المصطلح في الفكر العربي. - مرجع سابق. - ص ٧٥ - ٨٦.

(٢) انظر: عبد الرحمن حسن حبكة العيداني. أجنحة المكر الثلاثة وحوافيه: التشier - الاستشراق - الاستعمار: دراسة وتحليل وتجهيز. ط ٤. - دمشق: دار القلم، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. - ص ١٣١.

الإسلامية، فأقبل المستشرقون على هذه الحضارة «بنهم وشغفه وانطلق كثير منهم إلى آفاق بناء استفاد منها الشرق والغرب على حِلْ سواء». (١)

٣ - الدافع التجاري:

والشرق غنيّ بموارده الاقتصادية والطبيعية «الخام»، فقصده الغرب سعيًا وراء الحصول على هذه الخامات وتصنيعها وتغليفها والإفادة منها، ثم تصديرها إلى الشرق وغيره مرّة أخرى. وفي سبيل الحصول على هذه الخامات كان لا بدًّ من التعرُّف على البيئات التي تحوي الخامات، فكانت الدراسات الجغرافية ومحاولات الاستكشاف، وكانت الدراسات الثقافية والاجتماعية وغيرها من الدراسات التي دفعت إليها الحاجة لاستغلال الموارد الطبيعية لهذه البقعة من العالم.

وشعّج على هذا عدم استغلال هذه الموارد وعدم توافر الدراسات السابقة حولها، فاتّجه التجار وأرباب الاقتصاد إلى المستشرقين يبعثونهم إلى الشرق، ويستعينون بهم في طرق أبوابه، فخدم الاستشراق الناحية الاقتصادية خدمة غير يسيرة، وساعد مساعدة بازرة على النهضة الصناعية التي عاشتها البلاد الأوروبية بعد عصر النهضة، لا سيّما في الغرب الأوسط أو

(١) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.. مرجع سابق.. ص ٥١.

أوروبا الغربية التي حُمِيت من عوامل الحدّ من الانطلاق في السوق الحرة.^(١)

وربما ذهب بعض المعنيين بدراسة الاستشراق إلى أنَّ الدوافع الاقتصادية التجارية للاستشراق هي انشغال بعض المستشرقين بإبراز بعض الجوانب المنسوبة إلى الشرق والاتِّجار بهذه الجوانب والاسترزاقي من ورائها. فترجموا (ألف ليلة وليلة) على أنها تمثِّل سحر الشرق العربي،^(٢) وحللوها وبحثوا فيها، وكذا (رباعيات المخيَّام)، و(رسائل إخوان الصفا)، وكتاب (كليلة ودمنة). وقد زادوا على ذلك بسرد الأعاجيب والمناظر السحرية والأسطورية التي واجهوها عندما ارتادوا الشرق.^(٣)

ومع هذا فإنَّ هذه النظرة لا ترقى إلى أن تكون ضمن الدافع

(١) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم...
مرجع سابق... ص ١٨.

(٢) انظر: ناديا أنجليسكو الاستشراق والمحوار الثقافي... مرجع سابق... ص ٣٦ و ٧٩. وتبيَّن الكاتبة أنَّ المستشرق «جاستون فييت» يحملُ من الحكم على الأدب العربي من خلال ألف ليلة وليلة، وأنه عمل لا يرسم معالم الحضارة الإسلامية، ذلك أنه نصٌّ غير مضبوط الزمن أو «المعروف المصدر»، وكل حكاية من حكاياته عرفت أشكالاً من التبديل والتغيير متلازمة، لذلك لا يمكن أن تستتيح منها شيئاً جديداً»... ص ٧٩.

(٣) انظر: نذير حمدان. في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات...
مرجع سابق... ص ١٩٦. على أنَّ في كتاب (رسائل إخوان الصفا) كثيرة من الوقفات العلمية في الفلك والرياضيات والطبيعة. وهذه الوقفات تنقل الكتاب من أنْ يُعدَّ من الأعمال المخرافة.

التجاري، رغم وجود الاهتمامات المادّية عند بعض المستشرقين، إلا أنَّ المردود المادّي هنا ضعيف جدًا. وإنما ذكرت هذا لبيان أنه رأي قيل ضمن مجموعة من الآراء.

٤ - الدافع الاحتلالي «الاستعماري»:

واشتغل فريق من المستشرقين في هذا المجال مدفوعين من قبل حكوماتهم التي دعتهم إلى معاونتها في استعمال الشرق واحتلاله، فكانوا عوناً لها مخلصين في تقديم المعلومات التي احتاجت إليها وهي في طريقها إلى اجتياح الشرق، معلنةً الهيمنة عليه لمدة من الزمن تُعين على امتصاص خيراته، وعلى إيجاد البديل عنها عند الخروج من الشرق، وعلى إضعاف مكانة الخطر بالنسبة لهم المتمثل بالدين.^(١)

و عمل هذا الفريق من المستشرقين في وزارات الخارجية والحربيّة والاحتلال مستشارين مسؤولي الرأي والنصيحة، لهم أثراً هاماً البارزاً في الحركة الاحتلاليّة. وكافأتهم حكوماتهم بأنَّ

(١) انظر: فنسان جيسير. الإسلاموفوبيا: المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا/ ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي وقسم السيد آدم بهـ.. الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م - ١٩٢ ص. وانظر أيضاً: شمس إسماعيل حسن. هذا العالم لمن: زيف الإسلاموفوبيا/ ترجمة عزة خليل وغادة طنطاوي، مراجعة مركز التعرّيف والترجمة.. بيروت: الدار العربيّة للعلوم، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م - ٢١٤ ص.

طُورَتْ من علمهم ورعايته، وموّلته وأنشأت له المعاهد والمدارس، وساعدت على التوسيع في تغطية اهتماماته، فأفاد منها كما أفادت منه.

ولا تزال المعاهد والمدارس والمراكز الاستشرافية تناول الدعم والتأييد المادي والمعنوي، ولا تزال الأوسمة يمنحها للمستشرقين رؤساء الحكومات المحلية والفيدرالية، ولا يزال المستشرقون مقرّبين من رجال الدولة يتذبونهم إلى الشرق ويترجمون لهم الوثائق، ويولّونهم كراسى اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة، والمكتبات العامة، والمتاحف الوطنية، (ويُجزلون) عطاهم في الحلّ والترحال (ويمنحونهم) ألقاب الشرف وعضوية المجتمع العلمية.^(١)

ولم يقتصر هذا التقرّب للمستشرقين على المؤسّسات العلمية والسياسية في أمريكا وأوروبا، بل إنّ المجتمع العلميّ العربيّ والجامعات العربية قد افتخرت بعضاوّتهم فيها، واستعانت بهم في التدريس. والأمثلة على هذا كثيرة.^(٢) وفي الفصل الأوّل من الباب الثاني مزيد من تفصيل وأمثلة.

(١) انظر: محمد حسين على الصغير. المستشرقون والدراسات القرآنية.. - مرجع سابق.. - ص ١٩.

(٢) انظر: نذير حمدان. مستشرقون سياسيون. جامعيون، مجمعيون.. - مرجع سابق.. - ص ١٣٧ - ٢٥٦.

٥ - الدافع السياسي :

يرتبط الدافع السياسي بالدافع الاحتلالي. وإن كان الدافع الاحتلالي قد توقف مع التوقف الفعلي للاحتلال بالطريقة التي كان عليها، إلا أنَّ الدافع السياسي للاستشراق لا يزال قائماً، ولا يزال رؤساء الدول وحكوماتها تستعين بالمستشرقين في رسم سياساتها نحو البلاد الإسلامية وغيرها من بلاد الشرق. ولا نقول الشرقية هنا لأنَّ الأمر لم يعد نابعاً من الغرب وموجها إلى الشرق، فالبيان والصين وكوريا وغيرها من بلاد الشرق الأقصى زادت من اهتماماتها بالعالم الإسلامي مع تحولها إلى بلاد صناعية تضارع - بل قد تفوق - الدول الغربية.

وما تزال هناك لجان خاصة تقدم الدراسات والتقارير عن البلاد الأخرى عموماً، ومنها البلاد الإسلامية المدرجة تحت أسماء «الدول النامية، أو دول العالم الثالث، أو دول الجنوب». هذا مع ملاحظة أنَّ هؤلاء المستشارين لا يحملون بالضرورة اسم الاستشراق، فهم خبراء بالمنطقة أو باحثون أو علماء أو متخصصون. وهذا يأتي نتيجة لمحاولات الانسلاخ من مصطلح «الاستشراق»، نظراً لما قرَّ في نفوس المسلمين من مفهوم سلبي لهذا المصطلح.

والمهمة التي كان يقوم بها المستشرقون الأوائل يقوم بها اليوم المستشرقون الجدد، وإنْ اختفت الوسائل وحُورت

الأسماء. وينضمُ هذا الصنف من المستشرقين إلى أولئك الذين ساعدوا على «دفع الشرقيين من المسلمين العرب أن يرتابوا بالمستشرقين جمِيعاً، لأنَّ المؤسف أنْ يُسخر هؤلاء العلم الذي يسمى به الإنسان لإذلال الإنسان أو استعباده أو الطعن على تراهه وعقيلته بغير الحق». (١)

وإنما جاء تخصيص السياسة هنا بداعٍ مستقلٍ؛ نظراً لاستمرار هذا الدافع، وتوقف الدافع الاحتلالي المباشر المرتبط به مع حصول آخر دولة في العالم الثالث على استقلالها، بل إنَّ الأحداث التي مرَّ بها العالم مع مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي زادت - فيما يظهر - من الإقبال على الاستشراق السياسي، وإنْ طغى على هذا التوجُّه بعد الإعلامي على حساب بعد العلمي. وهذا ما يؤيّده كذلك «جاك فاردينبورج» الذي لا ينفي تأثير العنصر الديني والسياسي على الاستشراق، بل إنه يؤكد أنَّ «التشويه المقصود لوجه الإسلام في أوروبا في فترة الحروب الصليبية وما بعدها كان يخدم الأهداف السياسية المضطلة». (٢)

(١) انظر: صلاح الدين المنجد. المتنقى من دراسات مختلفة في الثقافة العربية.- ج ١ .. ط ٢ .- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٩٦/١٩٧٦ م .-

ص ٤

(٢) انظر: ناديا أنجليسكو. الاستشراق والحوار الثقافي.- مرجع سابق.- ص ٢٩

٦ - دوافع أخرى:

وهناك الدوافع النفسية والتاريخية والشخصية، وغيرها من البواعث الثانوية التي قد تتحقق في فرد أو في أفراد، دون أن تتحقق في فريق أو في مجموعة من المستشرين.^(١) وهناك من دفعتهم الرغبات الإنسانية الطبيعية في المعرفة والاطلاع للتعرّف على حياة الآخرين وأفكارهم. ومعرفة الناس وأسرارهم.^(٢) وهناك من دفعتهم الخلفية التاريخية للتعرّف على العلاقة بين الشرق والغرب. تلك العلاقة التي مرّت بأطوار متعددة، منها أطوار اللقاء، ومنها أطوار الخلاف والعداء. وهناك من دفعتهم أسباب شخصية مزاجية عندما تهيأ لهم المال والفراغ، فاتّخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر أو في الاطلاع على ثقافات العالم القديم.^(٣)

والخلاصة أنَّ للاستشراق دوافع وأسباباً وبواعث، يأتي في قمتها الدافع الديني بألوانه المتعددة، ثم تأتي في المرتبة الثانية الدوافع السياسية والاحتلالية والاقتصادية التجارية. ولعلَّ

(١) انظر: أحمد سمایلوفتش. فلسفة الاستشراق... مرجع سابق.- ص ٣٥ - ٤٠.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مصدرية الاستشراق ومصدرياتهم... مرجع سابق.- انظر فصل: رحلات المستشرين... ص ١١٧ - ١٨٣ .

(٣) انظر: محمد البهري. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي... مرجع سابق.- ص ٤٣٠ .

الدّوافع السامّة الوحيدة هي الأسباب العلمية التزويّدة التي لم يخلُ الاستشراق منها بأيّ حال، بل إنّ هذا الدّافع يزداد مع ضمور الدّوافع الأخرى. ثم تأتي في المرتبة الثالثة الأخرى البواعث النفسيّة والشخصيّة والتاريخيّة والأيديولوجيّة غير الدينية. وإنْ كان المستشرقون الشيوعيون (سابقاً) تدفعهم أيديولوجيّتهم إلى الاتّجاه إلى الاستشراق، وهم يتساوون في هذا مع المستشرقين الملحدين الآخرين ذوي الخلفيّة النصرانيّة أو اليهوديّة.

وربما تحقّقت الدّوافع الاحتلاليّة والاقتصاديّة التجاريّة والشخصيّة في المستشرقين الشيوعيين والملحدين مثل غيرهم، كما تحقّقت هذه الدّوافع في المستشرقين الذين انطلقو من الأديرة والكنائس، إذ يصعب على الاستشراق أنْ يتمحرّر من منطلقه الأوّل، وقد ارتبط به ارتباطاً جذريّاً وعوضياً.^(١) كما هو الحال تماماً عند أولئك الذين يتبنّون الأيديولوجيّة الغربيّة المفروضة عليهم، فلا يلبثون أنْ يصبغوها بخلفيّتهم، أو يحاولوا أنْ يصبغوا خلفيّتهم بها. ومع هذا كله يبقى أثر الخلفيّة الدينية بارزاً مؤثراً في النّظرة إلى الأديان الأخرى.^(٢) تلك النّظرة

(١) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.- مرجع سابق.- ص ٩٤.

(٢) انظر: أنور الجندي. الإسلام في وجه التغريب: مخطّطات التبشير والاستشراق.- القاهرة: دار الاعتصام.(د. ت).- ص ٢٧٨.

القائمة على الريبة أحياناً، وعلى الإنكار العلني لهذه الأديان أحياناً أخرى.

لقد أنكر الرسول ﷺ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجوعه إلى التوراة والقرآن بين ظهرانيه. والرسول عليه حق، وإن لم يكن يخشى على عمر من الانحراف، ولكنه المنهاج النبوى الذى يدعى إلى التعمق في الإسلام وعدم انشغال عنه في انطلاقته العقدية والسلوكية.

إذا كان هذا هو موقف الإسلام من النصرانية واليهودية، وهو يعترف بهما فما بالك بموقف الآخرين من الإسلام، وهم لا يعترفون به، فلا بد أن يكون الإقبال على هذا الدين بالدراسة والبحث منبعثاً من دافع عقدي في البداية على أقل تقدير. ولا ينكر المستشركون أنفسهم بأنهم يعانون من عقدة دينية في شعورهم الباطني حين يكتبون عن حضارة العرب وتاريخ الإسلام. يقول: أ. و. ف. توملين في كتابه فلاسفة الشرق: «اعترف رجال شديدو الذكاء بعد أن كرّسوا الكثير من وقتهم للأبحاث الشرقية أنهم لو كان عليهم أن يصلوا إلى فهم تام للفلسفة الشرقية لاستلزم الأمر أن يعتزلوا أوروبا ولبدأوا الحياة من جديد كشريقيين». (١)

(١) نقاً عن محمد عبدالله مليباري. المستشركون والدراسات الإسلامية... الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.. ص ١٨.. (سلسلة مذاهب وتيارات ٢٤). وانظر حديثه عن يوسف شاخت.. ص ٦٥ - ٦٦.

الفصل الرابع

أهداف الاستشراق والمستشرقين

التمهيد:

من غير اليسير مناقشة أهداف الاستشراق بمعزل عن النشأة والدّوافع. فهذه المناخيّة الثلاثة متداخلة. ويرى عبد الرحمن حسن جبّنكة الميدانيّ عدم الفصل بين الدّوافع والأهداف «باعتبار أنَّ الدّافع يمثّل المحِرّض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى الأهداف الغائبة من العمل». ^(١)

ولا يأس من مناقشة الأهداف معزولة عن النشأة والدّوافع، على اعتبار أنَّ الدّوافع قد لا تتحقّق الأهداف، وأنَّ الدّوافع قد تختلف عن الأهداف. فقد ينشغل مستشرق بالعلوم العربيّة حتّى في الأدب العربيّ. فيجده نفسه في النهاية يخوض في قضايا

(١) انظر: عبد الرحمن حسن جبّنكة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستشراق. الاستعمار. - مرجع سابق. - ص ١٢٥.



تحقيق أهدافاً لم يكن رسم لنفسه أن يخوض فيها، أو أن يصل إلى تحقيقها فينقلب الدافع الشخصي لديه - فيما بعد - ليتّسق مع الهدف الذي وجد نفسه منساقاً إليه. وقد يكون الأمر على العكس تماماً، فيكون الدافع للمستشرق دافعاً دينياً أو سياسياً أو احتلائياً أو اقتصادياً، ولكنه يقف على حقائق عن الشرق وثقافته، يجعله ينساق من ذلك الدافع ليحقق هدفاً علمياً يوصله إلى الهدية أو قريب منها.

وهذه مجمل الأهداف أو الغايات التي يسعى الاستشراق إلى تحقيقها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً:

١ - الهدف الديني :

كما سبق أنْ نوقشت الدوافع يجد المرء نفسه غير قادر على إغفال الهدف الديني من وراء الاستشراق، وليس الهدف الصليبي فحسب كما يميل إليه علي جريشة.^(١) وما الهدف الصليبي إلا جزء من الهدف الديني، فيدخل فيه السعي إلى توحيد حملات التنصير، ويدخل فيه السعي إلى تشويه الحقائق الإسلامية رغبة في التشكيك بين المسلمين أنفسهم بدینهم، كما يدخل فيه الاستمرار في الحملات الصليبية عن طريق الفكر،

(١) انظر: علي جريشة. الاتجاهات الفكرية المعاصرة... المنصورة: دار الوفاء، ١٩٨٦/١٤٠٧ مـ۔ ص ٢٠

بعد أن أخفق السلاح والغزو والمحروب التي لا يظهر أنها توقيفت، أو أنها ستتوقف.^(١)

- ومما يؤيد الميل إلى أن الهدف الرئيسي من الاستشراق إنما كان دينيا هو أن النصارى واليهود وجدوا أن القرآن الكريم يضم كتابيهما التوراة والإنجيل أو العهد القديم والعهد الجديد بالتحريف، ويؤكّد تدخل البشر في نصوصهما. فاتّجه علماء من الغرب إلى الإسلام قصدوا إلى قصره على أحكام جاءت من محمد ﷺ، وأن ما هو صحيح من هذه التعاليم إنما هو مستمد من التوراة أو الإنجيل، وأن محمدا ﷺ كان على اتصال مباشر بالأحبار والرهبان يتلقى منهم ويتلهم عليهم.^(٢) وقالوا كذلك: إن صحيح الإسلام غير جديد وجدلده غير صحيح.

- والهدف ديني أيضا من جهة أن الاستشراق كان محاولة لصد الشعوب الأخرى عن الدخول في الإسلام،^(٣) بالإيحاء بأن أحكام الإسلام إنما هي سبب في رجوع المسلمين إلى الوراء، وستكون سببا في انحطاط حضارة هذه الشعوب التي يتوقع منها

(١) انظر: أحمد شلبي. الاستشراق: تاريخه وأهدافه، شبّهات المستشرقين ضدّ الإسلام: مناقشتها وردّها... القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (د. ت)... ص ١٩ - ٣١.

(٢) انظر: إبراهيم اللبان. المستشرقون والإسلام... القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.

(٣) انظر: عدنان محمد وزان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر... مرجع سابق... ص ٣٧.

أن تدخل في الإسلام، وستكون عائقاً في سبيل تقدُّمها ونهوضها.^(١) في الوقت الذي يلاحظ فيه التقدُّم الغربي لأنَّه يدين بالنصرانية. فارتبط التخلُّف لدى الشرقيين بتمسُّكهم بالإسلام، وارتبط التقدُّم لدى الغربيين بتمسُّكهم بالنصرانية.^(٢)

- والهدف ديني كذلك من جهة أنَّ الاستشراق حاول أنْ يؤكِّد أنَّ الإسلام القائم على الكتاب والسنَّة عقيدةً وسلوكاً إنما هو دين «ميِّت» لم يعد يتمثَّله إلَّا قلةً من أولئك الأصوليين أو المتطرِّفين. أمَّا إسلام اليوم فهو ذلك النمط الذي يعيشه الدراويش والمتصوِّفة، وذوو الممارسات السائدة في حياة المسلمين اليوم بغضِّ النظر عن اقترابها أو ابعادها من «الإسلام الأول»،^(٣) بل إنها كلَّما ابتعدت عن الإسلام الأول كانت أكثر حيوية وتفاعلًا مع العصر والحياة.^(٤)

- والهدف ديني أيضًا من جهة أنَّ الاستشراق قد حاول «إضعاف روح الإيمان الإسلامي بين المسلمين في مختلف

(١) انظر: أنور الجندي. التراث الإسلامي والمستشرقون. - الهلال. - مج ٨٤ ع ٦٧ - ٦٩ . ص ٦٠ - ٦٧ . (محرم ١٣٩٦هـ / يناير ١٩٧٦م).

(٢) انظر: محمود حمدي زقروق. الإسلام والاستشراق. - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٤هـ / ١٩٨٤م . ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) انظر: محمود حمدي زقروق. الإسلام والاستشراق. - المرجع السابق . ص ٢٢ .

(٤) انظر الفصل الرابع من الباب الثاني، حيث مناقشة موقف المستشرقين من الإحيائية أو الصحوة أو (الأصولية).

أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنزاعات بين شعوبهم، وكذلك يفعلون في البلاد العربية، يجهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق، وتصييد الحوادث الفردية في التاريخ ليصنعوا منها تاريخاً جديداً، يدعوا إلى ما يريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية والتفاهم على الحق والخير بين جماهيرها». ^(١)

وربما رأى بعض المعنين أنَّ ظهور القوميات في البلاد الإسلامية لا علاقة له بالاستشراق، إذ كان جزءاً من حركة عالمية قامت في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي، وسرى تيارها إلى بقية أنحاء العالم فقلَّدها المسلمون. ويبرز أثر الاستشراق هنا في تأجيح هذا التيار وتشجيعه، من خلال التوكيد على اللغة العربية جامعاً للعرب. ثم الغوص في اللهجات العربية، واللغات التي يخاطب بها المسلمون. ورغم أنَّ مسألة الوحدة أصبحت بأيدي عربية اللسان والشكل، فالعبرة بالأفكار، التي سعت في وقت من الأوقات إلى إحلال القومية محل الإسلام، وجعلت من القومية بديلاً للإسلام لا حاضنة عليه.

- والهدف ديني كذلك من جهة أنَّ الاستشراق قد عمد إلى

(١) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم -. مرجع سابق -. ص ٢٤ .

التركيز على مواطن الضعف في التاريخ الإسلامي الآتي من سلوكيات البشر، كما عمد إلى الروايات المغلوطة والمكذوبة وجعلها مداراً للنقاش والحديث عن الإسلام. وتکاد تكون روايات جرجي زيدان حول تاريخ الإسلام جميعها من هذا النمط.^(١) وإن لم ير البعض في جرجي زيدان مستشرقاً، إلا أن مناقشة التعريف قد أدخلته ضمن المستشرقين، ولو لم يعش في أوروبا أو أمريكا، وإن تحدث اللغة العربية وكتب بها، فهو لا يكاد يختلف عن الأب لويس شيخو في الدوافع والأهداف.

يقول أبو الحسن الندوبي: «فمن كثيراً من المستشرقين يرگزون كلّ جهودهم ومساعيهم على تعريف مواطن الضعف في تاريخ الإسلام ومجتمعه ومدنية، حتى في ديانته وشريعته، وتمثيلها في صورة مروعة مضحكة، إنهم ينظرون إليها عن طريق «المجهر» (Microscope) ويعرضونها كذلك للقراء حتى يروا الذرة جبلاً والنقطة بحراً، وقد ظهرت حذاقتهم وذكاهم في كثير من الكتابات في تشويه صورة الإسلام. ويشيرون بذلك في قلوب قادة العالم الإسلامي اليوم وزعمائه - ومن تشققوا في مراكز الغرب الثقافية الكبرى، أو درسوا الإسلام بلغات الغرب - شبّهات حول الإسلام والمصادر الإسلامية، ويُحدِّثون في نفوسهم يأساً من مستقبل الإسلام، ومقتاً لحاضرها، وسوء ظن

(١) انظر: عبد الرحمن بن صالح العثماني. وفقة مع جرجي زيدان... ط ٢...
الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م - ١٢٣ ص.

بماضيه، حتى يتركّز نشاطهم وحماسهم في رفع هناف «تطوير الدين»، و«إصلاح القانون الإسلامي». ^(١)
 ولا تُبَس هنا بين التجديد والإصلاح والتطوير، فلكل من هذه المصطلحات الثلاثة مدلولاتها الأجنبية.

٢ - الهدف الاحتلالي:

ثم يأتي من أهداف الاستشراق الهدف الاحتلالي، حيث كان الاستشراق تمهيداً للاحتلال. وحيث بدا واضحاً - كما سيأتي بيانه - أنَّ هنالك علاقة قوية بين الاستشراق والاحتلال، من ناحية أنَّ الاستشراق كان يدعم الاحتلال بالمعلومات والاستشارات والنصائح لذلك التأييد. يؤيد هذا محمود حمدي زقزوقي، حيث يقول: «وقد استطاع الاستعمار أنْ يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين. وهكذا نشأت هناك رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، وانساق في هذا التيار عدد من المستشرقين ارتكبوا لأنفسهم أنَّ يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه». ^(٢)

(١) انظر: أبو الحسن علي الحسني الندوبي. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين في الموضوعات الإسلامية... ط٣ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م... ص ١٥ - ١٦.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوقي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري... مرجع سابق... ص ٤٤.

ولا يبعد أن يجمع المستشرقون بين هدفين في آن واحد، فيكون الغرض التنصير كما يكون الغرض الاحتلال.^(١) وما الاحتلال إلا حلقة قوية من حلقات التنصير، كما أنه صورة أخرى من صور الحملات الصليبية، وتستحضر هنا عبارة اللورد اللنبي: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»،^(٢) مما يؤكّد قيام علاقة قوية بين التنصير والاحتلال تبرز واضحة في الاستعانة بالمنصّرين، كما كانت الاستعانة بزملائهم المستشرقين، وتبرز كذلك في تمكين الاحتلال للتنصير في أداء مهمّاته وفتح مراكز له في بلاد المسلمين.

وإذا كان الاحتلال قد مكّن للتنصير، فإنه أيضًا قد مكّن للاستشراق وأعانه كثيراً في أداء مهمّته، فأتاح الاحتلال للاستشراق الولوج إلى العالم الإسلامي في مكتباته ومدارسه وجامعاته ومجامعه والحصول على مصادر معلوماته والإعانة في نقلها إلى الغرب وحفظها هناك، كما مكّن التنصير للاستشراق من حيث التخطيط له ودعمه وتأييده، حتى قيل إنَّ الاستشراق كمنهج عقلي لقاد من أبوين غير شرعيين: التنصير الذي خطط له، والاحتلال الذي غذَاه.^(٣)

(١) انظر: نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين... مرجع سابق.- ص ٣٨.

(٢) هذه العبارة أطلقها اللورد اللنبي، انظر: صالح مسعود أبو بصير. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن... بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر... ص ٦٥.

(٣) انظر: عرفان عبد الحميد. المستشرقون والإسلام: محاولة أولية لتفهم الأسس التاريخية لطبيعة العلاقات الفكرية بين الإسلام والغرب... ط ٢... بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٠... ص ٢٨.

وفي هذا يقول أحمد سمايلوفتش: «لقد ظلَّ هدف الاستشراق والاستعمار واحداً لفترة طويلة من الزمن، وإذا كان الأول يسبق الثاني ليكون طلائع جيشه وأعنيْ أمنه يصيِّب أهدافه ويحقق آماله، فما عليه إلا أنْ يبدأ بالتشكيك في قيم الشعوب المغلوبة، والسخرية منها ومن دينها وشخصية نبيها ﷺ، وهدم الإسلام فكريًا وحضارياً، وعلى الثاني أنْ يقوم بتنفيذ ذلك الحكم واقعياً وعملياً، كما كان الاستشراق حريصاً على تدريب باحثين ودبلوماسيين ومهنيين يحملون جميعاً أيديولوجية الغرب وعقلية تجاه الشرق وحضارته، وعلى الاستعمار أن يتبنَّى هؤلاء فيساعدهم وينفذ خططهم. واستخدم الاستشراق الكتب والمجلات والمقالات وكراسي التدريس والمؤتمرات العلمية والمحاضرات العامة وغيرها من الوسائل لخدمة الاستعمار في أغلب الأحيان لا لخدمة العلم والحقيقة». (١)

وكما مكَّن التنصير للاستشراق، فقد مكَّن الاستشراق للتنصير، فأفادت الحملات التنصيرية من الدراسات الاستشراقية، وكوَّن الاستشراق للتنصير «قاعدة المعلومات» التي مهدَّت له الطريق. (٢) وعليه فإنَّ الاستشراق والاحتلال والتنصير

(١) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. - مرجع سابق. - ص ١٢٠.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين مع نماذج من المستشرقين المنصرين. - الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. - ص ٤٠ - ١٥.

عبارة عن حلقات ثلاث متداخلة متعاونة،^(١) إذا خُبِّت حلقة منها بربت الأخرى، وكانها ألوان ثلاثة تمرُّ بدائرة، فيغلب على الدائرة لون واحد ثم يختلط باللون الآخر لوقت يسير، ليغلب اللون الآخر على الدائرة، ليختلط باللون الثالث لوقت يسير، فيغلب اللون الثالث، ثم يعود اللون الأول وهكذا، وربما اختلطت الألوان الثلاثة في الدائرة مشكلة مزيجاً أخْذاً في ظاهره غير أخْذاً في مضمونه.

وقد ظهر في الآونة الأخيرة عنصر رايم أعلن تحالفه مع الاحتلال والتنصير والاستشراق، حينما اصطبغت بعض أعمال المستشرقين وجهود المنصرين بالصبغة الصهيونية التي تحالفت مع العناصر الثلاثة الأولى لتحقيق الهدف الاحتلالي والعقدي في آنٍ واحد.^(٢)

ويرى محمد بن عبود أنَّ هناك ثلاثة عناصر سيطرت على التوجيه الأيديولوجي عند المستشرقين خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي والنصف

(١) انظر: نذير حمدان. في الغزو الفكري: المفهوم. الوسائل. المحاولات...
مرجع سابق. - ص ٢٠٥.

(٢) انظر: علي عبدالحليم محمود. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام...
القسم الأول من الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام... من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدهت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بـالرياض سنة ١٣٩٦هـ... مرجع سابق. - ص ١٤٢.

الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي وهي التنصير (سمّيه التبشير المسيحي) والاحتلال واليهودية. ^(١)

ويركز نبيه عاقل على الهدف الديني للاستشراق، ولكنه مع هذا لا يغفل الهدف الاحتلالي، حيث يقول: «ولسنا نريد القول إنَّ الهدف الوحيد للاستشراق كان الدافع الديني، ولن نستطيع أبداً أن نبعد المطامع الاستعمارية عن هذه الصورة التي نرسمها لأهداف الاستشراق، لأنَّ الاستعمار في رأينا كان من بين العوامل الهمة التي ساعدت على تطور الاستشراق، فقد رأت الدول الاستعمارية أنه لا بدَّ لها من أجل تحقيق أغراضها السياسية والاقتصادية في الدول العربية والإسلامية أن تستفيد من الاستشراق لتحقيق هذه الأغراض». ^(٢)

ويتحقق نبيه عاقل أنَّ الكثير ممن سمّيُهم بالمستشرقين «لم يكونوا علماء أو أساتذة جامعة أو رجال بعثات أثرية، بل كان بينهم العديد من الجواسيس والموظفين في وزارات الخارجية ووزارات المستعمرات ودوائر الاستخبارات

(١) انظر: محمد بن عبد الرؤوف. الاستشراق والنخبة العربية... المجلة التاريخية المغربية... ٩٤ (٢٧ - ٢٨)، (١٩٨٢). - ص ١٩١ - ٢١٥.

(٢) انظر: نبيه عاقل. المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي... - محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي... - ٢... الجزائر: وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية. ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م... - ص ١٨٥ - ٢١٧... والنص في ص ١٩٨ - ١٩٩.

وغيرها». (١) وعليه فإن الاستشراق قد أدى خدماتِ جليلةً للاحتلال وكان - وما يزال - مصدراً مهمّاً من مصادر الغزو الفكري - وهو أسلوب من أساليب الاحتلال ...

ومن الخدمات الجليلة التي قدمها الاستشراق للاحتلال تمكين الاستشراقِ الاحتلالَ من اتخاذ صنائع وعملاء في البلاد الإسلامية بوساطة الجامعات والمدارس التي أقامها الغرب في بلاد المسلمين، وكان يشرف عليها ويوجّهها منصرون ومستشرقون، يقول عبداللطيف الحميد: «أنشئت المدارس الأجنبية في الدولة العثمانية، وأصبحت سلاح الغزو الفكري المنظم إلى جانب الاستشراق. وقد اختار المنصرون موقع ممتازة للمدارس في إسطنبول (على سبيل المثال) وزوّدواها بالمخبرات والوسائل العلمية الالزمة. وكان أكثر المدرّسين من الرهبان الذين قاما بدور التنصير أو التشكيك في الدين الإسلامي». (٢) وافتتحوا مدارس ومعاهد للدراسات العربية

(١) انظر: نبيه عاقل. المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي -. المرجع السابق -. ص ٢٠٠ .

(٢) انظر: عبداللطيف الحميد. سقوط الدولة العثمانية: دراسة تاريخية في المؤامل والأسباب -. الرياض: مكتبة العيكان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م -. ص ٥٣ - ٥٤ . ويرجع في هذا إلى: سهيل صابان. المؤسسات الأجنبية في نهاية الخلافة العثمانية في إسطنبول -. رسالة ماجستير، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٩هـ -. ص ٢٨٦ - ٢٨٨ .

والإسلامية في أوروبا ، كامتداد لتلك الخدمات الجليلة ،^(١) وإن لم تخل هذه المؤسسات التعليمية من فوائد لا تُنكر فرضتها طبيعة التعليم .

٣ - الهدف السياسي :

مما يرتبط بالهدف الاحتلالـي ارتباطاً مباشـراً الهدف السياسي ، إلى درجة أنَّ التفريـق بينهما يحدث شيئاً من التكرار في المناقشـة والتحليل . إلا أنَّ من نتائج الاحتلالـي أنه غرس في نفوس أبناءـالبلادـ الخاضـعة للاحتـلالـ فكرة فوقـيةـ العنصرـ الأوروبيـ ، وفيـ المـقاـبـلـ دونـيـةـ العـناـصـرـ الآخـرىـ ، وـعـدـمـ قـدرـتهاـ عـلـىـ النـمـوـ وـالـتـطـوـرـ ، بـمـعـزـلـ مـنـ التـأـثـيرـ الآـوـرـوـبـيـ الـمـباـشـرـ . وـمـعـ أنَّ هـذـهـ النـظـرـةـ تـعـودـ إـلـىـ الشـعـورـ بـالـتـفـرـقـةـ العـرـقـيـةـ ، إـلـاـ أـنـهـ أـلـقـتـ بـظـلـلـهـ عـلـىـ الـبـعـدـ السـيـاسـيـ . وـيـنـاقـشـ إـدـوارـدـ سـعـيدـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ فـيـ أـكـثـرـ مـوـضـعـ مـنـ كـتـابـهـ الـاستـشـرـاقـ ، مـثـلـ قـولـهـ : «ـإـنـ الـاستـشـرـاقـ فـيـ جـوـهـرـهـ مـذـهـبـ سـيـاسـيـ فـرـضـ فـرـضاـ عـلـىـ الشـرـقـ ؛ـ لـأـنـ الشـرـقـ كـانـ أـضـعـفـ مـنـ الـغـرـبـ ، وـأـنـهـ تـجـاهـلـ اـخـتـلـافـ الشـرـقـ (٢)ـ الـرـاجـعـ إـلـىـ ضـعـفـهـ».ـ

ويقرُّ إدوارد سعيد في مقام آخر أنَّ المسألـةـ الرـئـيسـيـةـ بـالـنـسـبـةـ

(١) انظر : حسن ضياء الدين عتر . الاستشراق : نشأته وأهدافه . مرجع سابق . ص ٣٩ - ٣٨ .

(٢) انظر : إدوارد سعيد . الاستشراق . ص ٣٢١ .



إلى المستشرقين هي أن «القضية الرئيسية تتحقق في الحفاظ على سيطرة الرجل الأبيض على الشرق والإسلام». ^(١) وهذا ما اشتهر عن كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد الذي ركز فيه على البعد الإمبريالي للاستشراق، الذي كان جزءاً من الظاهرة الاستشرافية، ولم يكن الاستشراق كله كذلك.

وفي مجال آخر يؤكّد إدوارد سعيد أنه يمكن اعتبار المستشرق العميل الخاص للقوة الغربية في محاولتها لرسم سياساتها تجاه الشرق. ^(٢) ويقرّر أيضاً أنه «في الجزء الوحيد من الشرق الذي أستطيع أن أتحدث عنه بشيء من المعرفة المباشرة، يمكن اعتبار التلازم المتبادل بين الطبقة المفكّرة والإمبريالية الجديدة أحد الانتصارات الخاصة للاستشراق. فالعالم العربي اليوم كوكب فكريٌّ تابع وسياسيٌّ وثقافيٌّ يدور في فلك الولايات المتحدة». ^(٣)

ولعلَّ هذه من مبالغات إدوارد سعيد التي تتردّد على المستوى الإعلامي، فليس العالم العربي كله تابعاً تبعيَّة تامةً بالضرورة للغرب.

ورغم ما في تحليل إدوارد سعيد من القرب من الحقيقة،

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. - المرجع السابق. - ص ٣٩٦.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. - المرجع السابق. - ص ٣٤٧.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. - المرجع السابق. - ص ٤٨٩.



إلا أنه يؤخذ عليه التعميم في العبارات السالفة وغيرها، فلم يكن الاستشراق كله مطيّة للسياسة، فقد كانت هناك الأهداف الأخرى التي سعى الاستشراق إلى تحقيقها.

ولعلَّ ما ذهب إليه صاحب كتاب الاستشراق يؤكّد أنَّ الهدف السياسي للاستشراق يمكن أنْ يكمن في الأهداف الأخرى الدينية والاحتلالية والاقتصادية التجارية، وربما العلمية أيضًا،^(١) إذ يبعد ألاً يكون هناك اتصال سياسي بين المستشraq ودولته أو حكومته بشكل ما من أشكال الاتصال التي قد تصل إلى حد العمالقة.

وعلى أيِّ حال فقد جاء الاستشراق الأمريكي متأنِّيًّا، وأمريكا لم تحكم أيَّ بلد عربي حكماً مباشرًا، كما كان الحال عليه إبان الحقبة الاحتلالية الفعلية، وإنْ سعت اليوم – بحكم أنها القوَّة الكبُرى – إلى الهيمنة على العالم كله، بما فيه البلاد العربية والإسلامية، ولكن على المستوى الذي يجعل الغرب يتتصَّر في معاركه لم يخضُها قطُّ.^(٢)

كما أنَّ أحمد أبو زيد ناقش فكرة «الفوقية» الذي ركَّز فيها

(١) انظر: نديم البيطار. حدود الهوية القومية: نقد عام. – بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢م. – ص ١٧٢.

(٢) انظر: عبدالوهاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. – ط ٢. – مج. – القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩م. – ١: ١٥٦ – ١٥٨.



على أنَّ «المعرفة التي ترد في كتابات المستشرقين تستخدم بغير شكٍ في توطيد أقدام الحكم الأجنبي والاستعمار. ولذا كان المستعمرون يرسمون للمجتمعات الشرقية - وفي ضوء تلك المعلومات - ليس فقط حاضرها، بل ومستقبلها أيضاً، بحسب ما يتخيلون أنه الأفضل لها». (١)

ويهمنا هنا رسم المستقبل الذي يؤكّد قيام الهدف السياسي، فالحاضر - الذي يتحدث عنه المؤلّف - يُراد به الوقت الذي يسيطر الاحتلال فيه سلطنته على البلاد الإسلامية، والمستقبل يراد به الوقت الذي يلي حقبة الاحتلال. يقول أحمد أبو زيد: «ومن هنا كانت الدول الاستعمارية ترفض مطالب تلك الشعوب بالتحرير، وتتصف الوطنية والقومية بأنهما ضرب من ضيق الأفق والانغلاق والميل إلى الانعزal على ما كان كرومر يصف مطالب المصريين بالاستقلال. فالشرقيون لا يعرفون مصالحهم الحقيقية التي يعرفها الغربيون نيابة عنهم وبطريقة أفضل، ولذا نصبّ الغربيون من أنفسهم أوصياء على الشرقيين». (٢)

ويضيف أحمد أبو زيد القول: «وفضلاً عن ذلك فكثيراً ما كان الشرقيون يظهرون في كتابات (المستشرقين) - بالمعنى

(١) انظر: أحمد أبو زيد. الاستشراق والمستشرقون... عالم الفكر.- مج ١٠ ع ٢ (تموز، أيلول ١٩٨٨م).- ص ٢٥٥ - ٢٧٦.

(٢) انظر: أحمد أبو زيد. الاستشراق والمستشرقون.- المرجع السابق.- ص ٢٦٢.

الواسع لهذه الكلمة ... أناساً خاملين متبلاًدين لا يملكون الطاقة ولا المقدرة، بل ولا الرغبة في العمل. كما أنهم عاجزون عن المبادأة والمبادرة. إنَّ الشرقيين في نظر الكثير من المستشريين أقوام يحبُّون التملُّك، كما أنهم يفتقرُون إلى الشعور والإحساس بآلام الآخرين، إنهم لا يعرفون معنى السير في الطرقات وعلى الأرصفة، لأنَّ عقولهم العاجزة الضعيفة لا تقاد تدرك ما يدركه الأوروبي بسرعة وتلقائية من أنَّ الطرق والأرصفة إنما صنعت للسير عليها». ^(١)

ويواصل أبو زيد القول على لسان بعض المستشريين: إنَّ الشرقيين «يميلون بطبعهم لللذب والشك والارتياح في نوايا الآخرين. إنهم لا يعرفون معنى الواضحة والصراحة والاستقامة في التفكير والسلوك، وهي كلها أمور تميِّز **الخلق البريطاني النبيل**». ^(٢)

ويعلّق أبو زيد على هذه الافتراضات بقوله: «وهذه الأقوال والأحكام وأمثالها تردد كثيراً في كتابات كرومر وأمثاله الذين لم يكونوا يهتمُّون بالشرقيين إلا من حيث هم يؤلّفون (العنصر) أو (المادة) التي يمارسون عليها عملهم، وهو الحكم.

(١) انظر: أبو زيد. الاستشراق والمستشريون... المرجع السابق... ص ٢٦٢.

(٢) انظر: أبو زيد. الاستشراق والمستشريون... المرجع السابق... ص ٢٦٢.



هذا كله إنما يؤكّد الرأي الذي سبق أنْ أشرنا إليه من قبل في أكثر من موضع أنَّ الاستشراق يتضمن نوعاً من الاستعلاء من جانب الغرب والتخاذل من جانب الشرق، وأنَّ الاستشراق لم يكن مجرّد أسلوب للتعبير عن هذه التفرقة الجوهرية (في نظر الغربيين على الأقل)، ولكنه ساعد على تعميق الإحساس بها». (١)

إنَّ الحقبة التي تلت حقبة الاحتلال جعلت اهتمام بعض المستشرقين يتحوّل من خدمة الاحتلال إلى خدمة السياسة بشكل أوسع. ووجد بعض المستشرقين أنفسهم عملاً وصناعاً سياسة، ولم يعد الاستشراق عند هؤلاء مجرّد تخصص علمي «أكاديمي» بحث، كما كان يتوقّع منه، أو كما أوحى البعض بذلك، وأصبح جزءاً غيرُ يسير من المستشرقين أدواتٍ في أيدي حكوماتهم.

وعودُ على أحمد أبو زيد، حيث يقول: «وكان لا بدَّ لهذا التحوّل في الموقف من أنْ ينعكس على شخصية المستشرق ذاته وبنظرته إلى نفسه، فلم يعد المستشرق في الأغلب يُعدُّ نفسه عالماً ينتهي إلى طائفة أو فئة من العلماء لهم قيمهم وطقوسهم العلمية وتقاليدتهم وأخلاقياتهم ومبادئهم التي تتحكم في

(١) انظر: أحمد أبو زيد. الاستشراق والمستشرقون.. المرجع السابق. - ص ٢٦٢ . والحديث عن علاقة الاحتلال بالاستشراق سوف يبرز علاقة كروم بالاستشراق، ليس مباشرة، وإنما من خلال الربط. على أنَّ هذا المرجع لم يوثق هذا الرأي فيعين الباحث على الرجوع إلى ما مرجع إليه.

عملهم، وتوجّه هذا العمل، كما ترسم لهم سلوكهم داخل نطاق هذه الطائفة أو الفئة، وإنما أصبح يُعدُّ نفسه «ممثلاً لثقافة الغربية ضد ثقافة الشرق، وبذلك انطوت شخصيته وعمله على نوع من الأزدواجية التي تمثّل في نظرته إلى النشاط الذي يقوم به على أنه تعبير رمزي من الشعور أو الإحساس بالذات الغربية والمعرفة الغربية والعلم الغربي والسيطرة الغربية، والتي تمسك بتلاييف الشرق وتحاول التغلغل إلى أعماقه بقصد إخضاعه وإذلاله». (١)

والهدف السياسي لم يكن مقتصرًا على بسط النفوذ على العالم الإسلامي فحسب، بل إنَّ المستشرقين قد دخلوا في صراع دول أوروبا على منطقة العالم الإسلامي، فكانوا أدواتٍ في أيدي حكوماتهم تعينهم على التنافس بين الدول الأوروبية ذاتها، ولو أدى الأمر إلى استخدام الإسلام والعربية. ينقل عباس طاشكندي عن الرش هارمان قوله: «كانت الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام ١٩١٩ أقلَّ براءة وصفاء نَيَّةً، فقد كان كارل هاينريش بيكر، وهو من كبار مستشرقينا، منغمساً في النشاطات السياسية، حتى إنه أصبح في عام ١٩١٤ شديد الحماسة لمحظَّ استخدام الإسلام في أفريقيا والهند كدرع سياسة في وجه البريطانيين. وقد أعرب في ما بعد عن أسفه لتورُّطه في هذا الموضوع، وعندما غدا وزيراً

(١) انظر: أحمد أبو زيد، الاستشراق والمستشرقون.. المرجع السابق.- . ٢٧٣

للتثاقفة في برؤسيا أيام جمهورية فايمار، سعى جهده لرأب الصدع بين الأعداء السابقين». ^(١)

ويقصد بالأعداء السابقين المستنفسيين على استخدام الإسلام، وفي الفصل الرابع من الباب الثاني من هذا الكتاب مناقشة لموقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية التي سموها بالأصولية ومحاولة تسييس هذه الصحوة، بالتوكيد على دوافعها السياسية.

ومن منطلق أنَّ الهدف السياسي والهدف الاحتلالي هدفان متداخلان ظهرت هنا الصعوبة في عزل هذين الهدفين الواحد عن الآخر. ولعله لا يُفهم من هذه المناقشة أنَّ الهدف السياسي قد تلا الهدف الاحتلالي، بل ربما كان الهدف السياسي سابقاً للاحتلالي وممهداً له، ثم مصاحباً له، ثم تالياً عليه؛ ما دامت فكرة السيطرة على الشرق والهيمنة عليه قائمة تراود فكر كثيرين من زعماء الدول الأوروبية والأمريكية الشمالية، وقدادتها ومفكريها ورجال الأعمال فيها. ^(٢) والشرق – هنا – يشمل العالم الإسلامي وغيره.

(١) انظر: عباس صالح طاشكندي. الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التراث العربي المخطوط. - عالم الكتب. - مج ٥ ع ١ (رجب ١٤٠٤ هـ / أبريل ١٩٨٤ م). - ص ٥ - ١٤.

(٢) انظر: سعيد عدنان. تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي لعبدالجبار ناجي. - عالم الكتب. - مج ٥ ع ١ (رجب ١٤١٤ هـ / أبريل ١٩٨٤ م). - ص ٢١٢ - ٢١٥.

٤- الهدف التجاري الاقتصادي :

وإذا كان من الصعوبة بمكان التفريق بين الهدفين السياسي والاحتلالي، فإن الهدف الاقتصادي التجاري يكاد يكون داخلاً ضمن الهدف الاحتلالي بشكل أكثر وضوحاً، ثم ضمن الهدف السياسي. فليس القصد من السيطرة على البلاد الإسلامية وغير البلاد الإسلامية إلا بسط النفوذ الغربي على هذه البلاد، رغبة في استغلال موارد البلاد الطبيعية والبشرية. ولعلنا لانزال نرى استغلال بريطانيا للموارد البشرية في الهند وأفريقيا في كثير من الأعمال التي ترتفع عنها الرجل الأبيض، وكفيها بهذه الملائين من البشر التي ترضي بالزهيد من مقومات العيش كالعمالة الهنود، ويدخل فيهم الباكستانيون والبنغلاديشيون في بريطانيا. وكذا الحال مع العمال الأتراك واليوغسلاف في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م. والعمال من أفريقيا شمال أفريقيا في فرنسا.

هذا وإن يكن أثر الاستشراق هنا غير واضح، إلا أننا نستطيع أن نقول إنه نتيجة من نتائج الاحتلال التي أسهم فيها الاستشراق، على ما سيأتي بيانه في الفصل الأول من الباب الثاني. كما أنَّ التبعية السياسية القائمة كانت نتيجة أخرى من نتائج الاحتلال، ولا يزال للاستشراق فيها أثر.

نعم لقد كان هنالك صراع باطن ثم ظاهر بين دول الاحتلال

على بقية دول العالم، حتى أصبح هذا الصراع يأخذ أشكالاً تقوم على دوافع عرقية أو حدودية أحياناً، ولكن هذا الصراع كان خروجاً عن الغرض من الاحتلال وهو الغرض الاقتصادي التجاري بالدرجة الأولى. ولعل هذا ما دفع بعض المهتمين بالاستشراق إلى أن يذهب إلى أنَّ الهدف الديني للاستشراق لا يخرج عن كونه استغلالاً للدين والمنصرين في سبيل تحقيق أهداف تجارية اقتصادية بحثة،^(١) يقول صاحبا كتاب التبشير والاستعمار مصطفى الخالدي وعمر فروخ: «والمؤلفون عادة لا ينكرون أنَّ التبشير قد اتَّخذه الكثيرون آلة للتجارة والسياسة».^(٢)

وفي جانب الموارد الطبيعية نجد أنَّ المواد الخام كانت تُجلب في السابق من البلاد الإسلامية وغيرها إلى دول الاحتلال لتُصنَّع وتُكرَر وتُعلَّب وتُعاد إلى مصادرها وغيره، فتباع لأهلها وغيرهم بأثمان غالمة، في الوقت الذي كان يمكن فيه أنْ تُصنَّع هذه المواد الخام في مصادرها وتُباع إلى الدول الأوروبية بأثمانها الغالية. كما بدت هذه الصورة واضحة في الآونة الأخيرة عندما بدأت بوادر التحرُّر من السيطرة الأوروبية تشق طريقها إلى العالم

(١) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي..- بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٢م - ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التبشير والاستعمار.- المرجع السابق.- ص ٣٥.

(الثالث/ النامي) وبدأت الصناعات التحويلية تتوطّن في دول المصدّر بنسبة ٦٠٪.

وهذا الهدف ليس واضحاً وضوحاً تماماً لدى بعض المتابعين، حتى إنَّ بعض المستشرقين حاول استبعاده مرتكزاً على الهدف الديني، ففي مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في (ليدن - هولندا) سنة ١٩٣١م، قال ناظر المعارف الذي افتتح هذا المؤتمر: «إنَّ هولندا لا تذهب إلى الشرق لأجل التجارة، بل لنشر حسنات الدين المسيحي». ^(١)

وهناك جانب آخر - وهو جانب ضعيف - من جوانب الهدف الاقتصادي التجاري يتعلّق باتخاذ الاستشراق مهنةً ومورداً مادياً لدى بعض المستشرقين، يتکسبون من ورائه من خلال نشر ما يتعلّق بالإسلام والعربية، وتشجيع «نشر المؤلفات والكتب التي تدور حول الإسهامات والشخصيات. ويشرفون على نشرها لما يرثون لها من سوق نافقة في البلاد الشرقية». ^(٢) وليس في هذا سمة سلبية، إلا أنَّ المقصود منه إثبات تكُّب بعض المستشرقين، توكيدها للهدف الاقتصادي التجاري. وقد مرَّ أنَّ

(١) انظر: بركات عبدالفتاح دوريدار. الحركة الفكرية ضدَّ الإسلام.. - مكة المكرمة: المركز العالمي للتعليم الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ.. - ص ١٢٣.

(٢) انظر: آثر آربيري. المستشرقون البريطانيون / ترجمة محمد الدسوقي النويهي.. - لندن: مطبعة ولیام کولنز، ١٩٤٦م.. - ص ١٤.

المردود المادي لها هذا المجال لا يرقى إلى أن يصل إلى أن يكون هدفاً بعينه.

٥ - الهدف العلمي :

الهدف العلمي للاستشراف على نوعين: هدف علمي نزيه خالص وهدف علمي مشبوه. والهدف العلمي المشبوب كان امتداداً للأهداف السابقة، ولكنه تبطن بالعلمية. ولم يجد عليه طغيان هدف آخر، ولم يجد على أصحابه انخراطهم المباشر في هيئات أو مؤسسات دينية أو احتلالية أو سياسية أو تجارية، فالتشكيك بصحة رسالة الرسول ﷺ، وإنكار أن يكون القرآن مُنزلاً من الله تعالى، ثم إنكار أن يكون الإسلام ديناً من عند الله تعالى، والتشكيك في صحة حديث الرسول ﷺ، والتشكيك بقيمة الفقه الإسلامي وأصالته الإسلامية،^(١) والتشكيك في قدرة اللغة العربية على مسيرة العصور والتطورات العلمية، كل هذه الوسائل وغيرها،^(٢) إنما هي امتداد لمحاولة إشعار المسلمين ببطلان ما هم عليه، ومن ثم البحث عن بديل يكون جاهزاً في النصرانية أو اليهودية، أو بهما معاً أو بغيرهما، ينقله لهم الاحتلال وتوبيده السياسة.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. نقد الفكر الاستشرافي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة. - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٨٠ ص.

(٢) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراف والمستشرقون. - مرجع سابق. - ص ٢٣ - ٢٠.

والجدير ذكره أنَّ هذه الأساليب ليست جديدة نظر لها المستشركون. فقد تعرَّضت الدعوة الإسلامية لمثل هذه الأساليب في الطعن بالرسالة والرسول ولغيرها منذ بعثة محمد ﷺ،^(١) ولم يكن أثر المستشرقين في هذا إلَّا محاولة صبغ هذه الاتهامات بالعلمية، والبحث في تراث المسلمين عن وقائع بعضها شاذٌ، وبعضها مكذوب، وبعضها لا يُحتاج به، وجعل هذه الواقع دلائل على صحة هذه الشبهات التي تبنَّوها.

النراة:

أما الهدف العلمي التزيفي الحالص فقد تتحقق على يد نفر من المستشرقين، دفعهم حبُّ الاستطلاع والانبهار بالمدِّ الإسلامي وبأحكام الإسلام وواقعته إلى أنْ يبحثوا فيه، ويكتبوا عنه متجرِّدين من الهوى والأغراض. وهناك نماذج عدَّة من هذه الفتنة في عالم الاستشراق. فمنهم من اهتدى وخرج عن هذا العالم (عالم الاستشراق)، وكتب عن الإسلام كتابات طيبة، كما كتب عن الأديان الأخرى كتابات كانت سبباً في تراجع بعض المستشرقين عن أهدافهم المرسومة.^(٢) ولعلَّ هذا مما يؤيدُ

(١) انظر: عدنان محمد وزان. الاستشراق والمستشركون: وجهة نظر. - مرجع سابق. - ص ٣٩.

(٢) انظر: محمد عبدالفتاح عليان. أضواء على الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ٤٧.



فكرة تحول المستشرق من دافع دفعه إلى هدف وصل إليه .
والأسماء كثيرة في هذا المجال .

ومن المستشرقين أصحاب هذه الفئة من اهتمى وغير اسمه أو لم يغير اسمه . ومنهم من آمن وأخفى إيمانه . ومنهم من بقي على عقيدته ، واحتفظ للإسلام وأهله بالتقدير وال موضوعية والتجدد . ولاعتدال هؤلاء المستشرقين يجدون شيئاً من المضايقة من أترابهم ذوي الأهداف الأخرى . تتمثل هذه المضايقات في عدم دعوتهم للمؤتمرات والندوات ، وعدم نشر أبحاثهم في الدوريات الاستشرافية ، وعدم إتاحة الفرصة لهم للعمل في المراكز ومدارس الدراسات العربية والإسلامية والشرقية ، وقل أن يجدوا تقديرًا من المسلمين بما يتناسب مع هذا المنطلق .

وتجد بعض المهتمين من العلماء والمفكرين المسلمين يريد منهم أن يصبحوا من رجال العلم الشرعي ، وألا يخطئوا في مسائل يعدها المسلم من البديهيات في الدين . ومن جانب آخر نجد أن هؤلاء - وفي الوقت الذي يلقون فيه المضايقات من أترابهم - يفتقرن إلى الدعم المادي الذي يعينهم على الاستمرار في هذا الطريق الذي اختاروه . يقول عمر عودة الخطيب : «على أن هذا الصنف لا يوجد إلا حين يكون له من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة و الأخلاق ، لأن أبحاثهم المجردة من الهوى لا تلقى رواجاً عند رجال الدين ، ولا عند رجال السياسة ، ولا عند الكثرة المتعصبة

من القراء المسيحيين . ومن ثم فهي لا تدرِّ ربحًا ولا مالاً، ولهذا ندر وجود هذه القلة في أوساط المستشرين». (١)

والهدف العلمي هو المتوقع والمتوخّي من طائفة كرسوا حياتهم لدراسة الشرق والإسلام والعربيّة . ولا بأس من بعض الأخطاء والهـنـات إذا كان الهدف علميًّا ، ولا بأس من سوء الفهم ما دامت النية صادقة ، لأننا نحن المسلمين «لا نطلب من كل مستشرق أنْ يغيّر معتقده ويعتقد ما نعتقد عندما يكتب عن الإسلام ، ولكن هناك أوليات بديهية يتطلّبها المنهج العلمي السليم ، فعندما أرفض وجهة نظر معينة لا بدَّ أنْ أبيّن للقارئ أولاً وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها ، ثم لي بعد ذلك أنْ أخالفها». (٢) كما يقول محمود حمدي زقزوق - مرأة أخرى - ولأننا نحن المسلمين كذلك قد نختلف في الفروع ويسيء بعضنا الفهم ، فيصدر بأحكام مُجانية للصواب متابعة للشوادُ من الفتاوى ، فيردُ عليه الآخرون بموضوعية متطرفة ، وقد رسموا سلفاً قاسماً مشتركاً بينهم وهو سلامة النية وصدق

(١) انظر: عمر عود الخطيب. لمحات في الثقافة الإسلامية . ط ١٠ . . . بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦ / ١٤٠٦ م . . . ص ١٩٧ . وانظر إلى هذا النص لدى ناديا أنجليسلوكو: الاستشراق والحوار الثقافي . . . مرجع سابق . . . ص ٣٠ ، وتنقله عن سلطان عبدالحميد سلطان في كتابه من صور الغزو الفكري للإسلام: التشير والاستشراق والعلمانية . . . القاهرة: ١٩٩٠ م .

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق . . . مرجع سابق . . . ص ٢١ .

المقصد ونبيل الأهداف. وإذا كان الخلاف مع المستشرقين من هذا النوع فذلك لا يفسد للود قضية.

ولا يكاد إنتاج عربي حول الاستشراق يخلو من التوكيد على أنَّ هناك طائفَةً منصفة من المستشرقين يذكرون أحياناً بأسمائهم وبآسهاماتهم، ولكن الغالبية العظمى من هذا الإنتاج - خصوصاً منه ما أتيح الاطلاع عليه - لم تكن مطمئنة اطمئناناً تاماً لأهداف المستشرقين على وجه العموم. ويندر من يغضُّ النظر عن أنَّ الهدف العلمي متتحقق لدى بعض المستشرقين، فتراه يغفل هذا وينحي باللائمة على المستشرقين بعامتهم، لما كان لهم من آثار سلبية في الفكر المسلم الحديث، وأنهم لا يملكون شيئاً إيجابياً أو صالحَاً يمكن أنْ يقدموه للمسلمين في مجال الحاجة إلى وجهة نظرهم حول الإسلام والمسلمين وفي حقبة من حقبهم التي اتَّكأوا عليها في دراساتهم وأبحاثهم، يقول أنور الجندي - رحمه الله تعالى - في حكم تعيمي: «فما زالت أهواؤهم تسسيطر على عطائهم، فهم يقدمون السموم والأساطير والأراء الضالة، أو على الأقل يقدمون تجربة مجتمعاتهم الفاسدة، وليست لهم قدرة حقيقة على أنْ يستوعبوا أحوال مجتمعات المسلمين، ليقدموا لها شيئاً ينفع، كما أنَّ عطاءهم قليل وغير مجدٍ وغير إيجابي ويمكن الاستغناء عنه».^(١)

(١) انظر: أنور الجندي. هزيمة الاستشراق في ملتقى الإسلام.. تونس: دار بوسالمة، (١٩٨٥م).. ص ٧ - ٨.



وهذا تعليم من الأستاذ أنور الجندي تعودنا عليه منه - رحمة الله - إلا أنه تعليم لا يؤيده الواقع، فجهود المستشرين في خدمة التراث ونشره، بل وحفظه قبل نشره، جانب من الجوانب التي لا بدّ من الوقوف أمامها موقف الإعجاب والتقدير. وينبغي ألا تدفعنا محاولة النظرة السلبية لظاهرة الاستشراق عن إنكار هذه الجهود. ^(١)

وإسهامات المهتمين العرب في كشف هذه الجهد محدودة بالنظر إلى مجلـل الإسهامات في مجال الاستشراق؛ إذ تغلب على الإنتاج الفكري عن الاستشراق الذي تم الوصول إليه، النظرة المتوجّسة الحذرة. وفي كتاب مناهج المستشرين في الدراسات العربية الإسلامية بجزئيه مناقشات جيدة موضوعية. ^(٢)

وفي بحثين قيّمين يناقش سامي الصقار الجوانب الإيجابية في الاستشراق البريطاني. ^(٣) وتبرز في هذين المرجعين النظرة

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشرون ونشر التراث... ط ٢.. الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.. ص ١٨٥.

(٢) انظر: مكتب التربية العربي للدول الخليج والمنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مناهج المستشرين في الدراسات العربية الإسلامية... ٢ مع... الرياض: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٣) انظر: سامي الصقار. مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود... مع ٩ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)... ص ١٥٩ - ٢٢٨. والبحث الآخر نشره المؤلف تحت عنوان: دور المستشرين في خدمة التراث الإسلامي في مجلة المنهل... مع ٥٠، العدد ٤٧١ (رمضان/شوال ١٤٠٩هـ، إبريل/مايو ١٩٨٩م)... ص ١٤٢ - ١٦٧. وجاء هذا العدد من المجلة كله مخصصاً للاستشراق والمستشرين. ويزخر فيه التفاوت في النظرة إلى الظاهرة. انظر مثلاً الصفحتان من ١٩٨ - ٢٧٥.

الإيجابية والنظرية السلبية لعدد متبادر من الكتاب، إلا أنه من الحق القول إنَّ من كتبوا في الجوانب الإيجابية هم من المتخصصين، بينما جاء من كتب في الجوانب السلبية من المهتمين الغيورين على دينهم وعربتهم، ولكنهم ليسوا متخصصين في الدراسات الاستشرافية.

الباب الثاني

علاقة الاستشراق والمستشرقين بـالاحتلال والتنصير واليهودية



التمهيد

سبق القول بأنَّ الاستشراق ظاهرة شملت شتَّى فروع المعرفة الإسلامية. واتُّضح شمولها هذا مؤخَّراً، بعد أن تخطَّى الاستشراق مجرَّد كيل الاتهامات للكتاب والسنة والتراث العربي الإسلامي. وبسبب من شمولية الدراسات الاستشرافية في الآونة الأخيرة يستبعد الناهلون من الإنتاج الفكري للاستشراق أنْ تكون هناك علاقة بين هذه الظاهرة وظواهر أخرى تختلف مع الاستشراق في الطريقة والوسائل.^(١)

ويقف بعض المتابعين موقف المتحفظ، عندما تكون هناك

(١) انظر: ساسي سالم الحاج. نقد الخطاب الاستشرافي: الظاهرة الاستشرافية وأثرها في الدراسات الإسلامية. -٢٠٠٣- معاً. -٢٠٠٣- بيروت: دار المدار الإسلامي. -٢٠٠٣-، حيث يؤكد المؤلف في مناقشه على أنَّ الاستشراق ظاهرةٌ وليس علمًا قائمًا بذاته. ومن هنا جاء التغيير عنها بالظاهرة في العنوان الفرعى لهذا المرجع.

إشارة لقيام رابطة بين الاستشراق والاحتلال أو التنصير أو اليهودية/ الصهيونية. ويررون أنَّ مجيء المستشرقين من دول كانت لمعظمها صولات وجولات احتلالية في البلاد العربية والإسلامية، ومجيء المستشرقين من دول تدين بالنصرانية كخلفية ثقافية لم تستطع التخلص منها، وإنْ فضلت أنْ تظهر للأخرين بالظاهر العلماني، ومجيء المستشرقين من مجتمعات نشأ فيها اليهود، وكان لهم تأثيرهم في هذه المجتمعات سلباً أو إيجاباً، كل هذا لا يسُوّغ قيام رابطة قوية أو علاقة متينة بين هذه الخلفيات والأحداث ظاهرة الاستشراق؛ إذ إنَّ الاستشراق في مجمله كان مجرَّداً من هذه الخلفيات والأحداث، على اعتبار أنَّ الاستشراق منهج علمي، يدرس ظواهر علمية خلفها سلف الأمة الإسلامية، ويحاول الخلف أنْ يكونوا امتداداً لأولئك السلف.

هكذا ينظر بعض مفكِّرينا إلى ظاهرة الاستشراق، إلى الدرجة التي جعلت بعضهم «يتبنّى» آراء المستشرقين في الكتاب والسنة والتراث العربي الإسلامي،^(١) مصرًا على أنه لا يخرج بهذا الطرح أو التأثر عن الخط الإسلامي، وإنْ قال في كتاب الله

(١) لا بدَّ من التوكيد على أنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهورة لا يدخلان في اسم «التراث»؛ إذ لا ينطبق عليهما مفهوم التراث. فهما مصدر للتشريع لا يزال يؤثِّيان ما أريد لهما أنْ يؤثِّيَاه في حياة المسلمين. انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشرقون ونشر التراث... مرجع سابق. - ص ١٨ - .٢٠

وستة نبيه ﷺ ما قد يصل بالمرء إلى الخروج من الملة.

الطيب في الأمر أنَّ هؤلاء المنبهرين قلة، وهم يتقلصون مع ارتفاع نسبة الوعي الفكري بين العرب والمسلمين، وإدراك كثير من المفكِّرين أنَّ الهروب من الدين لم يُعن الأمة على الوقوف على أقدامها، بقدر ما حملها على التعرُّف أكثر مما تعثرت من قبل. فبحث المفكِّرون مرةً أخرى في أسباب انحطاط المسلمين وما خسره العالم من هذا الانحطاط، فلم يكن هناك بدًّ من الوقوف على إسهامات المستشرقين مجملةً، وكونها أثراً من آثار هذا الانحطاط، عندما تبيَّن أنَّ هؤلاء المستشرقين - في مجملهم - كانوا عوناً على الحملات الاحتلالية على البلاد العربية والإسلامية، و«قاعدة المعلومات» لحملات التنصير التي لا تزال تجتاح المجتمع العربي والإسلامي، وتبيَّن لهؤلاء أنَّ قسماً من المستشرقين - وهو أولئك الموضوعيون المتجردون - كانوا من مُنصرِّين، كما تبيَّن لهؤلاء أنَّ الاستشراق في بعض اتجاهاته مهدٌّ بطريق مباشر أو غير مباشر لقيام وطن قومي لليهود في فلسطين، وأنَّ الاستشراق في بعض نزعاته لا يزال يسعى إلى تسهيل مسألة قبول قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين بين المفكِّرين الغربيين والمفكِّرين العرب على حد سواء.

ولا يكفي أنَّ يقال إنَّ هناك علاقة ضعيفةً أو قويةً بين التيارَات المعادية للإسلام، دون اللجوء إلى إقناع المُتلقِّي بوجود هذه العلاقة، مع شيء وافر من التجدد الذي تفتقر إليه التيارَات.

والتجزُّد والموضوعية ديدننا، لا نستطيع الخروج عنهما مغلِّبين جوانب أخرى كالعاطفة مثلاً، وإلا خالفنا نصاً منهجيًّا من نصوص القرآن الكريم. وفي التجزُّد والموضوعية عدلٌ نحن مطالبون به حتى مع أولئك الذين لم يراعوا فينا هذه الجوانب التي تسمو بالإنسان وترتفع به إلى درجات الكمال الإنساني، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوْمَيْكُمْ لِلَّهِ شَهَدَأَ بِالْقُسْطِ وَلَا يَجْرِي مَحْكَمٌ شَنَآنٌ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَقْدِلُوا أَعْدَلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَأَنَّقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ حَسِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة).

ومع هذا فإنَّ محاولات إيجاد علاقة بين تلك التيارات المعادية للإسلام، بما في ذلك إدراج الاستشراق واعتباره من هذه التيارات، لم تخلُ في مجملها - وليس كلها - من تغليب العاطفة في موقف يمكن رصدها. ولأنَّ هذه المحاولات مكتوبة قابلة للمراجعة فيتظر منها أن تعالج هذا الجانب الذي يمكن أن يفهمه ويقدِّره المتلقِّي بخلاف ما لو كان التلقِّي مشافهةً وارتجالاً. وعلى أيِّ حال فإنَّ تغليب جانب العاطفة ليس سمة يمكن تعيمها على جميع الأعمال التي سعت إلى توكيده هذه العلاقة.

على أنَّ الأعمال العلمية التي سعت إلى توكيده العلاقة بين التيارات المعادية للإسلام، والتي لم تقتصر على هذه التيارات الأربع (الاستشراق، والتنصير، والاحتلال، والصهيونية)، لم تعالج هذه القضية بتوسيع، لأنها كانت ضمن أعمال عامة في

مجال الاستشراق بخاصةً. عدا بحث في العلاقة بين الاستشراق والتنصير، نُشر في صحيفة أخبار العالم الإسلامي في حلقات، لعله يجمع ويصدر في كتيب واحد؛ تعميمًا للفائدة. وقد ورد ذكره في هذه المحاولة لتوكيد العلاقة بين الاستشراق والتنصير.

ولا يزال موضوع الارتباطات بحاجة إلى مزيد من البحث والغوص في حياة المستشرقين العلمية، وربما أوجه نشاطهم الأخرى، يستشف منها الباحث دلالات مقنعة لقوة العلاقة، ناهيك عن تحقيقاتها بين التيارات المختلفة.

ولا يبدو أن هناك حاجةً قويةً لتحقيق وجود العلاقة، ولكن الحاجة قائمة لتوكيد مدى القوة في العلاقة بين مجموع هذه التيارات المعادية أو ضعفها. وربما بحث العلاقة بين الاستشراق وبعض التيارات الأخرى التي انحرفت عن الإسلام، وهي لا تزال تصرّ أنها من الإسلام، كالحساشين والبهائية والبابية والقاديانية، ومثلها تيارات حادة.

وعلى أي حال فظاهرة الاستشراق تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، تسبّر غورها، وتبتعد عن التكرار، وتتخصّص في جوانب ضيقة من هذه الظاهرة. ولعلّ الأقسام العلمية في الجامعات الإسلامية والعربية تسهم في مثل هذه الطريقة في البحث، وتكشف من اهتمامها بهذه الظاهرة، على اعتبار أنها الظاهرة الوحيدة من بين الظواهر الأخرى التي تلبيت بالعلمية والمنهجية، وسعت بهذا اللباس إلى تحقيق أهداف احتلالية

وتنصيرية واقتصادية وعقدية وفكرية، كلها تتعارض مع الخطأ الإسلامي على أخف الأحكام.

ولعلَّ مراكز البحوث المهمَّة بالدراسات الإسلامية تسهم في هذا المجال، فتتوفر المادة العلمية للباحثين، وتعيينهم على الدراسات، وتعقد المؤتمرات والندوات التي تقوم جهود المستشرين وإسهاماتهم في خدمة التيارات الأخرى، كما تُبيَّن موقف بعضهم الموضِّع لهذه التيارات وأثرها على العلاقة بين المسلمين والغرب، وتعقد الموازنَة بين خدمتهم للإسلام والترااث، وجهودهم في خدمة هذه التيارات.

هذا وقد نشرت هذه الفصول الآتية في أوقات متفاوتة، مما أضفى عليها اختلافاً طفيفاً في المنهج، وكان شيء منها موجَّهاً إلى رقعةٍ أوسعٍ من القراء، مما أضفى عليها نوعاً من العمومية.

الفصل الأول

العلاقات بين الاستشراق والاحتلال^(١)

التمهيد:

مع إشراقة بعثة محمد بن عبد الله ظهرت الخلافات حولها. وقد أخذت هذه الخلافات أشكالاً متعددة. فعندما أحسنَ أعداء الدين أنَّ نجم الإسلام يزداد نوراً وضياءً اتبَّعوا أسلوب الحرب العقدية. فظهرت - كما مرَّ بيانه - في المجتمع المسلم الحركة السبئية على يد عبدالله بن سبأ من اليهود. ولا تزال هذه الحركة في مفهومها تضرُّب أطنانها في مجتمع المسلمين، وإنْ تغيرت أسماؤها.

وعندما أحسنَ الأعداء بضعف المسلمين غزوهم في عقر دارهم غزواً حربياً احتلالياً. وتزعمَ هذا الاتِّجاه في البداية

(١) كان أصل هذا الفصل بحثاً بعنوان: العلاقة بين الاستشراق والاستعمار، نشرته مجلة التوباد... مرجع سابق... ص ٣٨ - ٤٢.

الصلبيين. ومع الصليبيين كان هناك علماء أُريد لهم أن يستفيدوا من تراث المسلمين؛ قصدًا إلى إبقاء الصليبيين مدةً أطول. ولكنَّ الصليبيين يرحلون مهزومين، فيُعيدون الكرَّة بالعودة بأيِّ أسلوب أو بأيِّ شكل.

وتظهر عزَّة المسلمين - مرَّةً ثالثةً - في الخلافة العثمانية حينًا من الدهر، ثم يضعف العثمانيون ليختلفهم الاحتلال على تركية الخلافة من خلال معاهدة سايكس - بيكون، بعد أنْ أوحى للعرب وغيرهم أنَّ الحكم العثماني ما كان إلا شكلاً من أشكال الاحتلال. ثم ينتهي الاحتلال العسكري الفعلي في البلاد الإسلامية. ويرحل المحتلُّون الأجانب عن البلاد، وتبقى بقائهم، ويكثر مندوبيهم وممثُّلُوهم من أبناء الأمة إلى اليوم، فينفِّذون خطط المحتلِّين بأفضل وأقوى مما كانت تنفَّذ عليه مدةً الاحتلال.

وفي وسط هذا كُلُّه، وقبله وبعده، تبرز فكرة أو مفهوم خلاصته اهتمام الغرب بالشرق عمومًا وبالإسلام خصوصاً. وينصب هذا الاهتمام على الفكر والأدب والتراث والعادات والتقاليد. ويطلق على هذا المفهوم اسم الاستشراق. ويأخذ في مجمله - لا فيه كُلُّه - شكلاً آخر من أشكال العرب على الإسلام وعلى العرب، لعلَّ أخطرها على الإطلاق الحرب الفكرية التي كانت ولا تزال عونًا على بقية أشكال الحروب، ولعلها كانت التمهيد لهذه الحروب.

ولست هنا بقصد التفصيل حول أشكال الحروب الموجهة للإسلام والمسلمين، ولكن لعلّي هنا أستطيع أن أركّز على شكل واحد أو شكلين، وأحاول أن أربط بينهما في علاقة. الشكل الأول يتمثّل في الاحتلال، والشكل الثاني يتمثّل في الاستشراق. والتركيز هنا يمكن أن يكون في محاولة للنظر فيما إذا كانت هناك رابطة بين هذين الاتجاهين.

من خلال دراسة هذا الجانب يستطيع الباحث الخروج برأيين مختلفين حول الرابطة بين الاحتلال والاستشراق. أحدهما يُلْخَصُ في أنَّ الاستشراق وليد الاحتلال. والآخر يذهب إلى أنَّ الاستشراق كله بمثابة التمهيد للاحتلال. وبين الرأيين فرق واضح، إلا أنَّ المرء لا يستطيع الخروج برأي ثالث يوحّي بأنَّ لا علاقة بين الظاهرتين، وأنَّ كلاًّ منهما كان يعمل على شاكلته.

وهذا يعني أنَّ هناك رابطة قائمةٌ بين هاتين الظاهرتين، بغضّ النظر عن أسلوب العلاقة ومداها وقوتها. فهناك تحالف بين فريق من المستشرقين والاحتلال الذي أذلَّ العالم الإسلامي وغير الإسلامي من منطقة ما يسمّى بالعالم الثالث حيناً من الدهر في العصر الحديث.⁽¹⁾

(1) انظر: محمود حمدي زفروق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري... مرجع سابق... ص ٤٤.

وينقل محمود حمدي زقزوق عن المستشرق المعاصر شتيفان فيلد،^(١) أنَّ هناك جماعةً «يسمُون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين. وهذا واقع مؤلم لا بدَّ أنْ يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة». ^(٢) ولا يبيِّن فيلد هنا صراحة رسالة المستشرقين التي يريد الاستشراق لها وهي اتِّباع المنهج العلمي في دراسة الشرق – كما هو معلوم من مواقف اصطفان فيلد. ولذلك نراه يؤيِّد الفكرة التي ترى أنَّ الاستشراق جاء تمهيداً للاحتلال، أو على أقلِّ تقدير كان جزءاً من الاستشراق مصاحباً لل الاحتلال.

ويؤيِّد فكرة التمهيد هذه الأستاذ مالك بن نبي – رحمة الله –
 (١٣٩٣هـ - ١٩٠٥م) حينما يؤكِّد أنَّ الاستشراق مرَّ بمرحلتين في اكتشاف الفكر الإسلامي؛ الأولى كانت من أجل إثراء ثقافة أوروبا، والمرحلة الثانية «العصيرية» من أجل تعديل سياسي لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه

(١) أو اصطفان فيلد، من مجموعة المستشرقين الألمان المهتمين بتحقيق التراث الإسلامي. بدأ سنة ١٩٣٧م في إنشاء وصف للمخطوطات العربية في صنعاء. انظر: روبي بارت. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية / ترجمة مصطفى ماهر. القاهرة: دار الكتاب العربي... ص ٧٧.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق. – مرجع سابق. – ص ٢٤.

الأوضاع في البلاد الإسلامية لسيطرة على الشعوب المخاضعة فيها لسلطانها.^(١)

ويذهب محمد البهري موافقاً مالك بن نبي - رحمة الله - إلى أن الاستشراق يمكن أن يُنظر إليه على أنه صورة من صور حماية الاحتلال، قام لتمكين الاحتلال الغربي في البلاد الإسلامية.^(٢) ويوافقهما أنور الجندي - رحمة الله - إذ يرى أن الاستشراق في مفهومه - وليس في تعريفه - العلم في خدمة السياسة والاحتلال.^(٣) وهناك موقف متعدد حول النظر إلى مفهوم الاستشراق على أنه علم له أصوله ومناهجه وأهدافه وغاياته.^(٤)

ويرى عبد الرحمن حسن حبّشة أنه بعد هزيمة أوروبا في الحروب الصليبية اتجهت إلى دراسة البلاد الإسلامية من نواحٍ شتى، فكرية وعقدية واجتماعية وجغرافية وتاريخية؛ رغبةً في

(١) انظر: مالك بن نبي. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث..
بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.. ص ٩ و ٢٣.

(٢) انظر: محمد البهري. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي..
مرجع سابق.. ص ٢٣ - ٥٦.

(٣) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في الفكر الإسلامي.. مرجع سابق..
ص ٨٧ - ٩٥.

(٤) يذهب بعض المهتمين إلى أن الاستشراق علم قائم بذاته. ويرى آخرون أنه ظاهرة مثله في ذلك مثل الاحتلال والتتصير.

ضعف «المقاومة» الروحية^(١) والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في التفكير.^(٢) ورأي عبد الرحمن حسن حينكـة هذا يتفق مع الرأي الـذاهـب إلى أنَّ الاحتلال جاء ولـيـاً للاستشـرـاق، وأنَّ الاستشـرـاق كان مـمـهـداً لـلـاحتـلالـ. ويـتفـقـ معـهـ كذلكـ محمودـ عبدـ الحـكـيمـ عـثمانـ عـنـدـماـ يـذـكـرـ أنَّ الاستشـرـاقـ - فيـ مجـملـهـ - قـامـ تمـكـيـناًـ لـنـفـوذـ الـاحـتـالـلـ الغـرـبيـ،ـ وـلـيـمـهـدـ نـفـوسـ المـسـلـمـينـ لـقـبـولـ الـاحـتـالـلـ،ـ (٣)ـ وـيـؤـيدـ هـذـاـ المـذـهـبـ كـلـ مـنـ الشـيـخـ أـحـمـدـ بـشـيرـ،ـ (٤)ـ وـالـتـهـامـيـ نـقـرةـ.ـ (٥)

فيـ الجـانـبـ الآـخـرـ منـ نوعـ الـرـابـطـةـ يـرـىـ عـرفـانـ عـبدـ الـحـمـيدـ آـنـ الاستشـرـاقـ كـمـنـهـجـ عـقـليـ «ـلـقـاحـ مـنـ أـبـوـينـ غـيـرـ شـرـعـيـيـنـ:

(١) المقصود بالمقاومة الروحية هنا الجهاد. وجهود المستشرقيين والمحتلين في القضاء على الجهاد بين المسلمين وتشويهه معلومة، بحيث يظهر منهم من يتبنى أولاً أنه - في جانبه القتالي - دفاع عن النفس، ثم يظهر بعد ذلك من يدعى إلى بطلانه وأنه كان من مستلزمات انتشار الإسلام في أيامه الأولى.

(٢) انظر: عبد الرحمن حسن حينكـة الميداني. أجنحة المـكـرـ الثـلـاثـةـ وـخـواـفـيـهاـ.ـ مـرـجـعـ سـابـقـ.ـ صـ ١٢٧ـ -ـ ١٢٨ـ .ـ

(٣) انظر: محمود عبد الحـكـيمـ عـثمانـ.ـ جـهـودـ الـمـفـكـرـينـ الـمـسـلـمـينـ الـمـحـدـثـيـنـ فيـ مقـاـوـمـةـ التـيـارـ الإـلـخـادـيـ.ـ الـرـيـاضـ:ـ مـكـتبـةـ الـمـعـارـفـ.ـ ١٤٠١ـ هـ.ـ صـ ٤٨ـ .ـ ٦٧ـ

(٤) انظر: الشـيـخـ أـحـمـدـ بـشـيرـ.ـ الغـزوـ الـفـكـريـ وـالـتـيـارـاتـ الـمـعـادـيـةـ لـلـإـسـلـامـ.ـ مـرـجـعـ سـابـقـ.ـ صـ ٤٧٠ـ .ـ

(٥) انظر: التـهـامـيـ نـقـرةـ.ـ الـقـرـآنـ وـالـمـسـتـشـرـقـونـ.ـ فـيـ:ـ منـاهـجـ الـمـسـتـشـرـقـينـ فيـ الـدـرـاسـاتـ الـعـرـبـيـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ.ـ ٢ـ مـعـ.ـ الـرـيـاضـ:ـ مـكـتبـ الـتـرـيـةـ الـعـرـبـيـ لـدـوـلـ الـخـلـيجـ.ـ ١٤٠٥ـ هـ.ـ ١ـ :ـ ٢٥ـ .ـ

التبشير^(١) الذي خطّط له، والاستعمار الذي غَدَاه^٢. (٢) ويتفق معه في هذا مصطفى الشكعة، حيث يصف هذين الأبوين اللذين يسمّيهما (الصلبيّة التبشيريّة والاستعمار) بأنهما معاديان للإسلام، (٣) ولا بدّ من الموافقة على هذا الاتّجاه.

وإذا كان لا بدّ من التغليب هنا فلعل الرأي القائل بأنّ الاستشراق في بعض اتجاهاته جاء تمهيداً للاحتلال هو الرأي المرجح هنا، وذلك لأسباب عدّة منها:

أولاً: أنّ الاستشراق قد سبق الاحتلال في النشأة وفي تحديد الأهداف، مع الإحجام عن سرد الآراء الواردة حول بداية الاستشراق وتاريخه التي ورد نقاشها في الفصل الثاني من هذا الكتاب، ولو أخذنا باخراها من حيث البدء لوجدنا أنّ الاستشراق بدأ رسمياً عام ١٣١٢هـ / ١٧٥٢م بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي بإنشاء عدد من الكراسي العربية في الجامعات الأوروبيّة - كما مرّ ذكره -. وقبل ذلك كانت هناك حركات تشير إلى بدايات غير رسمية في السنوات ١١٣٠م،

(١) سبق القول إنّ أفضل بديل عربي إسلامي لمصطلح «التبشير» المصطلح «التبنّير» ل المناسبة الفكرية.

(٢) انظر: عرفان عبدالحميد. المستشرقون والإسلام. - مرجع سابق. - ص ٢٨ . ٢٩

(٣) انظر: مصطفى الشكعة. مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندرس. - في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. - مرجع سابق. - ٢ : ٢٨٧ .

(١) بينما كانت بدايات الاحتلال الفعلية في أواخر القرن الحادى عشر الهجرى / السادس عشر الميلادى وبدايات القرن الثانى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى . (٢)

ثانياً: من أسباب تخليب سبق الاستشراق على الاحتلال وكونه تمهدًا له أن الاستشراق عالج الفكر الإسلامى من خلال إضعافه للقيم والمُثل الإسلامية ، وفي المقابل تمجيده بطريق غير مباشر وغير واضح للقيم والمُثل الغربية المسيحية (النصرانية) ، (٣) ومن خلال التشكيك في التراث ، ومن قبله التشكيك في القرآن الكريم والستة الشريفة ، في سبيل إحلال مفهومات جديدة ، أو إعادة مفهومات جاهلية كالقومية والعرقية والشعوبية وهجر اللغة العربية الجامحة للأمة بالدعوة إلى تبني

(١) انظر: محمود حمدى زقزوق. الإسلام والاستشراق. - مرجع سابق. - ص ٤ . ٧ -

(٢) عند مناقشة نشأة الاستشراق في الفصل الثاني من الباب الأول كان هناك ميل إلى أن الاستشراق نشأ مع عودة المبعوثين النصارى من الأندلس وازدهار حركة الترجمة والنقل من العربية في أوروبا.

(٣) يقول عمر فروخ: «يجب التفريق بين النصرانية وال المسيحية. النصرانية هي الدين السماوي الذي أوحى إلى المسيح بن مريم (عليه السلام) وهو دين قائم على التوحيد وعلى أن المسيح عيسى بن مريم نبي. أمّا المسيحية فهي مجموعة التعاليم التي وضعها بولس (ت ٦٧م) والتي بُنيت على التثليث الهندي ثم نُسبت إلى (المسيح) الذي جُعل إلها». انظر: عمر فروخ. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة في: الإسلام والمستشرقون . مرجع سابق. - ص ١٢٥ .

اللهجات المحلية العامية^(١)، وتبني دعوى عجز اللغة العربية عن مسايرة التقدم العلمي. ومن خلال العمل على التشكيك في مفهوم الجهاد وتشويه مفهومه بأيدي بعض المستشرقين، كما بأيدي بعض المتممرين إلى بعض المحرّكات الإسلامية، والرّكون إلى التصوّف، على اعتبار أنّ هناك أدّعاءً بأنّ التصوّف يحمل الجهاد في سبيل الله في جانبه القتالي. وإنما الذي سعى إلى إهمال الجهاد وإبطاله تلك الملل والنحل التي صنعتها الاحتلال، ولم يكن التصوّف منها، إذ إنّ التصوّف قديم، وهو درجات^(٢) ومن خلال السعي إلى إلغاء تحكيم الشريعة الإسلامية في مجالات المعاملات خصوصاً، وفي مجال الزكاة والحجّ والصيام في العبادات.^(٣)

ثالثاً: أنّ بعض المستشرقين كانوا ساعداً قوياً في حركة الاحتلال، فمع الجيوش الحربية الاحتلالية كان هناك «جيش

(١) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم... مرجع سابق.- ص ١٧ - ١٨ . وانظر أيضاً: نفوس زكريا سعيد. تاريخ الدعوة إلى العامية وأثارها في مصر.- الإسكندرية: دار نشر الثقافة، ١٩٦٤ م. وانظر كذلك: نوال عبدالهادي. لغة الضاد بين التشكيك والتحديث... المجلة العربية.- ع ١٣٤ (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م).- ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) انظر: نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ١٢٠ .

(٣) انظر: محمد مصطفى الأعظمي. المستشرق شاخت والستة النبوية... في: مناجح المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.- مرجع سابق.- ١ : ٦٦ - ٦٧ .



المستشرقين الذي رافق الجيوش الاستعمارية وعمل كجناح فكري لها يساعدها على التخطيط الإستراتيجي الخاص بفرض السيادة الغربية واستمرارها في بلاد الشرق».^(١) وقد استخدموهم الحكومات المحتلة مستشارين لها في وزارات الاستعمار ووزارات الخارجية:

أ - فيذكر أنَّ أنتوني إيدن^(٢) وزير خارجية إنجلترا كان لا يَتَّخِذ قراراً ذا علاقة بالشرق الإسلامي حتى يدعو مجموعة من المستشرقين، ويعرض عليهم المسألة، ويستعين بآرائهم في اتخاذ قراره.^(٣)

ب - ولويس ما سينيون^(٤) المستشرق الفرنسي المعروف الذي

(١) انظر: محمد خليفة حسن. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر.. مرجع سابق.. ص ٣٢ - ٣٣.

(٢) أنتوني إيدن (١٨٩٧ - ١٩٧٧م) عمل وزيراً سنة ١٩٣٤ م. ثم وزيراً للخارجية (١٩٣٥ - ١٩٣٨م) ثم (١٩٤٠ - ١٩٤٥م) ثم رئيساً للوزارة سنة ١٩٥٥م. كان المحرك الأكبر لتحالف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في عدوانها الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م. انظر: المنجد في الأعلام.. ط ٢.. بيروت: دار المشرق، ١٩٧٩م.. ص ٦٥.

(٣) انظر: محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: عرض موجز لمواقف وأراء وفتاوي بشأن ترجمة القرآن الكريم مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ستٌّ وثلاثين لغةً شرقية وغربية.. ط ٢.. بيروت: دار الآفاق الحديثة، ١٤٠٣هـ.. ص ٩١.

(٤) لويس ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٢م) مستشرق فرنسي طاف البلاد الإسلامية، له أكثر من ٦٥٠ أثراً مطبوعاً. ركز كثيراً على التصوف حتى عُدَّ مرجعه في الغرب. كما ركز على الفرق كالشيعة والإسماعيلية والقراطمة والنصيرية. انظر: نجيب العقيقي المستشرقون.. مرجع سابق.. ١: ٢٦٣ - ٢٦٨.

زار بلاد الإسلام، كان مستشاراً في وزارة المستعمرات الفرنسية لشمال أفريقيا. ^(١)

ج - ومثله المستشرق الفرنسي دي ساسي^(٢) كان يشغل منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية منذ عام ١٨٠٥م. وعندما غزا الفرنسيون الجزائر سنة ١٨٣٠م كان دي ساسي هو الذي ترجم البيان الموجه للجزائريين. وكان يُستشار بانتظام في كثير من المسائل المتعلقة بالشرق من قبل وزارة الخارجية ووزارة الحرية.

د - والمستشرق الفرنسي إرنست رينان^(٣) كان يعمل مخططاً للاحتلال الفرنسي. ^(٤)

(١) انظر: محمد عابد الجباري. الرؤية الاستشرافية في الفلسفة الإسلامية: طبيعتها ومكوناتها الأيديولوجية والمنهجية... في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية... مرجع سابق.. ١: ٢٢٢.

(٢) البارون دي ساسي (١٧٥٨ - ١٨٣٨) انتُخب رئيساً للجمعية الآسيوية سنة ١٨٢٢م. أَلْفَ في الدروز وعُنِّي بهم. لقب بالبارون سنة ١٨١٣م جزاءً لجهوده وخدماته. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق.. ١: ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) إرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢م) تخرج في المدارس اللاهوتية. رَكَّزَ على الآثار غير العربية وحاولربط العلوم العربية بها. له أعمال في السامية. يُعدُّ من الفلاسفة. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... المراجع السابق... ١: ١٩١.

(٤) انظر إلى إشارات حول هذا عند إدوارد سعيد. الاستشراف... مرجع سابق... ص ٩٥ و ١٠١.



هـ - والمستشرق الفرنسي أيضًا هانوتو^(١) يكشف بوضوح عن مقتراحاته لتجيئ سياسة فرنسا في مستعمراتها الأفريقية الإسلامية، وما تهدف إليه هذه المقتراحات من إضعاف المسلمين في عقيدتهم حتى يسهل قيادهم.

و - وفي بريطانيا كان اللورد كرزون^(٢) في أوائل القرن الميلادي المنصرم من المتأممين جدًا لفكرة إنشاء مدرسة للدراسات الشرقية، باعتبار أنها تُعد جزءًا ضروريًا من تأسيس الإمبراطورية، وتحافظ على الموقع الذي نالته بريطانيا في الشرق. وقد تحولت هذه المدرسة المذكورة إلى جامعة لندن للدراسات الشرقية والأفريقية.

ز - وفي روسيا نجد المستشرق بارتولد^(٣) مؤسس مجلة مير

(١) ج. هانوتو (١٨٥٣ - ١٩٤٤) كان عضواً في المجمع اللغوي الفرنسي، وزيراً مؤرخاً من الطبقة الأولى. أشرف على وضع تاريخ الأمة المصرية. انظر: نجيب العقيقي. - المستشرقون. - المراجع السابق. - ١: ٢٧٠ . الهاشم.

(٢) جورج ناثائيل كرزون (١٨٥٩ - ١٩٢٥) سياسي بريطاني، عُين وكيلًا لوزارة الهند. ثم وكيلًا لوزارة الخارجية. طاف بأقطار الشرقيين الأوسط والأقصى وكتب عنها كتاباً عدّة. ثم عُين حاكماً عاماً للهند. ثم مديرًا لجامعة أكسفورد ثم وزيراً للخارجية. انظر: الموسوعة العربية الميسّرة. - ص ١٢٥٦.

(٣) ف. ف. بارتولد (١٨٦٩ - ١٩٣٠) أصبح أستاذًا للتاريخ الشرقي الإسلامي وله أكثر من ٤٠ مؤلف، ورئيسًا دائمًا للمجنة المستشرقين في هذا المجمع حتى وفاته. انظر: نجيب العقيقي. - المستشرقون. - المراجع السابق. - ٣: ٧٩ - ٨٠.

إسلام. وقد تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام بإجراء بحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الصغرى.

ح - وفي ألمانيا نجد المستشرق كارل هينرش بيكر^(١) صاحب مجلة دير إسلام (الإسلام) يقوم بدراسات تخدم الأهداف الاحتلالية الألمانية في أفريقيا، منذ سنة ١٨٨٥ - ١٨٨٦ م، في مستعمرات تضم مناطق بعض سكانها من المسلمين، وظلّت تحت السيطرة حتى سنة ١٩١٨ م. وكان له أثر بارز في تأسيس معهد اللغات الشرقية في برلين سنة ١٨٨٧ م.^(٢)

ط - وفي هولندا هناك المستشرق سنوك هورغرونيه^(٣) عالم

(١) كارل هينرش بيكر (١٨٦٧ - ١٩٣٣ م)، أشتهر بدراساته لأثر العوامل الاقتصادية والتفاصيل التاريخية والعناصر الإغريقية والنصرانية في الحضارة الإسلامية. وأنشأ مجلة الإسلام سنة (١٩١٠ م). كتب في موضوعات شتى قديمة وحديثة، له اهتمام واضح بشمال أفريقيا. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. - المرجع السابق. - ٤١٨ - ٤١٩.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوقي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. - مرجع سابق. - ص ٤٤.

(٣) كريستيان هورغرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦ م)، ولد لأب قسيس ودرس اللاهوت على أستاذ التوراة كوتزن. رحل إلى جاوة وأقام فيها سبع عشرة سنة في خدمة حكومتها. وحث الحكومة على (استبعاد) إقليم «أتشي»، لأنَّ الاحتلال سوف يزيد في الوسط الإسلامي كراهية كل شيء غير إسلامي. ومن ثمَّ فإنَّ سكانه سوف يقبلون ما يملئ عليهم من المفاهيم الأوروبية التي ترفع من شأنهم لأنَّ العقيدة الإسلامية تحثُّ على كراهية الكافر لتعصُّبها. انظر: قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتراضية. - مرجع سابق. - ص ١١٠ - ١١٣. - وفي صفحة ١١٤ يناقش المؤلف فكرة إسلام هورغرونيه إلى صفحة ١٣٧ فيرجع إليه لمَن أراد الاستزادة.

الإسلاميات الهولندي. وكانت لديه الاستعدادات للعمل في خدمة الاحتلال. وكان قد توجه إلى مكة المكرمة سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م بعد أن اشتعل اسمًا إسلاميًّا هو عبد الغفار. وأقام بمكة المكرمة ما يقرب من ستة أشهر، لم يكن منها شهر ذي الحجَّة. ^(١) وكان يجيد اللغة العربية، فكان له أثر مهمٌ في تشكيل السياسة الثقافية والاحتلالية في المناطق الهولندية في الهند الشرقية. وكان قد شغل مناصب قيادية في السلطة الاحتلالية الهولندية في إندونيسيا. ^(٢)

ي - وفي دراسات ليفي بروفنسال^(٣) عن الأندلس تبرز الروح

(١) انظر: ك. ستوك هورغرونيه. صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري / نقله إلى العربية محمد بن محمود السرياني ومراجع بن نواب مرزا... مكة المكرمة: النادي الفقافي الأدبي، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م - ٢ : ١٧ - ١٢. وانظر طبعة دارة الملك عبدالعزيز. نقلها إلى العربية علي عودة الشيخ، وأعاد صياغتها وعلق عليها محمد بن محمود السرياني ومراجع بن نواب مرزا... ٢ مج - الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م - ٧٢٧ ص. (سلسلة مكتبة الدارة المئوية).

(٢) انظر: قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتراضية... مرجع سابق - ص ١١٠ - ١٣٧.

(٣) ليفي بروفنسال (١٨٩٤ - ١٩٥٦م) مستشرق فرنسي ولد في الجزائر. عمل ضابطا في الشؤون الإسلامية في المغرب. أُنجز الدكتوراه في لغة جبلة شمالي المغرب. وحُجِّد سنة ١٩٣٩م في القيادة العليا لشمال أفريقيا. بعدها (١٩٤٣ - ١٩٤٤م) كلفته حكومته «مهام خطيرة» بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق. له آثار كثيرة ترَكَت في مجملها على الأندلس. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق - ١: ٢٩٣ - ٣٠٠.

الاحتلالية وبخاصة في مجال الصراع القبلي بين العرب والبربر.^(١)

رابعاً: السبب الرابع في أن الاستشراق جاء تمهيداً للاحتلال أن الاستشراق استُخدمه المحتلون في التسويغ للسيادة الاحتلالية قبل حدوث الاحتلال على الشرق. أي قبل حدوث سيطرة الاحتلال وربما «صناعة» القابلية للاحتلال، فقد كان التراث الاستشرافي بمثابة دليل للاحتلال في شعاب الشرق وأوديته،^(٢) من أجل فرض السيطرة على الشرق وإخضاع شعوبه وإذلالها.^(٣)

ولا يزال هذا الدليل قائماً مع انقسام سجابة الاحتلال الحسني وبقاء أصناف أخرى من الاحتلالأخذت مفهوم الهيمنة، حيث لا يزال الرؤساء والوزارات المعنية (الخارجية والحربية أو الدفاع) ومراكز البحوث التي تخدم هذا الغرض تستعين بليجان من المستشرقين في تسويغ المواقف المعادية لمنطقة الشرق الإسلامي. ولا تزال هذه اللجان ترصد تحركات

(١) انظر: محمد بن عبود. منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي... في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية.. مرجع سابق.. ٣٦٥.

(٢) انظر: محمد حسن خليفة. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر.. مرجع سابق.. ص: ٣٢٨ - ٣٣٣.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق.. مرجع سابق.. ص ٩٢ - ٩٥.

ال المسلمين في المنطقة، و تكتب عنها التقارير التي ترسل إلى الوزراء والرؤساء ليتّخذوا من خلالها قراراً لهم ، كما كان يفعل إيدن قبل .

بل إنَّ الزيارات والرحلات لا تزال تتوالى إلى المنطقة من قبل المستشرقين والعاملين في المعاهد الشرقية ، من أجل متابعة الصحوة أو الإحيائية الإسلامية التي عمَّت المسلمين ، وأفرزت بعض الحركات التي بان عليها العلو والتطرف ؛ بفعل أيدٍ أرادت لها ذلك ، ومن أجل الخروج من هذه الزيارات باستراتيجية ترمي إلى القضاء عليها من خلال الصاق بعض النعوت بها ، وتخويف بعض الحكومات منها ، وتشويه هذه الظاهرة بصورتها المشرقة من حيث المنطلقات والأهداف والغايات ، وبروز مفهوم جديد يخوِّف من الإسلام باسم الإسلاموفobia .^(١) والفصل الرابع من هذا الباب الخاص بموضوع الصحوة يناقش هذه الناحية .

إنَّ يكن القصد من هذا البحث إثبات قيام رابطة بين الاستشراق والاحتلال ، إلا أنه من الأولى التوكيد على سُبُق الاستشراق الاحتلال ، واستعماله ممهدًا له في الوصول إلى ما وصل إليه ، وإنْ يكن الاستشراق لا يزال قائماً بينما الاحتلال قد انتهى ، فإنَّ التوكيد على الأثر التمهيدي للاستشراق يقوِّي الرابطة

(١) انظر : فنسان جيسير . الإسلاموفobia: المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا .- مرجع سابق .- ١٩٢ ص . وانظر أيضًا : شمس إسماعيل حسن . هذا العالم لمن : زيف الإسلاموفobia .- مرجع سابق .- ٢١٤ ص .



ولا يجعل الاستشراق أثراً من مؤثرات الاحتلال، بل ربما قيل إنَّ الاستشراق كان - ولا يزال - ركيزةً من ركائز التخطيط للاحتلال قد تفوق الركيائز الأخرى، كالقوة العسكرية والاستخبارية والإمكانات المادية الأخرى.

وإن يكن الاحتلال قد أعاد الاستشراق في أشياءٍ فإنه أعاده في أشياء للاحتلال منها مردود. فقد أوحى الاحتلال للحكومات الغربية أنَّ تكتُّف من قيام المدارس والمعاهد ومراكز البحث التي تُعنى باللغات والعلوم الشرقية، والإسلامية منها بخاصةٍ. (١) ومن ثم شجّعت الحكومات الغربية حركة الاستشراق من خلال:

- الدعم المالي السخيّ بصورة مشروعات ومنح علمية وبحثية، وتحمّل تكاليف مشاركاتهم العلمية والفكريّة في المؤتمرات والندوات الدوليّة.
- حضور مسؤولين كبارٍ في الحكومات، مؤتمرات المستشرقين ومحاضرائهم وندواتهم ورعايتها والمشاركة في انطلاقاتها.
- اشتراك الحكومات في دوريات المستشرقين واقتناء منشوراتهم وإنماجهم العلمي والفكري.
- تخصيص جوائز الدولة التقديرية لهم.

(١) انظر: محمد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم..- مرجع سابق.- ص ٩٠.

وما إلى ذلك من عوامل التشجيع لهذه الحركة، ليس لأنها تخدم الشرق وتعرف به لدى الغرب، وإنما كان التشجيع وارداً من حكومات الشرق. وليس حباً في الثقافة والفكر والتراجم الشرقي، وإنما كانت المعاهد والمدارس نفسها في الشرق هي المحفزة لذلك. ولكن قصداً إلى التعرف المباشر على المجتمع الشرقي بكل مقوماته؛ سعياً وراء السيطرة عليه بأيّ شكل من أشكال الهيمنة. ^(١)

لا بدَّ من التوكيد هنا على أنَّ موقف المستشرقين هذا لم يكن موقفاً شائعاً بينهم، ولكنه كان موقف فريق منهم، سواء أكان هذا الفريق كثير العدد أم لم يكن كذلك. ومن الأمانة العلمية، وتحقيقاً لمنهج رباني يتكرر ذكره هنا – كما ورد في الآية الثامنة من سورة المائدة السابق ذكرها – أنْ يقال إنَّ هناك فريقاً منهم كان بعيداً عن السياسة بُعداً مباشراً، ولم يكن بحال متعاوناً مع الحكومات بقطاعاتها المختلفة، بما في ذلك القطاعات الاستخبارية، وإنما كان يسعى إلى تحقيق الأهداف العامة للاستشراق من خلال تركيزه على هدف واحد أو جزء من هدف. ^(٢) وهذه الفتنة الأخيرة هي

(١) انظر: خليل أحمد النظامي. عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم... في: الإسلام والمستشرقون.. - مرجع سابق.. - ص ١٠٦ - ١١١.

(٢) وجدت من تخصص في دراسة طريقة تحديد المسلمين قبلة للصلوة من مختلف الاتجاهات ومن خلال حسابات رياضية دقيقة. ووجدت من تخصص في إسهامات البيروني في مجالات شئ. ووجدت من تخصص في إسهامات ابن الهيثم كذلك.

التي ينظر إليها على أنّ منها من هم المنصفون الذين خدموا تراث المسلمين؛ قصدًا إلى خدمة هذا التراث ونتيجةً للإعجاب بهذا التراث،^(١) فانتهى الأمر ببعض منهم إلى الهدایة.

والخلاصة أنه كانت هناك رابطة قوية بين الاستشراق والاحتلال. وأنّ الاحتلال قد استفاد فأفاد كثيرًا من الاستشراق، كما أنّ الاستشراق قد استفاد فأفاد من الاحتلال. وأنّ هذه الرابطة قد أخذت ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنّ الاستشراق عمل على تمهيد الطريق أمام الاحتلال.

الوجه الثاني: أنّ الاستشراق كان وليد الاحتلال والتنصير.

الوجه الثالث: أنّ الاستشراق قد زامن الاحتلال، وعمل معه جنباً إلى جنب.

(١) موقف الإنصاف من بعض المستشرقين تجاه التراث الإسلامي لم يغب كثيراً منهم من الوقوع في الزلل غير المقصود. إما لأنهم رروا عن سبقهم من المستشرقين ولم يتبعوا إلى الإساءات التي غرسها سابقوهم، وإما لأنهم أرادوا أن يتلعلموا اللغة العربية ولم يتمكّنا منها، بحيث يستطعون فهم النصوص فهماً دقيقاً، أو أحياناً فهم الجمل والعبارات الفهم المتوقع منها فوقعوا في أخطاء كان من الأولى عدم الوقوع فيها، لو استشاروا علماء اللغة وعلماء التخصصات التي خاضوا فيها من أبناء المسلمين وعلمائهم. وأخطاؤهم هذه تردد عليهم ولا تخلى في النظرة إليهم على أنهم كانوا من المنصفين.

(٢) انظر: آرثر آبريري. المستشرقون البريطانيون... مرجع سابق. - ص ١٤

ولا يظهر تعارضٌ بين الأول والثالث. أمّا الوجه الثاني فينفيه عدم تقاربُ الاحتلال والتنصير في الزمن، فالتنصير قديم جدًا ببدأ قبل الإسلام^(١)، والاحتلال تأخر عنه. فهو وليد القرون الثلاثة المتأخرة.

واستمرار حركة الاستشراق بعد أ Fowler نجم الاحتلال لا يعدُ وجهاً رابعاً؛ لأنَّ مهمَّة الاستشراق لا تزال قائمة، وفكرة الاحتلال لازالت مستمرة، وإنْ أخذَ كُلُّ من الاتجاهين وجهة تناسب العصر والناس الذين يعيشون هذا العصر، مما يؤدِّي إلى الخروج بنتيجة مؤدَّها أنَّ استمرار الاستشراق إنما هو استمرار للوجه الثالث الذي زامن فيه الاستشراقُ الاحتلالَ.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير... مرجع سابق... ص ٢٩ - ٦٦.



الفصل الثاني

العلاقة بين الاستشراق والمستشرقين والتنصير والمنتصرين

التمهيد:

يقيم الإسلام حواجزً ضخمةً أمام المد التنصيري في كل مكان حل فيه دعاته وعلماؤه، على ما لهذا الجهد من تواضع. وقد أظهر واقع الأحداث التي عاشها المنصرون خطأ ما ذهب إليه القدماء من أنَّ الإسلام يُعدُ بالنسبة للشعوب البدائية خطوة أولى ممهدة لاعتناق النصرانية، فاعتناق الإسلام يقود الإنسان إلى الإيمان بوحدانية لها من القوَّة على النفوس ما يمكنها من تخصيصها ضدَ الدخول في أي نِحْلة لا تجعل من التوحيد منطلقاً لها، بعد أن يصير المرء مسلماً. (١)

وقد أبان الحديث عن نشأة الاستشراق ود الواقع الاستشراق

(١) انظر: محمد شامة. الإسلام في الفكر الأوروبي... القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.. ص ٢٢٢.



وأهدافه عن قيام علاقة قوية بين الاستشراق والتنصير. والتنصير كان دافعاً وهدفاً من جملة الدوافع والأهداف الدينية للاستشراق. وعشرون من تسعه وعشرين من طلائع المستشرقين كانوا منصرين أو رهباناً أو عاملين في الأديرة.^(١) بل إنَّ أول المستشرقين في نظر نجيب العقيلي، وهو جرير دي أورالياك (٩٣٨ - ١٠٠٣ هـ) كان من الرهبانية البندكتية.

ومع أنَّ الاستشراق قد بدا عليه التحرُّر من سيطرة المنصرين ونفوذهم، إلا أنَّ فكرة التنصير لا تزال عالقةً في أذهان بعض المستشرقين،^(٢) على اعتبار أنها كانت هي المنطلق الأول لهذا الاتجاه الفكري. وانشغال المستشرقين بالرهبنة قد لا يوحى للبعض بانشغالهم بالضرورة بالتنصير، وقد يصدق هذا على غير المستشرقين من المنشغلين بالرهبنة والأديرة والكنائس، ولكنه يبعد أن يصدق على مستشرق وجَّه جهوده العلمية إلى موقع للتنصير فيها مطامع قديمةً متجددةً.^(٣)

ويفرد نجيب العقيلي في الجزء الثالث من كتابه (المستشركون) فصلاً كاملاً عن المستشرقين الرهبان (الفصل الرابع عشر ٢٤٩ - ٣١٦). وهم موزعون على النحو الآتي:

(١) انظر: نجيب العقيلي. المستشركون... مرجع سابق.. ١: ١١٥ - ١٢٥.

(٢) انظر: بركات عبدالفتاح دويدار. الحركة الفكرية ضدَّ الإسلام... مرجع سابق.. ص ١٠١.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشركون والتنصير... مرجع سابق.. ص ٤٠ - ١٥.



- الرهبان البندكتيون.
- الرهبان الفرنسيسكان.
- الرهبان الكبّوشيون.
- الرهبان الكرمليّون.
- الرهبان الدومينيكيون.
- الرهبان البيض.
- الرهبان اليسوعيون.

وقد أوصل عدد المستشرقين الرهبان إلى مئة واثنين وثلاثين (١٣٢) مستشرقاً راهباً، ٧٥٪ منهم عاشوا في القرن العشرين المنصرم.^(١)

أما الفصل الخامس عشر من الجزء نفسه من الكتاب (المستشرفون) فقد خصّصه المؤلف للمستشرقين اللبنانيين، ورَكِزَ فيه على المدرسة المارونية، وأوصل عدد مستشرقها إلى ثمانية وثلاثين مستشرقاً مارونيّاً جعل نفسه آخرَهم.^(٢) أكثر من ٢٥٪ منهم عاشوا في القرن العشرين المنصرم.

إذاً كنا قد وصلنا إلى أنَّ الاستشراق في نشأته قد انطلق من الأندلس، وعلى يد تلامذة المسلمين من النصارى، فإنَّ التنصير قد انطلق أصلاً مع الحروب الصليبية بشكل أوسع من وفده نجران

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرفون..- مرجع سابق.- ٣: ٢٤٩ - ٣١٦.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرفون..- مرجع سابق.- ٣: ٣١٧ - ٣٣٨.

الذي قدم على الرسول ﷺ، فلا يدُو أنَّ وقد نجران كان يسعى إلى تنصير محمد ﷺ،^(١) وإنما جاء ليستجلِّي حقيقة الرسالة. ويمكن أن يُعد خطوة أولى في تحدي الإسلام بالنصرانية، تبعتها خطوات، حتى أضحت الصورة مع المحروب الصليبية.

ويأتي الاستشراق «البيصقل» التنصير ويكون له قاعدة المعلومات التي تمده بما يحتاج إليه من معلومات من وجهاً نظر استشرافية، قبل أن يقدم على مجرد التخطيط. والسؤال «صاموئيل» زويمر ١٨٦٧ - ١٩٥٢م، وهو منصر ومستشرق بالهواية في آنٍ واحد، يصدر دورية كاملة يستعين بها المنصرون على أداء مهماتهم في العالم الإسلامي، الذي بدأ عليه الاستحالة في التحول إلى النصرانية، فيعلنها زويمر نفسه أنه ليس الغرض من حملات التنصير في العالم الإسلامي أنْ يتحول المسلمون إلى نصارى، فقد ثبت التجارب استحالة هذا، ولكن مهمَّة التنصير في هذا القسم من العالم هو التحول عن الإسلام وكفى.^(٢) وقد صرَّح بهذا في مؤتمر القدس التنصيري المنعقد عام ١٩٣٥م.

(١) انظر: نذير حمدان. في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات...
مرجع سابق.- ص ١٠١.

(٢) انظر: علَّال الفاسي. التبشير أخطر أسلحة الاستعمار... الهلال.- ع ١
أكتوبر ١٩٧٣م / رمضان ١٤٩٣هـ... ص ٦٠ - ٧٠، وزويمر قد اتَّخذ من التنصير عملاً ومن الاستشراق هواية، ويزِّ الاستشراق في أعماله من خلال الدورية والكتب أو الإنتاج العلمي الذي صدر عنه. وطغيان التنصير عليه لا يُغفل إسهاماته في مجال الاستشراق، وقد ترجم له نجيب العقبي في المستشرقون على أنه مستشرق ورئيس المنصرين في الشرق الأوسط. انظر: نجيب العقبي. المستشرقون...- مرجع سابق.- ٣: ١٣٨.

كما يأتي المستشركون – كما يقول محمود محمد شاكر – رحمة الله – في صياغة له راقية – ليصبحوا جنود النصرانية الشمالية «الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر، ورضوا لأنفسهم أن يظلوا مغمورين في حياة بدأت تموج بالحركة والعنى والصيت الدائع، وحبسوا أنفسهم بين الجدران المختفية وراء أكdas من الكتب مكتوبة بلسان غير لسان أمهم التي يتامون إليها، وفي قلوبهم كل اللهيب الممض الذي في قلب أوروبية، والذي أحدهته فجيعة سقوط القسطنطينية في حوزة الإسلام، ولكن لا هم لهم ليلاً ولا نهاراً إلا حيازة كنوز علم دار الإسلام بكل سبيل، تتوهّج أفئتهم ناراً أعلى من كلّ ما في قلوب رهبان الكنيسة، ولكنهم كانوا يملكون من القدرة الخارقة أن يخالطوا أهل الإسلام في ديارهم، وعلى وجوههم سميماء البراءة واللين والتواضع وسلامة الطوية والبُشْر». ^(١)

ويضيف محمود محمد شاكر في هذا الجانب فيقول: «ويفضل هؤلاء المتبّلين المنقطعين عن زخرف الحياة الجديدة، وبفضلهم وحدهم وبفضيل ملاحظاتهم التي جمعوها من السياحة في دار الإسلام ومن الكتب، ويدلّوها لمملوك المسيحية الشمالية نشأت طبقة الساسة الذين يُعدُّون ما استطاعوا من عدّة لردّ غائلة الإسلام ثم قهره في عقر داره، ولتحقيق الأحلام والأشوّاق التي

(١) انظر: محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا... القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م... ص ٢ - ٧٥... (سلسلة كتاب الهلال؛ ٤٢٢).

كانت تخامر قلب كلّ أوروبي أنْ يظفر بكنوز الدنيا المدفونة في دار الإسلام وما وراء دار الإسلام. وهم الذين عُرِفوا فيما بعد باسم رجال «الاستعمار». وبفضلهم وحدهم أيضًا، وبفضل ملاحظاتهم التي زوَّدوا بها رهبان الكنيسة ثارت حمَيَّة الرهبان ونشأت الطائفة التي نذرت نفسها للجهاد في سبيل المسيحية، وللدخول في قلب العالم الإسلامي لكي تحوّل من تستطيع تحويله عن دينه إلى الملة المسيحية، وأنْ يتنهي الأمر إلى قهر الإسلام في عقر داره - هكذا ظنوا يومئذ - وهذه الطائفة هي التي عرفت فيما بعد باسم رجال «التبشير». فهذه ثلاثة متعاونة متآزرة متظاهرة، وجميعهم يد واحدة لأنهم إخوة أعيان، أبوهم واحد، وأمهُم واحدة، ودينهما واحد، وأهدافهم واحدة ووسائلهم واحدة»^(١).

ويصعب جدًا أنْ تقوم حركة تنصير في بيئه ما دون معرفة هذه البيئة معرفة ثقافية ودينية وسياسية وتاريخية واجتماعية شاملة. وتتأتى هذه المعرفة عن طريق الاستشراق، حتى إنَّ أحد الكاتبين أراد أنْ يقسم التنصير إلى نوعين. التنصير الصريح والتنصير المختفي. والتنصير الصريح يكون علميًّا نقاشيًّا، أو سلطويًّا تشكيكيًّا، ويكون أيضًا بالعنف، فالتنصير العلمي هو

(١) انظر: محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.. المرجع السابق.. ص ٣ - ٧٥.

ما جاء عن طريق المستشرقين. أما التنصير بالعنف فهو ماجاء عن طريق الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش واحتطاف الأطفال، ثم تلاه الاحتلال.^(١)

والتنصير الخفي أو المختفي هو ما يأتي عن طريق الإرساليات الطبية والتعليمية المهنية والفنية والجمعيات الخيرية الاجتماعية وغيرها.^(٢) ويلاحظ أنَّ جزءاً من العالم الإسلامي لا يزال يسمّي الممرضة إلى اليوم «سيستر» (sister)، وهي الأخت في عالم الرهبنة، بينما أوروبا وأمريكا لا تسمّيها إلا الممرضة (nurse).

وهناك بعثات تنصيرية توغلت في مجتمعات المسلمين واكتسبت شهرة عالمية وتعاطفاً لم يسلم منه بعض أبناء المسلمين، مثل بعثة الأم الراحلة تيريزا في الهند (١٩١٠ - ١٩٩٧م)، التي لم تعلن يوماً أنها جاءت إلى شبه القارة رغبة في بسط تعاليم المسيح، ولكنها تُظهر دائماً رغبتها في احتضان المشكلات الصحيحة والطيبة وعلاجها، والقضاء على الأوبئة والأمراض المعدية، يعمل معها فريق من الممرضات الهنديات ذوات التأثير الفعال في مجتمعهن. ولا تبرز في عمل الأم تيريزا

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة.. التنصير.. مرجع سابق.. ص ٦٧ - ٧٥.

(٢) انظر: عثمان الكعاك. صفحات سوداء من تاريخ المبشرين.. الهلال.. س ٨١ ع ١٠ (أكتوبر ١٩٧٣م / رمضان ١٣٩٣هـ).. ص ٣٨ - ٤٩.



العلاقة الواضحة بينها وبين الاستشراق، ولا يمكن للمتعاطفين معها أن يربطوا بينها وبين المستشرقين، كما أن العلاقة تضعف هنا إذا أدركنا أنها توجّه جهودها نحو الهندوس ابتداءً ثم إلى المسلمين الهنود، وإن لم تكن هناك علاقة قوية فلا شك أنّ منطلقها كان عن طريق هؤلاء المستشرقين الذين أعادوها على التعرّف على البيئة التي تعمل بها. وقد حازت على جائزة نوبل للأعمال الإنسانية سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. (١)

وأمثال الأمم تيريزا كثيرة في آسيا وأفريقيا تحاول، بقدر الإمكان الابتعاد عن الأصوات الخشية الالتفات إلى الأغراض الحقيقة لهذه الأعمال التي تخفي وراء مفهوم «الإنسانية». كما تحاول الابتعاد عن إبراز وجود علاقة بين العلم – الآتي عن طريق المستشرقين – والدين الذي تتبناه، على ما شاع من العداوة بين العلم والدين في العقيدة النصرانية المتأخرة، فإذا برزت هذه العلاقة ظهر التناقض وخفت حدة التأثير على المستهدفين.

ومن المعلوم أنّ نهاية المنصرين إنما قامت على أيدي المستشرقين، سواء أكان هؤلاء المستشرقون من الرهابنة والقساوسة أم كانوا بعيدين عن الألقاب الدينية. يقول محمد عبدالفتاح عليان: «لم يكن عمل المستشرقين منفصلاً عن عمل

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة.. التنصير.. مرجع سابق.. ص ١٠١ - ١٠٣.

المبشرين، فالاستشراق في نشأته ما هو إلا أداة التبشير - ثم استغلَّ في مرحلة لاحقة - لتحقيق مطامع الدول الاستعمارية. وقد نزل كثير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية إلى ميدان الاستشراق بقصد التبشير وتدريب المبشرين على العمل في بلاد الشرق». (١) فتعلّموا العربية ودرسوا الإسلام واهتموا بالنقل والترجمة وأقاموا المطابع العربية.

وقد سبقت الإشارة إلى القول بأنَّ الاستشراق قد وُلد من أبوين غير شرعيين، هما الاحتلال والتنصير. فالاستشراق في مجمله لا يزال يعمل من أجل هذا الغرض الذي وجد من أجله، وإنما تغيير الأساليب والطرق والوسائل ملائمةً للزمان والمكان. ويجد المرء أهداف المنصرين واردةً في أعمال بعض المستشرقين التي وجدت رواجاً بين المنصرين في معاهمدهم وإرسالياتهم ومؤتمراتهم، بل وجماعاتهم المقامة في العالم الإسلامي على شكل مناهج ودراسات في مجال الإنسانيات. (٢)

ولا بدَّ من الالتفات من قبل المنصرين إلى المجتمع الغربي نفسه، فالتنصير لم يكن موجهاً إلى آسيا وأفريقيا فحسب، ولكن

(١) انظر: محمد عبد الفتاح عليان. أضواء على الاستشراق... مرجع سابق... ص ٢٤.

(٢) انظر: أنور الجندي. الإسلام في وجه التغريب: مخطّطات التبشير والاستشراق... مرجع سابق... ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

أوروبا وأمريكا حظيتا بنصيب وافر أيضاً من حملات التنصير التي أرادت توكييد قوّة الكنيسة، لا سيما بعد أن بدأت المعلومات عن الإسلام تتسرب إلى المجتمعات الأوروبيّة، وبخاصة منها المفهومات الصحيحة عن الإسلام، «فاستعان التنصير هنا بالاستشراق في الافتراء والتتشريع على الإسلام وتشويه أحكامه الإلهية العادلة»،^(١) فصدّا إلى الحدّ من انتشار الإسلام في أوروبا نفسها، في الوقت الذي تَسْجُه فيه الأنظار إلى تنصير معاقل الإسلام. ومعلوم أنَّ الطريق إلى تحقيق غايات التنصير يبدأ قطعاً بتجريد الأمة من اتماءاتها العقدية أولاً. يقول وليم جيفرد بالغراف: «متى توارى القرآن ومدينة مكّة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أنْ نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه»^(٢) وقد صدق بالغراف إذا قصد أنَّ محمداً ﷺ وكتاب الله تعالى قد أبعدا المسلمين عن وثنية الحضارة.

ومحاولة ربط علاقة بين الاستشراق والتنصير على وجه العموم تصطدم بوجود مجموعة من المستشرقين الموصوفين

(١) انظر: علي جريشة ومحمد شريف الزبيق. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي... مرجع سابق. - ص ٢٠.

(٢) انظر: أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامي / لِحَصْنَهَا ونقلها إلى اللغة العربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب... ط ٢... جَدَّ: منشورات العصر الحديث... - ص ٩٣ - ٩٤.



بالعلمانيين واليهود الذين لا يتصورُ منهم أن يكونوا مدفوعين بخدمة التنصير، أو أن تكون من أهدافهم خدمة الكنيسة. فهذه الفتنة من المستشرقين تتناقض في منطلقاتها مع الكنيسة. وعليه فلا بدّ هنا من الاحتراز من خلال الابتعاد عن التعميم الذي قد يفهم عند الحديث عن الروابط بين الاستشراق والتنصير.

ولا بأس في هذا، إلا أنه لا بدّ من التنويه إلى أمرين أساسين في محاولة إيجاد علاقة بين الاستشراق والتنصير على وجه العموم :

أولاً: أنَّ العلمانيين من المستشرقين لم يستطعوا بحال أن يتخلوُ عن ميولهم الكنيسية، لا سيما فيما يتعلق بإنتاجهم العلمي حول العالم الإسلامي، وإن كانوا يعلنون رسميًا وفي أكثر من مجال أنهم علمانيون يرفضون التقيد بدين معين، فهذا قد ينطبق على ممارستهم في حياتهم الخاصة، ويصعب عليهم عملياً تطبيق علمانيتهم على إنتاجهم الفكري.

ثانياً: أنَّ التنصير استفاد من المستشرقين اليهود فائدة جليلة، وإنْ تكن فائدة غير مباشرة. وترجع هذه الفائدة إلى الارتباط الوثيق بين الصهيونية واليهودية – كما سيأتي بحثه – والارتباط الوثيق بين الصهيونية وكثير من رجال الدين النصراني، وعليه نشأت العلاقة الوثيقة بين النصرانية واليهودية، وإنْ لم تبدُ هذه العلاقة بارزةً معلنًا عنها في

السابق، أما اليوم فقد أعلنت الرابطة بين طائفَةٍ من النصارى والصهيونية.^(١)

ويكفي أن نعلم أنَّ زعيمًا من زعماء المنصّرين - وهو مستشرق بالهواية - «السموأل» صموئيل زويمر - كان في الأصل يهوديًّا وأنه قد استدعي أحد الحاخامات عند احتضاره، لعله أراد أنْ يلقنه الطقوس اليهودية عند الموت.^(٢) إلا أنَّ محمد بن فارس الجميل يعتب على الذين يرجعون زويمر إلى اليهودية، ولا يرى من خلال نظرته للיהودية مسوًغاً لذلك.^(٣) والقاعدة أنَّ المثبت أولى من النافي.

ولم يكن زويمر يدُعَا في قومه، فقد اذْعى النصرانية جمُّعُ منهم وانخرطوا في الرتب الكهنوتية، مما مكّنهم من فرض آرائهم على الكنيسة، وتوجيهها الوجهة التي يريدون. واستطاعوا بمساعدة الجمعيات السرية كال масونية وأنديتها

(١) انظر: القس إكرام لمعي. الاختراق الصهيوني للمسيحية... القاهرة: دار الشروق، ٢١٦ ص. وانظر أيضًا: محمد عبدالمجيد عبدالفتاح. كلام في الممنوع: الاختراق اليهودي للفاتيكان، الموساد - الفاتيكان - وتصدير العالم؛ ملْفُ قاتم وتقارير سوداء... القاهرة: المؤلف، ٢٠٠٥ م. - ٢٤٢ ص.

(٢) انظر: عبدالله التل. جذور البلاء... ط ٢. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٨/١٣٩٨ هـ - ص ٢٢٨. وربما نقاش أحدهم هذه الفكرة ولم يقبل أنَّ أصله يهودي بحجج الاحتفاء به وإقامة معهد تصويري باسمه في لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية، وتحميل اليهودية أخطاءه فقط.

(٣) انظر: محمد بن فارس الجميل. النبي ﷺ ويهود المدينة... مرجع سابق. -



كارلروتاري والليونز،^(١) وغيرها أن يهدموا قوّة الكنيسة في أوروبا وأمريكا، وأن يوجّهوا ويوجّهوا الحكومات إلى المبادئ الصهيونية، ثم اتجهوا إلى الإسلام طمعاً في هدم القوّة الروحية فيه وتوجيه أهله إلى المادّة.

وبذلك يضمنون عدم معارضة خططهم الهادفة إلى الهيمنة على بلاد المسلمين هيمنةً مباشرةً أو غير مباشرةً.^(٢) وهذا واضح جلي في مواقف القسّيس الأوروبيين والأمريكيين من اليهودية ومن الإسلام، لا سيّما منهم أولئك الذين يحتلّون أماكن مرموقة في الإعلام الأمريكي عن طريق الإذاعة والتلفزيون والصحافة، بل ويفرج الإعلام عند ظهور أي إساءة للإسلام والمسلمين، مثلما حصل مع ذلك القسّيس الذي أشاع أنه سيحرق نسخاً من المصحف الشريف مع حلول الذكرى التاسعة من حادثة يوم الثلاثاء ١٤٢٢/٦/٢٢ هـ الموافق ١١/٩/٢٠٠١ م، الأمر الذي كان سيحدث ردود فعل غير عادية في المجتمعات المسلمة.

إنْ لم يكن المنصّرون يهوداً وكان المستشرقون يهوداً فإنَّ المنصّرين قد أفادوا كثيراً من نتاج المستشرقين اليهود في

(١) انظر: أحمد شلبي. - الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ١٨٨ - ١٩٥.

(٢) انظر: أحمد الزغبي. الفكر الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي. - بحث مقدم للييل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية. قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة باليارض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. - ٣: ١٠٤٦ . ٣ مج.

مدارسهم وأدیرتهم وكنائسهم ومعاهدهم وجامعاتهم، كما استفادوا أيضاً من نتاج المستشرقين العلَمانيين الذين استطاعوا أن ييرزوا انفعالهم عن الكنيسة، ولكنهم لم يستطعوا طرْق أبواب الإنصاف والتراة، فكانوا أدواتٍ في أيدي حكوماتهم المحتلة أفادت منهم وأفاد منهن التنصير، فأضجعوا الاستشراق في شطريه «عاملاً مع الكنيسة أو عاملاً مع وزارات الاستعمار لا يستطيع أن يخلص إلى الحق، وإنما هو يؤدي دوره في إثارة الشبهات وتقدمي الزاد الكافي للدراسات التبشير ومعاهد الإرساليات لخلق ظاهرة من انتقاص العرب والمسلمين وفکرهم ولغتهم وعقائدهم». ^(١)

الفرق بينهما:

لأنَّ الاستشراق يعمل كـ«قاعدة معلومات» للتنصير كان لا بدَّ أن تكون هناك فروق في المنطلقات بين الاستشراق والتنصير، وإنْ اتفقت الغايات العليا لهاتين الوجهتين: فالمنصر «داعية» للدين النصراني المسيحي، أو هو داعية لخروج المسلمين عن دينه فحسب، أمَّا المستشرق فهو باحث في تراث المسلمين وقيمهم ومفاهيمهم وأخلاقياتهم يبتُّ نتائجه في دراساته وبحوثه وكتبه ومحاضراته، كلَّ هذا عن طريق المنهج العلمي.

(١) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.. - مرجع سابق.. - ص ٩١.

والمنضّر ينطلق رحالة يجوب البلاد قراها وريفها، يعظ أو يعالج أو يعلم أو يدرب أو يفلح الأرض، أمّا المستشرق فقابع في مكتبه ومركز بحوثه وجامعته لا يكاد ييرجع بلاده إلا إذا دعته ضرورة البحث إلى «رحلة علمية» يجوب فيها البلاد التي يدرسها أو يقف منها على مكان بعينه.

والمنضّر صريح - نسبياً - في دعوته واضح فيها، وإنْ حاول إخفاءها تحت ستار خدمة الإنسانية. ولكنه لا يتردد في أنْ يعلق الصليب على صدره، أو في مكتبه أو عيادته أو معمله أو مدرسته، وربما أفرد فيها مكاناً أو زاوية للنشريات التي يعمل لها وبها، أمّا المستشرق فباطني - في الغالب - يتظاهر بالعلمية والمنهجية والتجرُّد والموضوعية، وإنْ كان من القساوسة أو الرهبان، ويحاول الوصول إلى أغراضه الباطنة ممتنعياً صهوة العلم والتجرُّد، وكأنّي به ممتنعياً صهوة حصان من خشب، مشعرًا الآخرين أنَّ هذا الحصان ذو صهيل تطرب له الآذان «وتشنف» له الأسماع، وقد وفق بعضهم - دون شكٍ - في إشعاع بعض «الآخرين» بهذا، فانقاد له بعضهم، وتبيّن له الآخرون، فأخذوا منه ورثوا، وكان ماردوه عليه أكثر مما أخذوه منه.

والمنضّر ينطلق من مؤسّسات ومعاهد ومدارس وجامعات ومستشفيات ومراكز تدريب في البلاد التي يعمل بها، أو في مركز في قارة يعمل بها، كما يَتَّخِذ من بعض عواصم العالم العربي مركزاً له في الانطلاق إلى أدغال أفريقيا، وبعض عواصم

الشرق الأقصى في الانطلاق إلى جبال آسيا وسهولها. ولا يكاد يحلُّ في بلد له فيها شأن إلا ويقيم فيها مركزاً دائمًا له على شكل كنيسة أو مدرسة أو عيادة أو نحوها، بينما تكون علاقة المستشرق بالبلاد التي يياشر أعماله فيها مقصورة على زيارة خاطفة، يلقي خلالها محاضرة أو يحضر اجتماعاً لمجمع هو عضو فيه، أو يلبي دعوة من رئيس جامعة أو مؤسسة علمية؛ قصداً إلى الاستشارة وإبداء الرأي. ولا تربطه بهذه البلاد روابط قوية، وقد تنتهي حياته وهو لم يقم بزيارة سريعة لبلاد كثُر حولها إنتاجه النظري، حتى بات يعرف طرقها ومسالكها وقديمها وحديتها.

يقول نذير حمدان بعد محاولة إيجاد الفروق في الوسائل بين المستشرقين والمنصرين: «ويبدو لي من خلال تتبع ترجم كثيرة للمستشرقين والمنصرين أنَّ الدافع الكنسي (المخطط) نظم فئة على البحث والفكر فكان (المستشرقون)، وجماعة قادرة على الأسلوب الدعوي الإعلامي فكان (المنصرون)، ثم التحامت الفئتان والجماعتان وكانت (الاستشراق التنصيري)». ^(١)

ويبدو الاستشراق التنصيري وأصبحاً عندما تبرز فكرة أنَّ

(١) انظر: نذير حمدان. في الغزو الفكري.- مرجع سابق.- ص ١٨٦ - ١٨٨.
وانظر أيضًا: محمد ياسين عرببي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي.- مرجع سابق.- ص.

كثيراً من احترفوا الاستشراق ويزروا فيه «بدأوا حياتهم العملية بدراسة اللاهوت قبل التفرغ لميدان الدراسات الاستشرافية، وكانهم أرادوا أن يتسلّحوا بمعرفة كافية بالعقيدة المسيحية، قبل الخوض في غمار الحرب المبطنة التي أرادوا شنّها على الإسلام. وظلَّ الكثير منهم يتولّ وظائف دينية وتبشيرية، وله مكانة كنسية مرموقة. ورغم محاولات بعضهم نفي هذه التهم والإعلان عن حيادهم وأنهم إنما يقصدون من دراساتهم وجه العلم والحقيقة، فقد لازم التعصُّبُ الديني أكثرَهم، وبدا بين سطور ما يكتبون، وإن لم يعلنوا عنه صراحة وجهاً»^(١).

قد ينصُّبُ الذهن على الاتِّجاه إلى أنَّ هؤلاء الذين بدأوا حياتهم العملية بدراسة اللاهوت هم جملة من طلائع المستشرقين الذين يتحدَّثُ عنهم نجيب العقيقي في الجزء الأوَّل، في الصفحتَيْن من ١١٠ إلى ١٢٥. ولا بدَّ من التوكيد هنا على أنَّ هذه الظاهرة امتدَّت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين / التاسع عشر والعشرين الميلاديين. ولعلَّ من أبرز هؤلاء المستشرقين المنصَّرين «الأب هنري لامانس ١٨٦٢ - ١٩٣٧ م ودنكن بلاك ماكدونالد ١٨٦٣ - ١٩٤٣ م والأب آسين بلايثيوس ١٨٧١ - ١٩٤٤ م، وشارل دوفوكول(؟)، وسنوك هورغرونيه ١٨٥٧ - ١٩٣٦ م. والملاحظ أنَّ هؤلاء المستشرقين

(١) انظر: نبيه عاقل. المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي -. مرجع سابق -. ص ١٩٨.

المنصّرين قدموا من أوروبا وأمريكا وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا
 (١) وهو لندن».

ويقدم المستشرق الفرنسي اليهودي مكسيم رودنسون المولود عام ١٩١٥، تسويفاً لانشغال المنصّرين بالاستشراق / أو انشغال المستشرقين بالتنصير بقوله: «لقد أدت الوضعية الحقيرة التي وجد العالم الإسلامي نفسه فيها إلى تشجيع المبشّرين المسيحيين، حيث وجدوا مجالاً واسعاً للعمل، وبذلوا مجهودات في اتخاذ موقف الهجوم والتبيير، وتضليلوا من العراقيل التي وضعها أمامهم كلُّ من الفقه الإسلامي والإداريين الاستعماريين أنفسهم، حيث خشي هؤلاء من ردود مختلفة لأعمال مكشوفة أكثر من اللازم. وفي نطاق الاتّجاهات الإنسانية العادلة وبمؤازرة مع الأفكار العامة للعلوم في وقتهم كانوا يربطون نجاح الدول الأوروبيّة بدينهم المسيحي، كما كانوا يربطون تقهقر العالم الإسلامي بالإسلام. وهكذا اعتبروا المسيحية مؤيّدة بطبعتها للتطور، واعتبروا الإسلام مؤيّداً للركود والتأخّر الثقافي، فاتّخذ الهجوم على الإسلام أعنف الصفات، وشرع المجددون في تزيين الحجج والبراهين الشائعة خلال القرون الوسطى واتّخذوا مظاهر تجديدية». (٢) عبارة مهمة تنسخ في موضع سابق.

(١) انظر: محمد بن عبد. الاستشراق والتخيبة العربية. - مرجع سابق. - ص ٢١٥ - ١٩٩. (يتأكّد من النص).

(٢) انظر: محمد بن عبد. الاستشراق والتخيبة العربية. - المراجع السابق. - ص ٢٠٢.

ولم يستطيع كثير من المستشرقين – على العموم – التجرُّد من هذه النظرة الفوقيَّة للإسلام، ومن الشعور بتفوق النصرانية عليه، وكان لهذا أثره في نظرتهم للإسلام من خلال مرأة نصرانية، حيث طبَّقُوا عليه القيم النصرانية وأفكارهم المسبقة. فال المسيح – عليه السلام – في نظر النصارى هو أساس العقيدة، ولذا تنسب الديانة إليه، والنصرانية شبه مهملة لفظاً ومعنى. وحاول المستشرقون تطبيق ذلك على الإسلام، فمحمد ﷺ يعني أن يكون عند المسلمين كال المسيح عند النصارى، ولهذا يطلقون على الإسلام «المحمدية»، أو «المذهب المحمدي» وعلى الشخص المسلم «محمدي»، فيغفل الإسلام لفظاً ومعنى، ويبقى المذهب بشريًا صاغه ذلك المصلح العبرى محمد في مكَّة والمدينة.

ويخرج النصارى إلى بشرية الإسلام وإلهية النصرانية على اعتبار أنَّ المسيح لديهم هو ابن الله.^(١) أو ربما عند البعض هو الإله، الذي لم يتزوج ولم يحارب ولم يُقدِّم أمَّة، بخلاف محمد المزروج – زعموا – المحارب السياسي القائد رجل الدولة المستفيد من الحضارات والثقافات التي سبقته أو عاصرها، جمع منها جميًعاً مجموعة من الطقوس والأحكام والسلوكيات، وحاول أنْ يظهر منها بدین جديد يسمِّيه الإسلام :

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق. – مرجع سابق. – ص ٢٢.



- فيأخذ من الماجاهيلية صلاة الجمعة، وصوم عاشوراء، وتطهير البيت الحرام، وحظ الذكر في الميراث وكونه مثل حظ الأنثيين، والتkickير، والأشهر الحرم، والحج والعمرة، ونف الإبط، وحلق العانة، والوضوء والاغتسال، والختان وتقليم الأظافر.
- ويأخذ من الصابئة الصلوات الخمس، والصلاحة على الميت وصيام شهر رمضان والقبلة وتعظيم مكّة وتحريم الميتة ولحم الخنزير، وتحريم الزواج من المحارم.
- ويأخذ من الهندية والفارسية قصة المعراج، والجنة وما فيها من الولدان والحرور العين، والصراط المستقيم.
- ويأخذ من اليهودية قصة قابيل وهابيل، وقصة إبراهيم الخليل عليه السلام - وقصة ملكة سبا، وقصة يوسف الصديق - عليه السلام -^(١).
- ويأخذ من النصرانية قصة أهل الكهف وقصة مريم العذراء، وقصة طفولة عيسى - عليه السلام -.

وليس المقصود هنا دحض هذه الشبهات والتصدي لها، فقد قام بهذا التصدي علماء مسلمون أجلاء، ولكنها هنا

(١) انظر: إبراهيم خليل أحمد. الاستشراف والتبيير وصلتهما بالإمبريالية العالمية... القاهرة: مكتبة الوعي العربي. ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.. ص ٦٧



محاولة لإثبات قوّة الرابطة بين التنصير والاستشراق، وأنّ الاستشراق قد عمل على توصية السموّال زويمر في إخراج المسلمين من دينهم، دون النظر إلى إدخالهم في النصرانية من خلال تشويه الإسلام وإضعاف قيمته، وتصوّره للرأي العام الأوروبي والأمريكي بصورة مزريّة بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر،^(١) ومن خلال معاونة المستشرقين على ثبيت هذه الاتهامات وتوكيدها وتوجيههم فيها، وتخصّص كل فريق منهم في بعضها يروّجونها في مؤلفاتهم ودراساتهم، مع إدراهم «أنها لا تعدو أن تكون دسائس مغرضةً وإشعاعاتٍ ملقةً لمحاربة الإسلام وتشويه مفاهيمه. فالاستشراق والتبشير عدوٌ واحد له هدف واحد يسعى ليدركه، وهو تشويه الإسلام، ليصل من وراء ذلك إلى تمزيق المسلمين وإشاعة البلبلة في أفكارهم وبين صفوفهم لثلاث يلتقوّا فيرجعوا من عزّتهم ما كان».^(٢)

ولعل هذا يكون مسوّغاً واحداً من مجموعة من المسوّغات التي تفسّر بداية الاستشراق وانطلاقه من الكنيسة بإنشاء أول مركز لتعليم اللغة العربية في الفاتيكان، لتخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين وعلماءهم ومفكريهم، ويقتضي ذلك

(١) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد العربية... مرجع سابق... ص ٤٦.

(٢) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق... مرجع سابق... ص ١٢٧.



رحيل الرهبان إلى المشرق والمغرب الإسلاميين لتعلم اللغة العربية وعلوم الإسلام للغاية نفسها.^(١)

على أنَّ بعض الباحثين في الاستشراق والمستشرقين يحاول من خلال الاستقراء أنْ يصنفُهم حسب قوَّة اندفاعهم ل لتحقيق أغراض التنصير. فالكاثوليك مثلاً أعمى من غيرهم. والفرنسيون أشدُّ تعصيًّا ضدَّ الإسلام ورسوله. فمن النادر أنْ نقرأ لمستشرق فرنسي شيئاً طيباً عن حياة الرسول ﷺ، كما يشير حسين مؤنس.^(٢)

وهناك من يرى أنَّ المستشرقين الألمان هم أكثر المستشرقين نزاهةً، لأنَّ دوافع التنصير والاحتلال لم تكن بارزة فيهم، إذ لم تحتلّ ألمانيا بلدًا مسلماً، ولم تهتمّ بنشر الدين النصراني في الشرق.^(٣) ومع هذا لم يخلُ الاستشراق الألماني من آراء خاطئة تماماً أو «لا توافق العرب والمسلمين» أو نقصٍ أو غلطٍ، ولكنها - على رأي صلاح الدين المنجد - رحمة الله

(١) انظر: أحمد عبد الرحيم السابغ. العلاقة بين الاستشراق والتنصير. - أخبار العالم الإسلامي. - مجل ٢٤ ع ١١١٠ (ومابعد) (١٤٠٩هـ، ٢٠١٤). - وانظر: العدد ١١١٢ (١٩٨٨م). - ص ١٠ و ١٤.

(٢) انظر: محمد أحمد مشهور الحداد. الاستشراق والمستشرقون. - أخبار العالم الإسلامي. - مجل ٢٣ ع ١٠٧٤. - ص ١.

(٣) انظر: صلاح الدين المنجد. الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله. - الهلال. - مجل ٨٢ ع ١١ (شوال ١٣٩٤هـ / نوفمبر ١٩٧٤م). - ص ٢٢.



تعالى - غير قابلة للتعميم.^(١) ولا ينبغي أن نتعود التعميم في إصدار الأحكام العلمية الموضوعية المجردة.

ويُسْعى المنصفون من المُحَلِّين لحركتي الاستشراق والتنصير إلى عزل فتة من المستشرقين عن هذه العلاقة الحميمة، في الوقت الذي يقرؤون فيه وقوع المستشرقين في أخطاء مقصودة أو غير مقصودة، أفاد منها التنصير. يقول محمد حسين علي الصغير: «إننا لا نستطيع أن ننفي هذه التهم التنصيرية جملة وتفصيلاً، فلهذه التهم أصل من الصحة، ولا يمكننا أن نزيف جميع الجهود الاستشرافية وننسمها بالتبشير، ففي هذا بعض الغلو والتطرف، ولكننا نستطيع أن ننزعه قسماً وننفهم قسماً آخر، فالمستشرقون بشر، والبشر فيه الموضوعي وفيه السطحي، والمستشرقون مجتهدون، وقد يخطئون المجتهدون وقد يصيب».^(٢)

أما صفتهم بالبشرية فواردة، وأمّا وصفهم بمجرد الاجتهاد فأمر يحتاج إلى نظر، لا سيّما إذا كان المقصود الاجتهاد الخالص في علوم المسلمين، إذ إنّ من مقومات الاجتهاد في

(١) انظر: صلاح الدين المنجد. المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية. ط٢. ج١. بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م - ص٧ - ١٣.

(٢) انظر: محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية - مرجع سابق - ص ١٦.

ذلك الإخلاص والصواب، وليس من الإنفاق للمستشرقين أن نرقى بهم إلى هذه الدرجات، فإن تحقق الإخلاص لم يتحقق الصواب، وإن تحقق الصواب - فرضاً - لم يتحقق الإخلاص.

ومع هذا فعلينا ألا نغفل العلاقة القوية بين الاستشراق والتنصير والصلة الوثيقة بينهما، وأن تاريخ التنصير مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الاستشراق، وهو لا ينفصلان عن تاريخ الاحتلال السياسي والفكري والأخلاقي.^(١) وأن الآراء الاستشرافية كانت ولا تزال «تُنشر في المؤسسات التي أنشأها التبشير كالمستشفى، والمدرسة والجامعة، والمعاهد والنادي الاجتماعية، وكذلك كانت الآراء الاستشرافية تُنشر في أكبر وسيلة عبر الكلمة المكتوبة من كتب ودوريات ومجلات ومحاضرات وندوات ومؤتمرات».^(٢)

ولا بأس من أن نختتم هذا الفصل في تثبيت العلاقة بين الاستشراق والتنصير بعبارة أوردها قاسم السامرائي للسؤال «صموئيل» زويمر مع الإحجام عن التعليق، يقول السؤال زويمر: «إنَّ من جملة المطالب في الجريدة العربية بل وأولها: الحقُّ التاريخي؛ لأننا نعرف أنَّ أصقاعاً واسعةً في الشرق الأدنى

(١) انظر: قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتراضية... مرجع سابق... ص ٥١.

(٢) انظر: عدنان محمد وزان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر... مرجع سابق... ص ٦١.

كانت نصرانية، والآن إسلامية، وأنَّ المطالبة بشمال أفريقيا وسوريا وإيران وفلسطين والجزيرة العربية وأسيا الوسطى حقُّ للنصرانية في استعادتها . . . يجب أنْ نعيد كسب الجزيرة العربية لدِينِ المسيح من أجل كرامة الكنيسة ومن أجل كرامة اسم المسيح ومن أجل شهداء نجران الذين ذكرهم القرآن. إنَّ الجزيرة العربية هي مهد الإسلام. وإنَّ المُحَمَّديين في حاجة إلى بشرة الإنجيل بنفس الحاجة التي يحتاجها الآخرون (من غير النصارى)، إنَّ الإسلام ليس هرطقةً نصرانية، بل إنه كذلك ليس ديناً غير نصراني - إنَّ الإسلام عدوٌ للنصرانية في أصولها وأخلاقها وتاريخها وحياتها». (١)

* * *

(١) انظر: قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتراضية.. مرجع سابق.. ص ٥٠ - ٥١.



الفصل الثالث

الاستشراق في خدمة اليهود واليهودية

التمهيد:

إذا كان المستشرقون بمجملهم قد عملوا على تحقيق أهداف عدّة، على رأسها الأهداف الدينية ثم الاحتلالية والسياسية والتجارية والعلمية، مدفوعين بدوافع متشابهة، فإنَّ هذه الأهداف - عدا العلمية - إلى اليهود أُلصق منها بغيرهم من المستشرقين، رغم ماتركته الحروب الصليبية من إصرار الصارى على العودة إلى «الديار المقدسة» بأيٍّ شكل من أشكال العودة. واليهود أكثر إصراراً على العودة بعد أن أجلّاهم الرسول محمد ﷺ من المدينة المنورة،^(١) ومن الجزيرة العربية وعلى يد

(١) انظر: محمد بن فارس الجميل، النبي ﷺ ويهود المدينة. - مرجع سابق. - ص ١٦١ - ١٧٦ . والكتاب برمته يتحدث عن إجلاء اليهودية من المدينة. وانظر أيضاً: محمد بن فارس الجميل، إجلاء النبي ﷺ لليهود عن المدينة (٢ - ٥ هـ / ٦٤٢ - ٦٤٥ م). في: السجل العلمي لقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر المنعقد في المدينة المنورة ١٢ - ١٤٢٨/٥/١٤ - ٩٢ - ٣١ - ٢٠٠٧/٥/٣١ م - ٢٦٦ - ٢٢٣ . الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣١ هـ - ص ٢٢٣.

ال الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عندما أدرك «أنَّ الدولة الإسلامية لا يمكن أنْ ترسخ في شبه جزيرة العرب مادام اليهود فيها يشرون أهلها على الدولة ويفقرونها بالربا الفاحش». ^(١)

ليس الباحث بقصد التوسيع في سرد تاريخ اليهود وعلاقتهم بال المسلمين، منذ البعثة المحمدية - على صاحبها الصلاة والسلام -، ولكن يكفي أنْ يتقرَّر هنا أنَّ دخول اليهود مضمّن الاستشراق إنما تدفعه بواعث عرقية قديمة، لم تكن وليدة القرون المتأخرة. وأنَّ اليهود يتطلّعون إلى العودة إلى خير والمدينة المنورة «يشرب» عن طريق القدس والخليل. فعندما احتلَّ اليهود القدس سنة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م دخلها وزير الدفاع آنذاك موشى ديان مع الحاخام الأكبر شلومو غورين، وبعد أنَّ أدى صلاة الشكر عند حائط البراق الشريف قال: «الليوم فتحت الطريق إلى بابل ويشرب». وتقول رئيسة الوزراء السابقة غولدا مائير وهي في إيلات: «إنني أُشمُّ رائحة أجدادي في خير». ويقول: هرتزوج لامرأة مسلمة ضيّق عليها اليهود المحنّق حتى هدموا دارها بالجرافات فأثرت الرحيل إلى المملكة العربية السعودية حيث أبناؤها: «إذا رأيت الملك فيصل فقولي له إنناقادمون إليه، فإنَّ لنا أملاكاً عنده، إنَّ جدَّنا إبراهيم هو الذي بني

(١) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التشier والاستعمار الغربي.- مرجع سابق... ص ١٨٠.

الكعبة وإنها ملكتنا، وسنسترجعها بالتأكيد». (١) هذه أقوال من أقوال قادة يهود يملكون - نوعاً ما - القرار السياسي والعسكري.

ومن هذا المنطلق يسعى اليهود إلى الوصول إلى هذه الأهداف مستخددين وسائل شتى، من ضمنها الاستشراق بالمفهوم الذي يناقش فيه هنا، ولذا لم تغفل الجامعات اليهودية الدراسات الإسلامية والعربية فأنشأت أقساماً مستقلة لها، بل هي الآن وبحكم قربها من العالم العربي والإسلامي أكثر تأثيراً من بعض مراكز الدراسات العربية والإسلامية ومعاهدها في البلاد الأخرى، وتُتاح لها من الظروف والإمكانات مالا يتاح لتلك المراكز والمعاهد، حيث العناية بالبحث العلمي والحرص على دعمه والإنفاق عليه، وحيث تبلغ نسبة المخصص للبحث العلمي في الدولة اليهودية في فلسطين المحتلة ٢٦٪، وذلك مقارنة بما تُنفقه أمريكا ٣,٦٪ والسويد ٣,٨٪ وسويسرا واليابان ٢,٧٪ وفرنسا والدنمارك ٢٪، بينما لا تتجاوز هذه النسبة في البلاد العربية مجتمعة ٢٪. (٢)

وقد حاول المستشرقون اليهود في البدايات الأولى للاستشراق التكتم على انتقامتهم اليهودي، ونظروا إلى أنفسهم،

^{١٩} انظر: إسماعيل الكيلاني، لماذا يزيفون التاريخ ويعيشون بالحقائق؟! - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م - ص ٣١.

(٢) انظر المقارنات على الموقع : <http://www.swissinfo.ch/ara/front.html> . (22/11/1430h-10/11/2009g)

وأرادوا من الآخرين أن ينظروا إليهم، على أنهم مستشرقون فحسب، وقلّ منهم من صرّح بيهوديته.^(١)

ويأتي اتجاه اليهود نحو الاستشراق إلى الشعور بانتمائهم للسامية، وأنهم والعرب - منشأ الإسلام - يعودون إلى أصول واحدة. فدرسوا العبرانية في البداية، وجرّتهم دراسة اليهودية إلى دراسة الإسلام، عندما أرادوا أن يُبرزوا الأثر اليهودي في الإسلام، كما أراد المستشرقون النصارى إبراز الأثر النصراني في الإسلام.

وما الاستشراق اليهودي إلا امتداد لموقف اليهود عموماً من العرب والمسلمين، ذلك الموقف الذي لم يكن ولد القرون المتأخرة، بل صاحب الإسلام منذ أيامه الأولى في المدينة المنورة. ولذا نجد أنَّ جانب الإنصاف والتزاهة بين المستشرقين اليهود يقلُّ كثيراً عنه بين المستشرقين النصارى أو الملحدين من غير اليهود. وهذا رد فعل طبيعي أملته الجذور التاريخية للعلاقة بين المسلمين واليهود.

وهناك عوامل عدَّة تعيق التعرُّف على المستشرقين اليهود، منها ما له علاقة بالموضوع، وهو أنهم قد تغللوا - تقريرياً - في شتَّى وجوه نشاط المستشرقين وأسهموا فيها، ودخلوا في

(١) انظر: محمد جلاء إدريس. الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة... القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م - ص ٧٧ - ٨٦.



التصنيفات التي أعطيت للمستشرقين، من حيث اهتماماتهم وميولهم و موضوعاتهم و فئاتهم ومدارسهم و تحيزهم و نحو ذلك.

ومع هذا فهناك محاولات للتعرف عليهم من خلال بعض الظواهر ذات الدلالة، أو من خلال تقسيم المستشرقين إلى فئات يكون اليهود منهم غالباً في إحدى هذه الفئات.

لذا نجد صعوبة في تحديد حقيقة المستشرقين من حيث الخلافية العرقية، ويرصد نجيب العقيقي تسعه وعشرين مستشراً قا عاشوا بين القرنين الرابع والعشر الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين، ويعدهم طلائع المستشرقين، فلا نجد منهم يهوداً إلا اثنين تنصراً هما يوحنا بن داود الإسباني، ويوحنا الإسبيلي، اللذان عاشا في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي.^(١) وتنصراًهما قد يؤيد الرأي القائل بأنَّ المستشرقين اليهود تعمدوا إخفاء حقيقتهم.

وقد أورد محمد بن عبود مجموعة من الأسماء اللامعة في عالم الاستشراق اليهودي لعلَّ من المناسب إثباتها هنا.^(٢) مع الاستعانة بنجيب العقيقي في كتابه المستشرقون وعبدالرحمن

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ١ : ١١٢.

(٢) انظر: محمد بن عبود. الاستشراق والنخبة العربية.. مرجع سابق.. ص ٢٠٩ - ٢١٠.

بدوي في موسوعة المستشرقين ويحيى مراد في معجم أسماء المستشرقين للتعرف عليهم. ومنهم من لم يذكره محمد بن عبود، ومنهم من لم يترجم له نجيب العقيقي أو عبدالرحمن بدوي أو يحيى مراد، وجاء ترتيبهم هنا حسب تاريخ وفاة كل منهم.

١ - ولعل أبرز المستشرقين اليهود إيناس جولدتسايهير ١٨٥٠ - ١٩٢١م، وهو مستشرق مجرب (هنجاري)، اتجه إلى دراسة العبرانية، وتخرج باللغات السامية، ثم اهتم بالعربية والإسلام، ونشر أبحاثه بالألمانية والفرنسية والإنجليزية.^(١) وبعد من الذين أسهموا في تغيير الدراسات العربية الإسلامية تغييراً جذرياً، إذ وضع خطة عامّة اتبّعها مستشرقون بارزون بعده، واعترفوا له بأنه أعطى الدراسات العربية والإسلامية في الغرب قالباً جديداً.^(٢)

٢ - ومن أبرز المستشرقين اليهود غوستاف فون غرونباوم ١٩٠٩ - ١٩٧٢م، وهو نمساوي الأصل، تخرج في جامعة فيينا وبرلين، وانتقل إلى الولايات المتحدة

(١) انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ط٤. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣م. ص٢٠٠٣ - ٢٠٣.

(٢) انظر: محمد بن عبود. الاستشراق والتخيّبة العربية. مرجع سابق. ص٢٠٧. وربما كتب اسم «جولدتسايهير» الأول بالجيم «إيجناز»، وإنجاز، وإنجاز، وإنظر أيضًا: نجيب العقيقي. المستشرقون. مرجع سابق. ٣: ٤٠ - ٤٢.

الأمريكية يتنقل بين جامعاتها، ويغلب على إنتاجه اهتمامه بالأدب العربي.^(١)

٣ - مستشرق آخر فرنسي معاصر وهو كلود كاهين، (١٩٠٩ - ١٩٩١م)، تخرج باللغات الشرقية في السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا، وحاضر في مدرسة اللغات الشرقية، وُعيّن أستاداً لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة ستراسبورج ثم جامعة باريس. ويغلب على أعماله التركيز على التاريخ.^(٢)

٤ - سليمان مونك ١٨٠٥ - ١٨٦٧م، وهو немاني الأصل فرنسي الشأن والوفاة، يتكلّم الألمانية والفرنسية والعربية والعبرية والفارسية والسنڌكريتية، وأكثر آثاره دراسات ضمنها شهريات المجالات الفرنسية.^(٣)

٥ - كارل بول كازباري ١٨١٤ - ١٨٩٢م، مستشرق ألماني،

(١) انظر: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. - مرجع سابق. - ص ١٨٢ - ١٨٣، وانظر أيضاً: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق. - ٣: ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) انظر: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. - مرجع سابق. - ص ٤٦٠ - ٤٦١، وانظر أيضاً: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق. - ٣: ٣٤٢ - ٣٤٦.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق. - ١: ١٨١ - ١٨٢، وانظر أيضاً: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. - مرجع سابق. - ص ٥٧١ - ٥٧٣.



تحوّل إلى النصرانية معتقداً الكاثولوكية، واشتهر بتفسير التوراة، له القواعد العربية باللاتينية، وقد أشرف على نشر كتاب تعليم المتعلّم للزرنوجي وطبعه.^(١)

٦ - جيمس دارمشتير ١٨٤٩ - ١٨٩٤ م، مستشرق فرنسي، من أساتذة معهد فرنسا، تتبع المهدى منذ نشأة الإسلام إلى ١٨٨٥ م، وركّز على آثار فارسية وزرادشتية.^(٢)

٧ - جوزيف ديرنبورغ ١٨١١ - ١٨٩٥ م، من مستشرقي فرنسا، عُني عنابة تامة بالتلמוד، وأصبح من كبار علماء العبرية والعربية، وتوفي بباريس، غلبت على تصانيفه اللغة والأدب.^(٣)

٨ - مورتر شتانشنايدر ١٨١٦ - ١٩٠٧ م، مستشرق ألماني، تعلم العربية في النمسا، وعمل في المكتبة البوذية، وفي مكتبة برلين الوطنية. يغلب على إنتاجه الضبط الوراقى

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق. ٢ : ٣٧٠، وانظر أيضاً: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٥٥١.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق. ١ : ٢٠٨، وانظر أيضاً: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق. ١ : ١٨٥ - ١٨٦، وانظر أيضاً: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٢٤١، ويسميه «جوزف داتبور»، وانظر كذلك: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(البليوجرافي) للمخطوطات العربية والترجمات. ويزّع اهتمامه باليهودية من خلال آثاره.^(١)

٩ - هارتغ ديرنبورغ ١٨٤٤ - ١٩٠٨م، أو «هرتونغ ديرنبورغ»، وعن نجيب العقيقي «أنه ابن جوزيف ديرنبورغ» السالف ذكره، وعن محمد بن عبود أنه أخوه. وهو من مستشرقين فرنسا، ولادته بباريس، ودرس العربية بألمانيا، وعيّن أستاذًا للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس، ثم في مدرسة الدراسات العليا، ثم يقسم المخطوطات بمكتبة باريس الوطنية، وكانت له صولات وجولات مع المخطوطات في الأسكندرية ومدريد وغرناطة. له آثار عدّة في اللغة والأدب.^(٢)

١٠ - إدوارد جلازر ١٨٥٥ - ١٩٠٨م من المستشرقين النمساويين، وكانت وفاته بميونخ - ألمانيا، عيّن مساعدًا أستاذ للغة العربية بجامعة فيينا، طاف في بلاد العرب في آسيا وأفريقيا، خرج منها بألف واثنين وثلاثين من الكتابات

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ٢ : ٣٧٢، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٤٧٤ - ٤٧٥.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ١ : ٢٠٣ - ٢٠٤، ٢٠٤، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٢٤٢، ويسميه «هرتونج دارنبور».

القديمة على الأحجار، ومئتين وخمسين من مخطوطات

الزيدين في اليمن، ونشر كتابات حميرية.^(١)

١١- سيموند كرانكيل ١٨٥٥ - ١٩٠٩ م.^(٢)

١٢- ديفيد إبراهاموفيش سورسون ١٨١٨ - ١٩١١ م، مستشرق

روسي، تحول إلى النصرانية معتقداً اللوثيرية، كان

متخصصاً باللغة العربية، ويتقنها، ويُعدُّ من مؤسسي المدرسة الروسية للدراسات الإسلامية.^(٣)

١٣- يوليوس ليبرت ١٨٦٦ - ١٩١١ م، مستشرق ألماني، رَكَّزَ على الطب عند المسلمين، لا سيما طب العيون، وله فيه آثار، منها أطباء العيون عند العرب في مجلدين، عاونه فيه هيرشبرغ ومتفوخ.^(٤)

١٤- ويلهلم باكر ١٨٥٠ - ١٩١٣ م، من المستشرقين الألمان، رَكَّزَ جُلَّ اهتماماته على فارس.^(٥)

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشركون... مرجع سابق... ٢: ٢٨١، وانظر أيضاً: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين... مرجع سابق... ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٢) انظر: محمد بن عبد. الاستشراق والتبخة العربية... مرجع سابق... ص ٢١٠ - ٢٠٩.

(٣) انظر: محمد بن عبد. الاستشراق والتبخة العربية... المراجع السابق... ص ٢١٠ - ٢٠٩.

(٤) انظر: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين... مرجع سابق... ص ٦٢٨.

(٥) انظر: محمد بن عبد. الاستشراق والتبخة العربية... مرجع سابق... ص ٢١٠ - ٢٠٩.

- ١٥ - جوزف هاليفي ١٨٣٧ - ١٩١٧ م، مستشرق تركي الأصل فرنسي النشأة، يعدُّ من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بالسوربون، تقمص شخصية متسلّل يهودي وجال بجنوب بلاد العرب، ووصل إلى نجران، وعاد معه بستَّ مئة وستَّة وثمانين نقشاً من كتابات قديمة، وركَّز في بحوثه على السامية وما يتعلّق بها. ^(١)
- ١٦ - هيرمان ريكندروف ١٨٦٣ - ١٩٢٤ م من المستشرقين الألمان، انتصر لدراسة اللغات السامية والمصرية والسنكريتية والصينية. عيّن أستاذًا للعربية في فرايبورغ. ركَّز في دراساته على النحو العربي مع دراسات في الأدب. ^(٢)
- ١٧ - يوليوس هيرشبرغ ١٨٤٣ - ١٩٢٥ م مستشرق بولوني، طبيب عيون، متخصص بتاريخ اليهود في الجزيرة العربية، كتب عن السموأل وديوانه، وله آثار ركَّز فيها على اليهود في المجتمع الإسلامي. ^(٣)

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق... ١ : ١٩٩ - ٢٠٠ وانظر أيضًا: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين... مرجع سابق... ص ٦٠١ - ٦٠٢.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق... ٢ : ٤١١، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين... مرجع سابق... ص ٤١٧.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق... ٢ : ٣٨٥، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين... مرجع سابق... ص ٧١٤.

١٨- ديفيد سانتيلانا ١٨٥٥ - ١٩٣١ م من مستشرق إيطالي، ومن مواليد تونس. درس القانون واشتهر بالفقه الإسلامي. وضع القانون المدني والتجاري لتونس بدعة من المقيم الفرنسي فيها، وقد أخذ كثيراً من الشريعة الإسلامية، درس بمصر الفلسفة الإسلامية واليونانية والسريانية، آثاره يغلب عليها الفقه والقانون والفلسفة.^(١)

١٩- جوزيف هورفتش ١٨٧٤ - ١٩٣١ م من المستشرقين الألمان، درس العربية في جامعة عليكرة بالهند، وتخصص بالإسلام في الهند، انتقل إلى ألمانيا ودرس بجامعة فرانكفورت، وُعدَّ من أشهر أساتذتها، له مصنفات وأثار في معارف كثيرة.^(٢)

٢٠- ماكس سوبر هايم ١٨٧٢ - ١٩٣٢ م.^(٣)

٢١- ج. برجمانسر ١٨٨٦ - ١٩٣٣ م من المستشرقين الألمان، درس الفلسفة واللغات السامية والعلوم

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق... ١: ٤٢٨ ، وانظر أيضاً: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين... مرجع سابق... ص ٣٤١ - ٣٤٤.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق... ٢: ٤٣٢ - ٤٣٣ ، وانظر أيضاً: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين... مرجع سابق... ص ٦٢١ - ٦٢٢.

(٣) انظر: محمد بن عبود. الاستشراق والتخيّبة العربية... مرجع سابق... ص ٢٠٩ - ٢١٠.



الإسلامية، ودرّس اللهجات العامية. زار تركيا ومصر وعمل فيها. سقط على أحد جبال الألب فمات. له آثار عدّة عن القرآن الكريم والفقه الإسلامي. (١)

٢٢ - هرتفج هيرشفيلد ١٨٥٤ - ١٩٣٤ م مستشرق ألماني، عُني بالدراسات السامية. وكتب عن السموأل وشعره والشعر المنسوب له، كما كتب عن حسان بن ثابت، وله دراسات في اليهودية والإسلام. (٢)

٢٣ - ريتشارد جوتهيل ١٨٦٢ - ١٩٣٦ م من المستشرقين الأميركيين، تخرج في جامعات ألمانيا. أتقن العربية على يد شيخ من مشايخ الأزهر. درّس في كولومبيا. تنوّعت آثاره من حيث الفنون التي طرقها. (٣)

٢٤ - أ. ي. فنسك (ونسنك) ١٨٨٣ - ١٩٣٩ م مستشرق هولندي، أتقن اللغات السامية، وتخصص في أديان الشرق،

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق. - ٢: ٤٥٠ - ٤٥١، وانظر أيضاً: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين... مرجع سابق... ص ٨٧ - ٨٥.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق. - ٢: ٤٠٠، وانظر أيضاً: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين... مرجع سابق... ص ٧١٤.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق. - ٣: ١٣٥ - ١٣٦، وانظر أيضاً: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين... مرجع سابق... ص ٢٨٠.

وعني بالحديث الشريف، ووضع مع مجموعة من المستشرقين المعجم المفهوس لألفاظ الحديث، ولم يتمه، وتولى دائرة المعارف الإسلامية، اهتم ب موقف الرسول - عليه الصلاة والسلام - من اليهود. وله آثار أخرى. ^(١)

٢٥- ديفيد السموأل «صموئيل» مورغليوث ١٨٥٨ - ١٩٤٠ م مستشرق إنجليزي، دخل سلك الرهبنة، ويعُد من أئمة المستشرقين، كتب بالعربية بسلامة، وهو صاحب نظرية الانتقال في الشعر الجاهلي، له آثار ومباحث وتحقيقات عدّة. ^(٢)

٢٦- أوجيست ميتفوخ ١٨٦٧ - ١٩٤٢ م مستشرق ألماني، تخصص في فقه اللغات السامية، ورَكَز على فقه اللغة الجبشية والسبئية وتاريخ جنوب الجزيرة العربية. شارك في نشر كتاب أطباء العيون عند العرب مع ليرت وهيرشبورغ السالفي الذكر. وحاول ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمهرية. ^(٣)

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق. ٢: ٣١٩ - ٣٢٠، وانظر أيضًا: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٤١٧ - ٤١٨.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق. ٢: ٧٧ - ٧٩، وانظر أيضًا: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٥٤٦.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق. ٢: ٤٢٠ - ٤٢١.

- ٢٧- بول كراوس ١٩٠٤ - ١٩٤٤ م مستشرق نمساوي من مواليد براغ، تقلّد مناصب تعليمية عدّة في ألمانيا وفرنسا ومصر. شهد له أعلام المستشرقين بالعمق والشمول والتفرد، وكان يتوقّع له مستقبل باهر. إلا أنه أنهى حياته بنفسه. ركّز على إسهامات المسلمين العلمية. ^(١)
- ٢٨- ماكس مايرهوف ١٨٧٤ - ١٩٤٥ م من المستشرقين الألمان، تخرّج طبيباً وزاول الطبّ في مصر، تعلم اللغات في القاهرة، لا سيّما اللهجات التي تتحدّثها القاهرة، وعالج فقراءها مجاناً ودرس الطبّ العربي، وكتب عنه كتابات مرجعية، ولو فيه آثار عدّة. ^(٢)
- ٢٩- شاده ١٨٨٣ - ١٩٥٢ م مستشرق ألماني، تخرّج باللغات الشرقية، ودرّس في هامبورج وفي مصر، عُني بكتابته عن بعض الأدباء المعاصرين. ترجم ونشر مجموعة من الدراسات والشروح. ^(٣)

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ٢ : ٤٧٢ - ٤٧٣ ،
وانظر أيضاً: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٤٦٧ - ٤٦٤ ،

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ٢ : ٤٣٣ - ٤٣٦ ،
وانظر أيضاً: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٥٤٣ - ٥٤٠ ،

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ٢ : ٤٤٨ - ٤٤٩ ،
وانظر أيضاً: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .

٣٠ - كارل بروكلمان ١٨٦٨ - ١٩٥٦ م مستشرق ألماني ، تخرج باللغات السامية ، وانتشر بلغته العربية والتاريخ الإسلامي والأدب العربي ، ودرّسها في جامعات شّئ . وانتشاره بالأدب العربي لم يقتصر على المفهوم الشائع للأدب العربي ، بل إنَّ مؤلفاته تشير إلى تضلعه من إسهامات المسلمين في شّئ مجالات المعرفة . وقد بُرِزَ اطلاعه في كتابه تاريخ الأدب العربي وكتابه تاريخ الشعوب الإسلامية . وأثاره غير يسيرة . وترجم لمجموعة كبيرة من أعلام المسلمين في دائرة المعارف الإسلامية .^(١)

٣١ - إيفارست ليفي - بروفنسال ١٨٩٤ - ١٩٥٦ م من مستشرقين فرنسي ، ولد بالجزائر ، درس بها ، ثم درس بال المغرب العربي ، وركَّز على لغة جبلة شمالي المغرب . أمضى معظم وقته في الشمال الأفريقي يدرّس ويبحث ، تخصص كثيراً في الأندلس وعُدَّ مرجعاً فيه ، وله فيه باع طويل من البحوث والدراسات . ووُجِدَ في سماحة الإسلام نحو اليهود في الأندلس ما ينقض العنصرية والاضطهاد اللذين عانى منها اليهود في حياته ، ولذا بُرِزَ حنينه إلى الأندلس وأهلها .^(٢)

(١) انظر: نجيب العقيقي . المستشرقون ... مرجع سابق . - ٢ : ٤٢٤ - ٤٣٠ ، وانظر أيضاً: عبدالرحمن بدوي . موسوعة المستشرقين . - مرجع سابق . - ص ٩٨ - ١٠٥ .

(٢) انظر: نجيب العقيقي . المستشرقون . - مرجع سابق . - ١ : ٢٩٣ - ٣٠٠ ، وانظر أيضاً: عبدالرحمن بدوي . موسوعة المستشرقين . - مرجع سابق . - ص ٥٢٢ - ٥٢٠ .

٣٢- ليو أريه ماير ١٨٩٥ - ١٩٥٩ م من المستشرقين النمساويين، اختير رئيساً لمعهد العلوم الشرقية في القدس. وأصدر حولية في الآثار والفنون الإسلامية بلغات عدّة، ركّز على فلسطين في آثاره.^(١)

٣٣- لويس ماسينيون ١٨٨٣ - ١٩٦٢ م مستشرق فرنسي، تلمذ على مشاهير المستشرقين، وكانت له صولات وجولات علمية وعسكرية في الشرق، واهتم بالتصوّف، وكتب عنه بدائرة المعارف الإسلامية، وحضر دروس علماء الأزهر وتزيّأ بالزيّ الأزهري. له من الآثار ما يربو على ستّ مئة وخمسين بين مصنّف ومحقّق ومترجم ومقالة ومحاضرة وتقرير ونقد. له أيداد «بيضاء» على الحركة الاحتلالية في العالم العربي.^(٢)

٣٤- وليام بوير ١٨٧٤ - ١٩٦٣ م مستشرق أمريكي، ومن أعمال المستشرقين في أمريكا، تنقل بين البدو وأخذ عنهم لهجاتهم وقصصهم، وعاد إلى الولايات المتحدة ودرّس بجامعة كاليفورنيا. واصل جهود سابقيه في نشر كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.^(٣)

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ٢ : ٢٨٦ - ٢٨٧ ، وانظر أيضاً: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٥٣٨

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ١ : ٢٦٣ - ٢٨٦ ، وانظر أيضاً: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٥٣٥ - ٥٢٩

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ١ : ١٣٩ - ١٤٠ .

٣٥ - روبين ليفي ١٨٩١ - ١٩٦٦ م مستشرق بريطاني، تعلم في جامعات نورث ولسون وينجور وأكسفورد. عمل في العراق، وأقام في أمريكا، وعاد إلى بريطانيا، له آثار في فارس وال伊拉克 وغيرهما.^(١)

٣٦ - جورجيو ليفي دلا فيدا ١٨٨٦ - ١٩٦٧ م من المستشرقين الإيطاليين، أستاذ العربية واللغات السامية المقارنة بجامعة روما، ومن كبار الباحثين في تاريخ الدين الإسلامي، وغلب على آثاره اهتمامه بالشعر والشعراء.^(٢)

٣٧ - يوسف شاخت ١٩٠٢ - ١٩٦٩ م مستشرق ألماني، تقلّد مناصب تعليمية عدّة في ألمانيا ومصر وبريطانيا والمجازر وهولندا، وقد اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي وبيان نشأته وتطوره وتأثيره وأثره. له آثار عدّة، ناقشه الشيخ يوسف القرضاوي حول فقه الزكاة.^(٣) وهو من محرّري دائرة المعارف الإسلامية.^(٤)

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ٢: ١٢٥ - ١٢٦ ،
وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ١: ٤٤٠ - ٤٤١ ،
وانظر أيضًا: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٢٤٦ - ٢٤٩.

(٣) انظر: يوسف القرضاوي. فقه الزكاة.

(٤) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.. مرجع سابق.. ٢: ٤٦٩ - ٤٧١ ،
وانظر أيضًا: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٣٦٦ - ٣٦٨.

٣٨- هانز لدفيج جوتشالك ١٩٠٤ - ١٩٨١، مستشرق ألماني، تخصص في تاريخ المصريين في عهد الأيوبيين، أسهם في وضع فهرس للمنخطوطات الشرقية، وكان أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة فيينا.^(١)

٣٩- مارسل كوهين ١٨٨٤ - ١٩٧٤، مستشرق فرنسي، وعالم لغوي، من أساتذة مدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الدراسات العليا بباريس. له بحوث وأثار يرتكز فيها على اللغات السامية.^(٢)

٤٠- مكسيم رودنسون ١٩١٥ - ٢٠٠٤، مستشرق فرنسي، ماركسي، درس في باريس في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية والمدرسة العلمية للدراسات العليا. درس في صيدا، وعمل في بيروت ودمشق أمين مكتبة، له آثار كثيرة غالب عليها اهتمامه بالاقتصاد الرأسمالي والماركسي، كما غابت كتاباته في الوضع العربي الراهن. عرف عنه معارضته للصهيونية.^(٣)

(١) انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ١٩٣ ،

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ١: ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٢٧٢ وانظر أيضاً: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٦٠١ - ٦٠٢ .

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ١: ٣٥٩ - ٣٦١ ، ٣٩٤ وانظر أيضاً: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .

٤١- برنارد لويس ١٩١٦ م مستشرق بريطاني تركي الأصول، درس في لندن وباريس، ودرّس في الولايات المتحدة الأمريكية بجامعة برنسون وغيرها من جامعات الولايات المتحدة بالإضافة إلى تدريسه في جامعات بريطانيا. ركز في دراساته على التاريخ عموماً، وعلى تاريخ الإسماعيلية بخاصة، ويتابع النشاط الإسلامي في أوروبا وأمريكا. لا يتوّزع عن التوكيد على صهيونيته وإعلانها.^(١) خصّص مازن بن صلاح مطبقاني أطروحته للدكتوراه عن مناقشة آرائه.^(٢)

٤٢- ديفيد كوهين، مستشرق معاصر وعالم لغوي، يعني باللغات الحامية والسامية، وله آثار لغوية عدّة في السامية.^(٣)

٤٣- إسرائيل ولقنسون، معاصر، ويكتئي بأبي ذؤيب. درس اللغة السامية بدار العلوم ثم بالجامعة المصرية. له تاريخ اليهود في بلاد العرب في العاشرية وصدر الإسلام بالعربية، وقدّم له طه حسين، وتاريخ اللغات السامية

(١) انظر: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين. - المرجع السابق. - ص ٦٢٢ - ٦٢٤

(٢) انظر: مازن بن صلاح المطبقاني. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. - ٦١٤ ص.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون... مرجع سابق. - ١: ٣٧٦، وإنظر أيضاً: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين. - مرجع سابق. - ص ٦٠٠

بالعربية، وموسى بن ميمون. وكعب الأحبار بالألمانية. ونشر كتاب المصائد والمطارد لأبي الفتح كشاجم. ويعدُّ من المستشرقين الألماَن. وغير هؤلاء من مشاهير المستشرقين اليهود. ^(١)

وذكرهم هنا بحسب انتتمائهم العرقي لا يعني بالضرورة النظرة السلبية لهم جمِيعاً بحكم هذا الانتماء، فمن بينهم مستشرقون منصفون، ومن بينهم من تحمسوا للتراث العربي الإسلامي وأحبوه مثل ليفي بروفنسال السالف ذكره، وليس من العدل أن يكونوا سواءً في الحكم عليهم إيجاباً أو سلباً.

ومن الصعب جداً حصر الأسماء اليهودية في عالم الاستشراق للأسباب السالفة الذكر، ما لم يكن الباحث عالماً بطريق غير مباشر بحقيقة المستشرق، إلا أنه يغلب على المستشرقين اليهود اهتمامهم المباشر بالسامية وتعلقهم بها، حتى لا يكاد مستشرق يهودي يطرق أبواب الاستشراق من دون أن يمرَّ على اللغات السامية أو يتقن العربية. ولعلهم بهذا يقتفيون أثر إمامهم إيناس جولدتسىهير، الذي بدأ رحلته الاستشرافية بالاهتمام بالعبرانية، ثم اتجه منها إلى الإسلام والערבية.

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق. - ٣: ١٥٢ - ١٥٣.
وانظر أيضاً: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين. - مرجع سابق. - ص ٧٢٥.

تزداد الصعوبة في الوقت الراهن عندما ندرك أنَّ اليهود عملوا على السيطرة على مراكز الدراسات والبحوث الإسلامية والعربية والشرق أوسطية ومحااتها، فوجهوها الوجهة التي تُعيّن على تثبيت أقدام اليهود في فلسطين المحتلة. وهذا يقلق كثيراً من المستشرقين من غير اليهود ومن بعض اليهود المنشاويين للصهيونية، فمن يمكن أنْ يوصفوا بالنزاهة والتجدد. وقد صرَّح لي بهذا الأستاذ الدكتور رالف بربتي أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة دوك بولاية نورث كارولينا بالولايات المتحدة الأمريكية. وموقف هذا الأستاذ يؤكِّد وجود مستشرقين نزيهين.^(١)

لا تقتصر السيطرة على إدارة هذه المراكز والمعاهد فحسب، وإنما شملت أيضاً التحكُّم فيما يقال عن المنطقة في المؤتمرات والندوات التي تعقد في الجامعات والمؤسسات العلمية والتعليمية. ومن أبرز النشطاء في هذا المجال دانييل بايس الذي يقود حملة مراقبة الجامعات باسم campus watch.

وإذا لم تُفعِّل لهم فيها فرصة المشاركة الفعلية تراهم يرسلون إليها مندوبيَّن يرصدون ما يقال في هذه اللقاءات، ويكتبون عنها التقارير لمكتب الملحقية الثقافية اليهودية، وهذا المكتب بدوره يكتب لهذه المؤسسات طالباً عدم التعرُّض لليهود ولدولتهم في فلسطين بشيء من السلبية. هذا بالإضافة إلى رصد المعلومات

(١) انظر: مصطفى عبدالغني. المستشرقون الجدد: دراسة في مراكز الأبحاث الغربية... القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م۔ ١٧٤ ص.

عن هذه الأشطمة ومعرفة توجهها ومحاولة الإسهام فيها، وقد عايشت هذه الحال عندما طُلب مني إلقاء محاضرات عن الإسلام على طلبة الثانوية في الولايات الشرقية من الولايات المتحدة الأمريكية، فقد ذكر لي أنَّ من بين الحضور متذوبين للملحقيَّة الثقافية اليهودية يسجلون ما أقول. ومن ذلك مشروع دانيال بايسن في مراقبة الجامعات. وهو مشروع مشهور معروف.

لذا لا يستبعد المرء أن تستفحِل حركة الاستشراق الصهيوني، وأن تكون السمة الطاغية على الاستشراق في مدة تأثيَّر قد تطول، إذا ما استمرَّت السيطرة الصهيونية على مراقب الحياة العلمية والاقتصادية والسياسية والإعلامية في المجتمع الغربي عمومًا، وفي مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية بخاصةً، بعد تسلُّمها زمام الحضارة الغربية من أوروبا، مما أتاح للمستشرقين وغيرهم من اليهود أن يصْبُوا جامَ غضبهم، بسبب ما حصل لهم من اضطهاد في أوروبا، على يد بعض الحركات السياسية والعرقية فيها، ويكون هذا الغضب بصورة أوسع وأشمل وأوضح على طرف ثالث هو العرب والمسلمون، الذين لم يكن لهم ذنب في ما حصل لليهود في أوروبا، بل ربما كانوا جزءًا من المأساة. ^(١)

(١) انظر: غِرهرد هُب. العرب في المحرقة النازية: ضحايا منسيون/ ترجمة محمد حديد، مراجعة زياد مدني. - دمشق: قدمُس، ٢٠٠٦. - ١٥٣ ص.

وقد برزت ردود الفعل هذه «بوضوح، خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية في كتابات المستشرقين الصهایینة، وعلى رأسهم بارنارد لویس. إنَّ بذور الصهیونیة قد غرست خلال القرن التاسع عشر (المیلادی)، ولكن الشجرة الصهیونیة قد ازدادت نمواً خلال القرن العشرين (المیلادی)، فكان الهدف الأصلي لهذه الحركة من وراء اهتمامها بالإسلاميات الحصول على المعلومات الكافية عن الفلسطينيين الذين سيتركون بلا دهم لتأسيس فيه الدولة الصهیونیة مستقبلاً. كما أولى الصهایینة اهتماماً كبيراً للدول المجاورة لفلسطين لمنع احتمال ردود فعل ضد تأسيس دولة إسرائیل. وكان الصهایینة - شأنهم في ذلك شأن أسلافهم المستعمرين - مهتممین بالدراسات العربية والإسلامية أساساً كوسيلة لتحقيق أهداف سیاسیة».^(۱) وإذا كان يتردد أنَّ تأثير الاحتلال قد انتهى، فلا يزال للصهیونیة تأثيرها في الدراسات العربية والإسلامية، لا سيما في الولايات المتحدة - كما سبق التنوية بذلك -.

ساعد التنصیر على ترسیخ فكرة الاستشراق الصهیونی من خلال تشجیع دراسة اليهود للعرب والمسلمین، مما ساعد على استغلال التنصیر للیهود في سبيل تحقيق أهداف التنصیر الدينیة والسياسیة، وقد اقتنع المنصرُون أنَّ جمع اليهود في فلسطين

(۱) انظر: محمد بن عبود، الاستشراق والنخبة العربية.. مرجع سابق. - ص ۲۱۱

يسهّل لهم مهمّتهم في الوصول إلى المسلمين.^(١) ولا تزال بعض الجمعيات التنصيرية تنطلق من فلسطين المحتلة رغم سيطرة اليهودية على البلاد. ولا بأس في نظام القوم من أن تتضافر الجهود في سبيل الحدّ من «خطر» الإسلام على الأمم الأخرى،^(٢) والتقليل من الخوف من الإسلام على العالم.^(٣)

ولا بأس في نظام القوم أيضًا من ممارسة «الإرهاب الفكري» ضدّ الإسلام والمسلمين، سعيًا وراء توطيد الأقدام في فلسطين المحتلة، إلى درجة محاولة تحريف القرآن الكريم، وتوزيع نسخ مزورة منه على المسلمين، مثلما حدث في إندونيسيا وغيرها من بلاد المسلمين، التي كان يُظنُّ أنها لمجهلها بالعربية لن تتبّئ لهذه النسخ المزورة. ومثلما حدث من طباعة «موجزة» للقرآن الكريم صدرت عن «دار ديفز للنشر»، وهي دار يهودية مركّزها شيكاغو بولاية إلينوي بالولايات المتحدة الأمريكية، وسمّت هذه الطبعة الموجزة بالقرآن القصير،^(٤) كما

(١) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التشیر والاستعمار في البلاد العربية...
مرجع سابق... ص ١٨١.

(٢) انظر: فنسان جيسير. الإسلاموفobia: المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا... مرجع سابق... ص ١١٢.

(٣) انظر: مصطفى الدباغ. الإسلام فوبيا Islamophobia: عقدة الخوف من الإسلام... ط ٢... عمان: دار الفرقان، ٢٠٠١ / م ١٤٢٢... ص ١١ - ١٢.

(٤) انظر: أحمد بن عبدالله الرغبي. الفكر الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي... مرجع سابق... ٣: ١٠٥٢.



فعلوا بالقاميس والمعاجم، يصدرون منها طبعات موجزة للرجوع السريع.

لا يبدو أنَّ مثل هذه الأساليب ستتجدي في تحقيق الأهداف. فهي أعمال يغلب عليها جانب السطحية في المحاولة، إذا ما قورنت بما أدخله اليهود على الفكر الإسلامي منذ البدايات الأولى للإسلام، وكانوا من الأسباب الرئيسية في اختلاف الأمة وتفريقها ودخول مبدأ البدعة فيها، والرجوع إلى العقلانية على حساب النقل في النظر للتشريع،^(١) وتغليب العقل على النقل أحياناً، ولو ثبت صحة النقل من قبل كبار المحققين والمخرجين.

وحين تنبَّه المسلمون إلى هذه الجوانب ورددوا النظريات التي شكَّكت في صحة الحديث والأثار المروية عن الصحابة - رضوان الله عليهم - لجأ اليهود إلى أساليب جديدة في إدخال الإسرائيليات الحديثة على الفكر الإسلامي، وكلما استنفدت وسيلة لجأوا إلى أخرى.

وليس في هذا غرابة أو عجب، فقد «تعود» المسلمون مثل هذه الأساليب وكانوا - ولا يزالون - موققين في ردّها والردّ عليها. هذا بالإضافة إلى المعلومة المسبقة عن اليهود، مما

(١) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي -. مرجع سابق -. ص ٣٢ - ٤٤ .



يجعل المستشرقين اليهود يتلقون في إخفاء كنفهم ولو أدى ذلك إلى تنصيرهم، بل ربما إلى إسلامهم وصلاتهم مع المسلمين وحضورهم لقاءاتهم واجتماعاتهم وأوجه نشاطهم الأخرى. وانظر - إن شئت - إلى قصة فريد عبد الرحمن أو الفرد دي يونغ، كما يرويها قاسم السامرائي.^(١) ولعل هذا - أيضاً - مما يؤيد صعوبة التعرُّف عليهم بطرق علمية مجردة.

أما الذي لم يتمتّص صهوة التنصير أو الإسلام فقد اكتفى بأن يصنف من المستشرقين العلمانيين الذين اشتَدَّ أذرهم في أوائل القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي،^(٢) وقويت شوكتهم في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي، لا سيما مع قيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م، وما صحب هذا من نقلة في اهتمامات المستشرقين عموماً، والعلمانيين بشكل خاص، واليهود منهم على وجه أخصّ، إذ برزت نغمة تعزيق الوجود اليهودي في منطقة الشرق الأوسط، وكثير التأليف والكتابة عن هذا الموضوع؛ سعياً إلى ترسیخ فكرة حق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين. وإن لم تكن الفكرة وليدة القرن السابق أو

(١) انظر: قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.. مرجع سابق.. ص ١٢٢.

(٢) انظر: نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين.. مرجع سابق.. ص ٣٨.

القرون الثلاثة الماضية المقرونة بدعوة العاخام ليغا ١٥٢٠ - ١٦٠٩ لقيام وطن قومي لليهود،^(١) فمما لا شكّ فيه أنها استشرت مع إعلان دولة إسرائيل.

وأتجه إلى الاستشراق اليهودي أعضاء جدد لم يكونوا ينفكّرون في طرق أبوابه من قبل، حتى إنّه دخل في هذا المفهوم الكتاب الصحفيون والمعلّقون السياسيون والمهتمّون بالمنطقة، مما أعطى فكرة الاستشراق شيئاً من السطحية لم تكن تتّسم بها من قبل.

وأصبحت هذه المقالات والتعليقات كُتبًا تباع في المكتبات على أنها مراجع عن المنطقة، وأصبح كاتبوها ممن يُرجع إليهم في تحليل ما يقع أو تفسيره في المنطقة من أحداث، وترك هؤلاء لأهوائهم وميلهم العنان في الانطلاق في التحليل والتعليق، الذي يناسب الوجهة التي يعملون لها، مع قدر محدود من توافر الوجهة الأخرى، وشبه انعدام للخلفية التاريخية للصراع القائم اليوم. ولسطحية هؤلاء لا يصدق عليهم مفهوم الاستشراق الأعمق من مجرد الإسهام في الكتابة عن المنطقة ككتابة سريعة، بل ربما عدُوا من مستشرقي الصحافة، أو من ذوي الاستشراق الصنافي. ^(٢)

(١) انظر: علي جريشة. الاتجاهات الفكرية المعاصرة. - مرجع سابق. - ص ٢٤١.

(٢) انظر: حسن عزوzi. ظاهرة الاستشراق الصحفي. - الوعي الإسلامي -. مرجع سابق. - ص ٥٨ - ٥٩.

ولا شك أنَّ هذا الاتجاه له أثره في حركة الاستشراق عموماً، وفي الاستشراق الصهيوني على الأخصّ، لا سيما أنَّ التضخم الاقتصادي وانتشار البطالة قد أسهما في التقليل من الصرف على مراكز الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية ومعاهدها، فنقصت نسبة الطلبة نظراً لزيادة رسوم الدراسة، وألغيت بعض الأقسام أو قُلص من نشاطها، مما ينبع عن تحوُّل في النشاط الاستشرافي. ^(١)

تُثُمُ في هذه البيئة لليهود السيطرة على مسار الاستشراق، فيتصرّفون في المؤتمرات والندوات والنشرات التي تصدر عن الجمعيات والمراكز الاستشرافية، مما قد يهدّد بخطر أكثر عتواً من المرحلة التي كان اليهود المستشرون فيها منخرطين بين المستشرين مخففين حقيقتهم.

وربما بربت في الأفق دعوى أحقيّة اليهود في الاستشراق، على اعتبار أنهم قريبون من المنطقة، وأنهم جنس سام يدرك ظروف المنطقة، بحكم قيام دولة لهم فيها، إضافة إلى إتقانهم لغة أعرابية تسهل عليهم كثيراً إتقان اللغة العربية، وهم في الأصل شرقيون، مما يعينهم على إدراك المشكلات الشرقية، ويسكنون في الغرب فيدركون حاجات الدول الغربية من

(١) انظر: عدنان محمد وزان. الاستشراق والمستشرون: وجهة نظر. - مرجع سابق. - ص ١٣٩ - ١٥٧.



المنطقة.^(١) وهكذا يسُوغون نزعتهم إلى السيطرة على زمام الاستشراق، فلا يُدخلون فيه معهم إلا من يحوم في فلكهم.

ربما طغى الهدف السياسي للمستشرقين عموماً، واليهود بخاصة، على الهدف الديني على اعتبار أنَّ اليهود ينظرون إلى دولتهم المقاومة في فلسطين المحتلة على أنها موطن الجنس اليهودي، وليس الديانة اليهودية بالضرورة. وعليه فإنَّ الهدف الديني غير وارد بالقوة التي يخدمون بها الهدف السياسي في ترسیخ استمرار الدولة وشرعيتها في البقاء، في الوقت الذي تضعف فيه الحركات التي تصمم على إعادة الأرض إلى أهلها بأيِّ شكل من أشكال الإعادة. وهكذا يخدمون الصهيونية فكرةً أوَّلاًً ودولةً ثانياً. والظروف العامة والظواهر المتراوحة في كتابات المستشرقين من هذه الفتنة تعزز وجهة النظر هذه، وتخلع عليهما بعض خصائص الإنتاج العلمي.^(٢)

مع هذه الجهود المضنية في السيطرة على مسيرة الاستشراق وتجيئها الوجهة التي تتفق وأهداف الاستشراق اليهودي وتطلُّعاته، هل من الممكن اعتبار مدارس للاستشراق، تكون

(١) انظر: عمر فُروخ. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة... ص ١٢٥ - ١٤٣... في: الإسلام والمستشرقون... مرجع سابق... ص ٥١١.

(٢) انظر: محمد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي... مرجع سابق... ص ٤٣١.

المدرسة اليهودية واحدة منها؟ هناك من صنف الاستشراق إلى أربع مدارس:

- المدارس النصرانية الرئيسية – الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذوكسية.
- المدرسة اليهودية.
- المدرسة الإلحادية العامة.
- المدرسة الإلحادية الشيوعية.^(١)

وهناك ما يتميّز به المستشرقون اليهود، من حيث تركيزهم على اللغات السامية، وسعيهم إلى إعادة اللغة العبرية، وإصرارهم على اعتماد الإسلام على اليهودية، وإighamهم الإسرائييليات في التاريخ الإسلامي، وتوكيدهم على وضع اليهود في الجزيرة العربية بعد ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر على المستوى العربي عموماً،^(٢) بل على المستوى العالمي. وهذه كلها لا ترقى إلى أن يكون هناك مدرسة استشرافية يهودية، فلقد حرّ المستشرقون اليهود غيرهم من الملحدين والنصارى إلى تبني ما ذهبوا إليه، واتفق المستشرقون اليهود مع غيرهم من

(١) انظر: عبد الرحمن حسن جبكة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها... مرجع سابق.. ص ١٢٤.

(٢) انظر: أنور الجندي. الإسلام في وجه التغريب... مرجع سابق.. ص ٣٠٩ . ٣٢٨



المستشرقيين على مواقفهم من القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ وسنّته والشريعة والتاريخ الإسلامي والسير وغيرها، فلا تكاد تميّز بينهم في مواقفهم هذه.

وانخرط المستشركون «الآخرون» في النظرة المعاصرة للمنطقة، فأصبحت تجد صعوبة في التعرّف على كُنه المستشرق وهو يتحدث عن المنطقة، ولا تستطيع الحكم عليه باليهودية لمجرد حماسه لدولة إسرائيل. فلقد وجد مستشركون غير يهود تحمسوا لقيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة أكثر من تحمس بعض المستشرقيين اليهود لها، وذلك لأنخراطهم في خدمة الصهيونية العالمية بشكل مباشر أو غير مباشر. بمعنى أنه ليس بالضرورة أنَّ كلَّ مستشرق ذي خلفية يهودية يتَّفق مع ما يدور في فلسطين المحتلة سياسياً واجتماعياً وفكرياً. على أنَّ هناك من المستشرقيين اليهود من لم يكن متَّحمساً لقيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة ابتداءً. ولعلَّ هذه النظرية تحتاج إلى متابعة بالبرهان والمثال.

هذا مع التشكيك جملة وتفصيلاً في أنَّ الاستشراق عموماً قد وصل إلى مستوى أنْ يقسم إلى مدارس، لما لم يصلح مدرسة من عمق في التفكير وجديد في الإضافة والتميُّز الملحوظ، الأمر الذي لم يتحقق بوضوح في مسألة الاستشراق في نظر بعض من يريدون التهوي من الاستشراق، إلى درجة أنه لا يصل إلى أنْ يسمى علماً له أصوله ومناهجه ونظرياته التي الجديدة



ينطلق منها، بل ربما صَحَّ أنه ظاهرة مثله في هذا مثل التنصير والاحتلال،^(١) من دون إغفال أنَّ التنصير أضحى علمًا يدرَّس في المدارس اللاهوتية والكليات والجامعات المتخصصة. وهذه وجهة ربما وجدت من التوسيع ما يبررها ويؤيدُها.

وما كان التركيز في هذه الجولة إلا على التوكيد على أنَّ الاستشراق - دون التعميم - قد خدم اليهودية والصهيونية، وأنَّ هناك علاقة بين الاستشراق واليهودية بدت واضحة من خلال المستشرقين عموماً، بغضِّ النظر عن خلفياتهم التي انطلقا منها.

(١) سبقت الإشارة إلى شيء من هذا في الفصل الأول من هذا الباب عند الحديث عن العلاقة بين الاستشراق والاحتلال.

الفصل الرابع

الاستشراق والمستشرقون والإحيائية الإسلامية

التمهيد:

مفهوم الأصولية:

من أبرز ما طغى على التوجه الجديد للاستشراق الذي غالب عليه الاهتمام بالحاضر الإسلامي، اهتمامه بما يمرّ على العالم الإسلامي من تحولات اصطدحنا على تسميتها بالصحوة أو الإحيائية الإسلامية، واصطلاح غير المسلمين من شرقين وغربين، ومن سياسيين ومستشرقين ومتقدّمين وإعلاميين ومتبعين من المهتمّين بالمنطقة العربية الإسلامية، على تسميتها بالأصولية، بالمفهوم الغربي للأصولية، لا المفهوم الإسلامي لهذا المصطلح.^(١) ولهذا المفهوم دلالاته النّصيّة في

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. إشكالية المصطلح في الفكر العربي المعاصر... مرجع سابق... ص ٧٠ - ٧٥.

كلٌّ من الثقافتين . ولعلَّ أبرز ما في هاتين الدلالتين أنها مفهوم سلبي في الثقافة الغربية ، وهي في الوقت ذاته لها مفهوم إيجابي في الثقافة الإسلامية .^(١)

ولم يكن هذا التوجُّه مقصوراً على المسلمين ، بل إنه عمَّ الأديان السماوية الباقية .^(٢) ولم تخلُ منه بعض الملل والنحل الأخرى .^(٣) يقول مراد هوفمان : «على أنَّ المصطلح الغربي (الأصولية ، وهو بالألمانية : Fundamentalismus ، وبالإنجليزية Fundamentalism) ليس له مطابق في العربية ، لأنَّه مصطلح منحوت من أصلٍ غربيٍّ ، لكي يطلق على ظاهرةٍ غربيةٍ معينةٍ : وبمعنى أدقَّ ، فإنَّ هذا المصطلح الأصولية - أدبياً - استعمل أولَ الأمر لتمييز الأميركيين البروتستانت في القرن التاسع عشر الذين أكدُوا على عصمة الإنجيل ، وبخاصة في قصة الخلق ، حيث رفضوا النظرية الفجَّة التي تطورت عن نظرية داروين في الشوء والارتقاء» .^(٤)

(١) اختفت المصطلحات التي تحذَّث عن الصحوة الإسلامية ، وراحت بين المصطلحات الآتية :Fundemetalism (revivalism) (awakening) ، وإنَّ اختلاف النقاش حولها .

(٢) انظر : ديفيد لانداو . الأصولية اليهودية : العقيدة والقوة / ترجمة مجدى عبد الكري姆 . - القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م . - ص ٤٦ .

(٣) انظر : جيل كيل : يوم الله : الحركات الأصولية المعاصرة في البيانات الثلاث / ترجمة نصیر مروة . - لیما صول (قبرص) : دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث . - ص ٢٢٢ .

(٤) انظر : مراد هوفمان . الإسلام كبديل / تعريب غريب محمد غريب . - الكويت : مجلة النور الكويتية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م . - ص ١٠٧ .

ولا يختلف تعريف برنارد لويس للأصولية عن هذا المفهوم، إلا أنه – بعد أن يقارن بين المفهومين السلبي الغربي والإيجابي الإسلامي – يسعى إلى إضفاء السلبية على المفهوم الإسلامي، بعد ترددٍ واضح، جاعلاً الأصولية مصطلحاً ينطبق على عدد من الجماعات المتطرفة «الراديكالية» والعسكرية. ويرى استقرار المصطلح، ووجوب تبنيه واستخدامه، رغم اللبس الذي يكتشه، ومن ذلك زعمه أنَّ الأصوليين «لا هدفهم إلا إلغاء كلِّ مجموعات القوانين والمبادئ الاجتماعية المستوردة والعصرية، وإحلال التطبيق الكامل لعظمة الشريعة محلَّ بقواعدها وحدودها وفقها وكتابتها عن الحكم»،^(١) مما جعل جون إسبوزيتو ينتقده في هذا التوجُّه، ويتهمنه بأنه يصور تلك القوالب البسيطة والفاتحة التي تصور الإسلام بأنه ضدَّ الغرب، وأنه صراع الإسلام مع التقدُّم، أو الغضبة الإسلامية، والتطرف والتشدد والإرهاب.

ومن خلال عرض إسهامات برنارد لويس تظهر اتهامات صريحة وقوية وتحليلية للصحوة الإسلامية (الأصولية) و موقفها من الغرب، وقف معها مازن بن صلاح مطبياني وفترة طويلة.^(٢)

(١) انظر: برنارد لويس. لغة السياسة في الإسلام / ترجمة إبراهيم شتا...
قبرص: دار قرطبة، ١٩٩٣م.. - ص ١٢، وهو في الأصل:

Bernard Lewis. The Political Language of Islam. Chicago: the University of Chicago Press, 1988. P117 - 118 P.

(٢) انظر: مازن بن صلاح مطبياني. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي... - مرجع سابق... - ص ٥٣١.

ولعل هذه الاتهامات هي التي حدت ببعض مفكري الغرب إلى إثارة الصدام بين الغرب والإسلام، وعدم إمكان التلاقي الفكري بينهما، بل إنَّ الصراع سيمتدُ في مواجهات قادمة. ومع هذا فإنَّ جمِيعاً من المستشرقين يرفضون مصطلح إطلاق الأصولية على الإحيائية أو الصحيحة، لما يدركه من مفهوم غربي للأصولية.^(١)

وهذا هو المستشرق الفرنسي المشهور جاك بيرك يعلن هذا الرفض بقوله: «أنا أرفض تعديل الأصولية؛ لأنَّه آتٍ من النزاعات داخل الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية. هناك مسلمون (العامَة)، وهناك إسلاميون، الذين يشددون على قدرة الإسلام على إيجاد حلول مناسبة لمشكلات الحياة اليومية، وقدرتهم على بناء دولة ومؤسسات. وهؤلاء لا يقفون عند الطبيعة الدينية للإسلام فقط. هذه أطروحة من نسَّبُهم الإسلاميين، إنها حركات تسعى إلى تقريب العالم العربي من منابعه، ولديهم خطابات تجعلهم مختلفين بعضهم عن بعض، لكنهم يلتقدون في الدعوة إلى الرجوع إلى الأصول، وبخاصة القرآن، ويدعون إلى إعادة

(١) انظر: صمويل بي. هانتينجتون. الإسلام والغرب: آفاق الصدام / ترجمة مجدي شرشر... القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.. ص ٢٦. ويتجلى المؤلف على أطروحتات برنارد لويس في هذا التوجُّه. وينقل عنه في مقالة له بعنوان:

The Roots of Muslim Rage -. Atlantic Monthly -. vo. 266 (9 - 12 - 1990) -. p 60.

تأصيل القرآن باعتباره قادرًا على تقديم الحلول للمشكلات التي يطرحها العالم المعاصر، يطرحون ذلك في مواجهة المجتمعات التي وضعت نفسها منذ مئة سنة في مدرسة الغرب، ولم تتحقق النجاحات المطلوبة^(١). ويتفق مع جاك بيرك في رفض إطلاق مصطلح الأصولية، المقحم بقوّة «القصف الإعلامي» على الصحوة عددٌ من المستشرقين من أمثال المستشرق الأميركي روجر أوين، والمستشرقة الإسبانية كارمن رويث، والمستشرق الروسي فيتالي ناعومكين والمستشرق الإنجليزي روين أوستل^(٢).

الأصولية :

والأصولية بالمفهوم الإيجابي هي ما يمكن أن يعبر عنه بالتوجّه نحو التدين، بالرجوع إلى أصل الدين من الكتاب والسنة، ونبذ ما سواه من الشركات والبدع والخرافات والشعودة، التي طفت على عدد من المجتمعات الإسلامية، ومن ثمَّ تطبيق هذا المفهوم على جميع مناحي الحياة^(٣). وهي

(١) انظر: محمد عمارة. الأصولية بين الغرب والإسلام.. القاهرة: دار الشروق، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.. ص ١٥.

(٢) انظر: محمد عمارة. الأصولية بين الغرب والإسلام.. المرجع السابق.. ص ١٦ - ١٧.

(٣) انظر: عجيل النشمي. صحوة التدين والواقع المعاصر.. ط ٣.. د. ت.. ص ٦. جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي، د. ت.. ص ٦.

بهذا المفهوم تعود إلى القرن الثاني عشر الهجري / السابع عشر الميلادي عندما انطلقت حركات الإصلاح، مثل حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التجديدية، والحركة السنوسية، والمهدية، وحركة عثمان بن فودي، وغيرها.^(١)

وقد خضعت هذه الحركات الإصلاحية للدراسة والبحث من المستشرقين، على أنها حركات أصولية،^(٢) ومن المسلمين على أنها حركات إصلاحية، ولا تقع هذه الحركات الإصلاحية في الحدود الزمانية لهذه الدراسة.

ولا بدّ من الاعتراف بأنَّ الصحوة قد مرّت، ولا تزال تمرُّ، بتحولات متوقعة في ظلّ ضعف التوجيه والإرشاد، في كثير من الأحوال، وليس فيها كلها.^(٣) وفي ظلّ الغياب الجزئي للفقه في الدين.^(٤) إذ إنَّ التوجه إلى الدين لا يستقيم من دون العلم

(١) انظر: يفان هيربيك. الانبعاث الإسلامي المعاصر من منظار تاريخي: أفكار حول الأزمة والنهوض في الإسلام -. ص ١٢٣ - ١٣٤ -. في: الاستشراق والإسلام / ترجمة وإعداد فالح عبد الجبار -. دمشق: دار المدى، ٢٠٠٦ -. ص ١٦٧.

(٢) انظر: Malise Ruthven. Islam in the World.-Middliesex: Penguin Books, 1984 -. 400 p.

(٣) انظر: ناصر بن عبدالكريم العقل. من قضايا الصحوة: حاجة الصحوة إلى الفقه في الدين، العلماء هم الدعاة، وظواهر وسمات يجب تجنبها -. الرياض: دار المسلم، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٤) انظر: ناصر بن عبدالكريم العقل. من قضايا الصحوة. - المرجع السابق.



بالدين على اعتبار أنَّ هذا الدين عالمٌ، ولا يكفي له الحماس والعواطف الجياشة التي قد تضرُّ ولا تنفع، ويمكن أنْ يقال إنَّ بعض المظاهر التي صحبت مسيرة الصحوة أوجدت مجالاً رحباً للدراسة والتحليل، وذلك حينما عمد بعض شباب الصحوة إلى التميُّز في المظهر والسلوك تميُّزاً قد يكون مقصوداً لدى فئة قليلة منهم لشدِّ الانتباه وتسجيل المواقف وفرض نمط من الشكل والسلوك على المجتمع المسلم بعامته، ويسمى عند علماء الشريعة بالشهرة، وهو سلوك غير محمود إذا كان المراد منه ذلك. وهذا ما جعل بعض المستشرقين ينظرون إلى المظهر على أنه دليل حيٌّ على وسم هذه الصحوة بالغلوِّ الذي تعارف الإعلاميون على تسميته بالتطُّرف. (١)

يقول الأمير تشارلز، ولد عهد بريطانيا: « علينا في الوقت نفسه أن لا ننساق وراء الاعتقاد بأن التطُّرف هو سمة المسلم وجوهره؛ فالتطُّرف ليس حكراً على الإسلام، بل ينسحب على ديانات أخرى بما فيها الديانة المسيحية. والغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالاعتدال من الناحية السياسية، وإن كانوا شخصياً أتقياء، ودينهم هو دين «الاعتدال»، والنبي محمد ﷺ نفسه كان يمتنع التطُّرف دائماً ويخشأه. ولعل الخوف من الصحوة الإسلامية الذي ميز الشهرين أخذ يتحول الآن في

(١) انظر: مجدى محمد فتح الباب. موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية. القاهرة: دار الروضة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م. - ص ٥٠ - ٦٨.

الغرب إلى تفهُّم للقوى الروحية الحقيقية الكامنة وراء هذا المد، ولكن إذا كان لنا أنْ نفهم هذه الحركة الهامة علينا أنْ نتعلّم التمييز بشكل واضح بين ما تؤمن به الغالبية العظمى من المسلمين وبين أعمال العنف المرؤّعة التي تقوم بها أقلية صغيرة بينهم، والتي يتعيّن على الناس المتحضّرين في كل مكان أنْ يديريوها». ^(١)

وعلى أيّ حال فالحديث هنا ليس عن الصحوة وتقويمها، والبحث فيها من نواحيها المختلفة. ^(٢) وليس هذه الوقفة تنبيي للدفاع عن الإيحائية الإسلامية في وجه الهجوم عليها من مستشرقين وعرب، فمن العرب من لم يرحب بالإيحائية الإسلامية، وعددها شكلاً من أشكال التعصّب والرجعية واجترار الماضي (الماضوية)، وأنها شكل من أشكال الظلامية والتخلُّف عن ركب الحضارة، وعائقاً من عوائق الانطلاق نحو المستقبل، بما يحمله من تقارب بين الأمم والثقافات (العولمة)، ^(٣) بل لقد قيل إنها صناعة

(١) انظر: الإسلام والغرب. محاضرة صاحب السمو الملكي الأمير تشارلز... أكسفورد: مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، ١٩٩٣ م.- ص ١٧.

(٢) انظر: عدنان علي رضا التحوي. الصحوة الإسلامية إلى أين؟.. ط ٢ - ٢٤٦. الرياض: دار التحوي، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.- ص ٢٤٦.

(٣) انظر مثلاً: فؤاد زكريا. الصحوة الإسلامية في ميزان العقل.. القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩ م.- ٢٠٨ ص. وانظر كذلك: محمد الشرفي. الإسلام والحرية: الاتباس التاريخي... ط ٢ - تونس: دار الجنوب للنشر، ٢٠٠٢ م.- ص ٢٣ - ٥٠... (عنوان: الأصولية الإسلامية).

استخبارية أمريكية استخلصت لوقف الزحف الشيعي على مناطق النفط.^(١)

وقد انبرى للرّد على أولئك المستشرقين وهم لاء العرب المعترضين على الانبعاث الإسلامي التقائي، على اعتبار أنه حلقة في سلسلة العودة إلى الفضيلة الموجودة في الأديان، والخروج من الفراغ الروحي الذي طغى على جيل بكماله، انبرى لذلك أئمة الأمة ومفكروها،^(٢) وعلماؤها،^(٣) سواء أكانت الرّدود باللغة العربية أم باللغات الأخرى.^(٤)

سوف ينصب التركيز على نظرية المستشرقين إلى هذه الإحيائية،^(٥) ودراستهم لها دراساتٍ أصبحت مصدراً من مصادر

(١) انظر: بشارة منسي. العروبة والأصولية الدينية. - بيروت: رياض الريس، ٢٠٠٧م - ص ٢٥ - ٣٩.

(٢) انظر: يوسف القرضاوي. الصحورة بين الجحود والتطرف. - الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٢هـ. (سلسلة كتاب الأمة، ٢). وانظر له أيضاً: الصحورة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم: دراسة في فقه الاختلاف في ضوء النصوص والمقداد الشرعية... ط ٢. - القاهرة: دار الصحورة، ١٤١١هـ/١٩٩١م - ص ٢٦٧.

(٣) انظر: محمد عمارة. الصحورة الإسلامية والتحدي الحضاري. - القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٥م - ١٨٤ ص.

(٤) انظر: Karam Akhtar and Ahmad H. Sakr. Islamic Fundamentalism - n. p.: the Authors, 1982 - 151 p. and Shamim A. Siddiqi. the Revival of the Muslim Ummah - Flushing, NY: the Forum for Islamic Work, 1996 - 100 p

(٥) انظر: رضوان السيد. الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية. - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م - ص ٢٦١.

المعلومات عن العالم الإسلامي المعاصر، يعتمد عليها بعض المفكّرين العرب وال المسلمين أنفسهم في تحديد موقف فكري وسياسي من «حركة» الصحوة هذه، بشيء من التأثر الواضح في هذا الاعتماد، مما يؤخذ على أنه شكلٌ من أشكال التبعية الفكرية للاستشراق، وبالتالي للغرب. ^(١)

دراسة الإحيائية :

ولا بدّ من الاعتراف بأنّ الإحيائية الإسلامية، بغضّ النظر عن ضوابطها وتوجّهاتها، قد استرعت الانتباه الجادّ لدى كل من يهتمُ بهذه المجتمعات التي برزت فيها بوادر هذا الانبعاث، ذلك أنها أحدثت تغييرًا واضحًا في هذه المجتمعات، يدرسه علماء الاجتماع دراسة متنائية في مجال واسع من علم الاجتماع هو «التغيير الاجتماعي»، ويدرسون دوافع هذا التغيير ومظاهره. ^(٢)

وكان لهذا التغيير آثاره على مختلف الصعد، وعلى رأسها الصعيد السياسي ثم الاقتصادي، إذ إنّ الإحيائية أو «الأصولية» بالتعبير الاستشراقي والغربي، تسعى إلى الاستقلالية السياسية عن الغرب بتطبيق السياسة الشرعية على المجتمعات المسلمة،

(١) انظر: أبو الحسن علي الحسني الندوبي. المسلمين تجاه الحضارة الغربية...
جدة: دار المجتمع، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م... ص ٤٣ - ٤٦.

(٢) انظر: نورة بنت خالد السعد. التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي:
دراسة في بناء النظرية الاجتماعية... جدة: المؤلفة، ١٤١٨ هـ... ص ٣٢٠.

بما في ذلك الدعوة القوية إلى تطبيق أحكام الشريعة في المجتمعات التي لا تطبق فيها الشريعة تطبيقاً شاملأً. كما تدعوا إلى الاستقلالية الاقتصادية في مسألة إدارة الأموال إدارة إسلامية بعيدة عن مظان الربا والضيم. وتدعوا إلى الاستقلالية في السلوك الاجتماعي في الملبس والمأكل والعادات التي تشقق بالإسلام، ولا تعارض معه على أقل تقدير.

وتدعوا كذلك إلى الاستقلالية في الفكر، بالعودة إلى أصول هذا الفكر المستمد من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة. وقد أثّر هذا التوجّه الفكري على مسيرة الاستشراق.^(١) علمًا أنّ المطالب للإحياء تشقق في عمومها مع النمط الإنساني. ويبدو هذا واضحاً في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتربوية.

ومن المهم التنبئ إلى أنّ دراسة الإحيائية من قبيل المستشرقين المهتمّين بها قد تخضع للتوجّه الإقليمي، بحيث يدرس المستشرق هذه الظاهرة في مجتمع صغير من المجتمع المسلم المعاصر الكبير، ثم يعمد إلى تعليم التائج التي يخرج بها من دراسته الضيقة على الإسلام، وليس على المسلمين أنفسهم، ناهيك أن يعمّم نتائجه على ذاك المجتمع الصغير الذي ركّز عليه في دراسته. ومن ذلك، على سبيل المثال السريع،

(١) انظر: صحراء العالم الإسلامي ومواجهة الاستشراق والتنصير. - في: محمد حسن خليفة. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. - مرجع سابق. - ص ٤٦ - ٣٢.

قول ف. سينبول: «إنَّ المبادئ الأساسية في الإسلام تفتقر إلى المضمون الفكري، ولذلك لا بد أنْ ينهار». ^(١) أي ينهار الإسلام. وعندما بحث إدوارد سعيد عن مبعث هذه العبارة القوية وجد أنَّ الكاتب يقصد حركة سياسية دينية قامت في منطقة من مناطق المسلمين، أي في إقليم بعيدة. ^(٢)

وقد تخضع دراسة المستشرق للإيحائية للتوجُّه الحزبي أو التنظيمي لفئة من المسلمين كُوِّنت تنظيماً، وأطلقت عليه اسمًا له مدلول إسلامي قوي، ولكنها ليست بالضرورة تتماشى في أفكارها تماماً مع هذا المدلول القوي، بل ربما أساءت إليه، ومن ثمَّ أساءت للإسلام، وأوجدت البيئة الصالحة للدراسات الاستشرافية التي ربما عممت الحكم، أيضاً، على الإسلام، وليس على المسلمين فقط، بل وليس على هذه الفئة الحزبية القائمة في مجتمع مسلم صغير داخل المجتمع الإسلامي الكبير. ^(٣) وغنى عن القول إنَّ الساحة الإسلامية تحفل اليوم

(١) انظر: برنارد لويس وإدوارد سعيد. الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية... بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م... ص ٣٧ - ٣٨.

(٢) انظر: برنارد لويس وإدوارد سعيد. الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية... المرجع السابق... ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) انظر: Ahmad bin Yousef and Ahmad AbulJobain. The Politics of Islamic Resurgence Through Western Eyes -. A Bibliographic Survey -. Springfield: The United Association for Studies and Research, Inc., 1992 -. p 178 - 187.

بهذه التسميات التي قد يكون وراءها من يسعون إلى الإساءة للإسلام بتسمية حركات متطرفة تسمية إسلامية.

ومما يعاني منه نحن المسلمين في تعاملنا مع الدراسات التي تُعني بالعالم الإسلامي المعاصر أننا نتلقّى دراسات عن هذه الفئات أو هذه الأقاليم وقد حملت أحكاماً على الإسلام نفسه، وليس على هذه الفئة أو تلك، أو هذا الإقليم أو ذاك فيُنظر إلى الإسلام من خلال هذه الزاوية الضيقَة جداً التي قد تكون مخطئة تماماً في فهمها للإسلام، وبالتالي يتم تقديمها للآخرين من غير المسلمين الفاهمين كالمستشرقين وبعض علماء الغرب ومفكريه وإعلاميه.

ومما يعاني منه المستشرون وعلماء الغرب ومفكروه وإعلاميوه الذين يدرسون العالم الإسلامي المعاصر أنهم يقيّمونه حجة على الإسلام، فيحكمون على الإسلام من خلال المسلمين، ولا يريدون أن يحكموا على المسلمين من خلال الإسلام. وهذا يعود إلى «الانطباعية» أنَّ الإسلام هو ما يطبق فعلاً، وليس الإسلام هو ما ينبغي أن يطبق. وفي هذا إخضاع البيئة التي ينبغي أن يتطَّور الإسلام بموجتها، على ما يذهب إليه مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي اليوم». (١)

(١) انظر: عابد بن محمد السفياني. المستشرون ومن تابعهم و موقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيقاً. مكتبة المنارة، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ مـ . . ص ٥٢

قاعدة المعلومات:

واقع الحال أنَّ هذا التوجُّه نحو التدين، أيَّ الصِّحْوَةِ، قد استرعى اهتمام أوساط كثيرة جدًا، لا يمثل الاستشراق إلَّا جزئية منها، ولكنها تلك الجزئية المؤثرة على الكل، فالسياسيون والاقتصاديون، وعلماء الاجتماع والمفكرون والإعلاميون الذين يبحثون عن مصالحهم في المناطق الإسلامية، إنما يعتمدون على معلومات تُستقى من الاستشراق، بحيث يمكن للمتابع أنْ يُعَدُّ الاستشراق مصدرَ هذه المعلومات الأوَّل.

وبغضِّ النظر عن الشكل، أو الوعاء، الذي تُستقى منه المعلومات، سواءً أكانت تقاريرً موجَّهةً أم مقالاتٍ في دورياتٍ علمية، أم دراساتٍ في ندوات أو مؤتمرات، أم أنها صدرت على شكل كتب، التي بدت كثيرة رائجة في الآونة الأخيرة، أم بالاستشارة المباشرة من مستشرقين بأعيانهم أو من مراكز الدراسات العربية والإسلامية، أو مراكز دراسات الشرق الأوسط المنتشرة في الأكاديميات الغربية والشرقية،^(١) فإنَّ هذا كله يصبُّ في إسهامات المستشرقين في دراسة هذا التوجُّه، حتى

(١) لم يُعد مصطلح «الاستشراق» مقصورًا على الجهة الغربية من الشرق الإسلامي، بل امتدَ المصطلح إلى كل الجهات، بما فيها الشرق الإسلامي، إذ وجد فيه من يكتبون عن الإسلام والمسلمين من غير المسلمين. انظر في هذا: علي بن إبراهيم النملة. مصادر المستشرقين ومصادرتهم. - مرجع سابق. - ص ٥٩ - ٥٥.

أضحي الاستشراق «قاعدة المعلومات» التي يتَّكئ عليها «صناع القرار» في الدول الغربية.

ولعل هذا ما حدا بالرئيس الأميركي الأسبق ريتشارد نيكسون إلى القول عن الإيجابية وعن أصحابها: «إنهم هم الذين يحرّكهم حقدتهم الشديد ضدَّ الغرب، وهم مصممون على استرجاع الحضارة السابقة عن طريق بث الماضي، ويهدُفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وينادون بأنَّ الإسلام دينٌ ودولة. على الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي، فإنهم يتَّخذون منه هدايةً للمستقبل، فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار». (١)

وينقل محمد عبد الله الشرقاوي عن مصطفى هدارة قوله: «لقد تطورت المخابرات الغربية تطُوراً هائلاً في السنوات الأخيرة، وأصبحت بحاجة لمعلومات قد تبدو تافهة في نظر الآخرين، لكنها تستطيع أن تؤلِّف منها معلومات على قدرٍ كبير من الخطورة والأهمية. ولا شكَّ أنَّ وجود مستشرقين متخصصين في العربية وأدابها، ومعظمهم يأتي للبلاد العربية، ويقيم فيها مدداً طويلاً، يجمعون قدرًا كبيرًا من المعلومات التي تفيد مؤسسات الاستخبار في بلادهم، وإنْ لم يكونوا كما كان أسلافهم من المستشرقين القداماء مرتبطين ارتباطاً كلياً بأجهزة

(١) انظر: ريتشارد نيكسون. الفرصة السانحة/ ترجمة أحمد صدقي مراد... . القاهرة: ...، ١٩٩٢م - ص ١٤٠ - ١٤١.

المخابرات، أو متوجهين للدراسات العربية من أجل تحقيق هذا الهدف». (١) وقد كان هذا واضحاً في اتهام مؤسسات الاستشراق المعاصر بارتباطها ببعض أجهزة المخابرات في العالم.

ويؤيدَّ أحمد عبدالحميد غراب هذا صراحة بقوله: «وتعاون المخابرات الغربية بوجه عامٍ، والمخابرات الأمريكية بوجه خاصٍ، تعاوناً وثيقاً، مع مراكز الدراسات الاستشراقية، وبخاصة مراكز دراسات الشرق الأوسط في الغرب، ولا سيما فيما يتعلق بالصحوة الإسلامية وتطوراتها» (٢).

ويؤيدُهما إدوارد سعيد بقوله: «إنَّ الولايات المتحدة توظيفات هائلةً حالياً في الشرق الأوسط تفوق في حجمها ما هو قائم في أيَّة بقعة أخرى على وجه الأرض، مع ذلك نجد أنَّ الخبراء في شؤون الشرق الأوسط الذين يقدمون المشورة إلى صانعي السياسة مثبعين، واحداً واحداً، بالاستشراق، لذلك يظلُّ الجزء الأعظم من هذه التوظيفات مبنياً على الرمال، لأنَّ الخبراء يقدمون توجيهاتهم لصنع السياسة استناداً إلى تجريدات رائجة، مثل النخب السياسية والتحديث والاستقرار التي لا

(١) انظر: محمد عبدالله الشرقاوي. في الفكر الإسلامي المعاصر: الاستشراق، دراسات تحليلية وتقديمية... [القاهرة]: دار الفكر العربي، [١٩٩٣م].. ص ١٨٦.

(٢) انظر: أحمد عبدالحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق... ط ٢... لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ.. ص ١٤٤.

تعدى - في معظمها - كونها القوالب الاستشرافية القديمة مطروحةً بلباس المصطلحات علم السياسة. وقد برهنت معظم هذه المصطلحات على عجزها الكامل عن وصف ما جرى مؤخّراً في لبنان أو ما جرى قبله على صعيد المقاومة الشعبية «لإسرائيل». (١)

نماذج من الكتابات:

لا تقصد هذه الوقفة في هذا الفصل تقضي ما كُتب عن الإيحائية الإسلامية من قبل المستشرقين، فإنَّ هذا من الأمور المتعددة في زمان «تفجُّر المعلومات»، كما أنها لا تسعى إلى استعراض ما قيل حول الإيحائية استعراضًا حصريًّا، ولكنها تسعى إلى الوقوف على نظرية هذه الفئة من الدارسين المؤثرين من المستشرقين، من خلال نماذج فقط مما كُتب حول الموضوع، إلى هذه الظاهرة القوية التي فرضت نفسها على الإنتاج العلمي الغربي، أكثر مما فرضت نفسها على الإنتاج العلمي العربي، إذ إنَّ الغرب قد حسب حسابًا للحركات

(١) انظر: Edward W. Said. Orientalism (١٩٧٨) . والترجمة العربية

متقدمة من: صادق جلال العظم. ذهنية التحرير: سلمان رشدي وحقيقة الأدب. - لندن: رياض الريس، ١٩٩٢م. - ص ٤٨. وانظر الترجمة بصيغة أخرى لدى كمال أبو ديب. - ص ٣١٨، وانظر إليها بصيغة ثلاثة لدى محمد عتاني. - ص ٤٨٧ - ٤٨٨.



الإسلامية «الأصولية» من منطلق قدرة هذه الحركات على التأثير على مستويات مختلفة داخلياً وخارجياً.

ومن أبرز من درس ظاهرة الصحوة من المستشرقين المستشرق الأمريكي الجنسي الأرمني الأصل الحلبي الجذور ريتشارد هرير دكمجيان الذي كتب كتاباً عن الأصولية في العالم العربي، وكان هذا الكتاب تقريراً وضعه المؤلف لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية، كما يشير إلى ذلك المؤلف نفسه (١) في مقدمة للكتاب. ثم طوره إلى كتاب نشره باللغة الإنجليزية، (٢) ويدرك مقدم الترجمة العربية للكتاب أنَّ «معظم ما يكتب عن الإسلام والمسلمين، خصوصاً عن الصحوة الحاضرة، ليس من باب البحث العلمي النزيه - مهما ادعوا له ذلك - وإنما هو عمل مخطط توجّهه وتدعمه الحكومات والشركات والمؤسسات طبقاً لمصالحها، وكثير من الباحثين مجندون لتحقيق نفس الغايات التي تجند لها الجيوش، وإن كان سلاح العلماء أفتک بأمتنا من أسلحة العسكريين». (٣) وقد مسحت هذه الدراسة إحدى وتسعين جماعة وجماعة.

(١) انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي... ط ٣ / ترجمة عبد الوارث سعيد... المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م... ص ١٣.

(٢) جاء عنوان الكتاب باللغة الإنجليزية على النحو الآتي:

Islam in Revolution: Fundamentalism in the Arab World-
Syracuse: Syracuse University Press, 1985.

(٣) انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي... المرجع السابق... ص ١١.

ويكتب برنارد لويس وإدوارد سعيد عن الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، وهو عبارة عن أربع مقالات؛ الأولى منها للمؤلف الأول برنارد لويس والباقية، وهي ثلث مقالات ، للمؤلف المشارك إدوارد سعيد. (١)

وللمؤلف الأول برنارد لويس إسهامات متعددة في الصحافة والإيحائية والأصولية الإسلامية، وقف معها مازن بن صلاح المطبياني وفقات نقدية تحليلية في رسالته للدكتوراه – كما مر ذكره -. (٢) وستستفيد هذه الوقفة من هذا العجهد المتميز ، إذ يُعدُّ هذا المستشرق برنارد لويس مؤرخاً مختصاً في التاريخ الإسلامي ، وخبيراً في شؤون العالم الإسلامي والشرق الأوسط ، ويُذكر أنَّ كتاباته تصل إلى أعلى المستويات لدى مصادر صنع القرار السياسي في الغرب . (٣)

ويحرِّر جيمس بيسكتوري كتاباً عن الحركات الأصولية الإسلامية وأزمة الخليج . (٤) وهو مجموعة من المقالات

(١) انظر: برنارد لويس وإدوارد سعيد. الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية .- مرجع سابق .- ص ١٣١ .

(٢) انظر: مازن بن صلاح مطبياني . الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي .- مرجع سابق .- ص ٥٤٤ .

(٣) انظر: مازن بن صلاح مطبياني . الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي .- المرجع السابق .- ص ٥٢٨ .

(٤) انظر : James Piscatori. Islamic Fundamentalisms and the Gulf Crisis .. Chicago: the American Academy of Arts and Sciences, 1991 .- 267 p.

المكتوبة من جمِيعِ من الكُتُب، كتب المحرر الفصل الأوَّل منها وترجمتها أَحمد مبارك البغدادي، وهو أحد الَّذين كتبوا عن الإِيمان بِخاصة، وعن الإِسلام بِعامة، كتَاباتٍ لا يُظْهِرُ منها التَّعَاطُفُ مع الصَّحْوَة، ويُظْهِرُ ذَلِكَ واضْطُهَادًا من خالِل التعليقات الاستفزازية التَّهَكُمية للْمُتَرَجِّمِ في الْهُوَا مُشَدَّدًا.

وعلى أيِّ حال فهذا الفصل الأوَّل في الكتاب لا يُعبِّرُ عن الرأي الاستشرافي نحو الصَّحْوَة أوِ الأصولية، وأقرب ما يكون إلى الوقفات الصحفية السريعة التي يمكن أن تُنْسَبُ إلى علماء الغرب، بالإضافة إلى بعض المُسْهَمِين العرب، مما يُؤكِّدُ أنه ليس كُلُّ من كتب عن الشرق من الغربيين أَصْحَى مستشرقاً.

وكتب جيل كيبل عن الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث، في كتاب تحت عنوان يوم الله: الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث.

كما سعى أَحمد بن يوسف وأَحمد أبو الجبين إلى رصد ما كُتب عن الأصولية في العالم العربي والإسلامي رصدًا ورافقاً،

(١) انظر: جيمس بيسبكتوري، محرر، الحركات الأصولية الإسلامية وأزمة الخليج/ تعرِيف أَحمد مبارك البغدادي... الكويت: مؤسسة الشّرّاع العربي، ١٩٩٢م.. ص ٤٠٨.

(٢) انظر: جيل كيبل، يوم الله: الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث... مرجع سابق.

(ببليوجرافيا)، وخرجا بجملة من الأبحاث التي تعين على إعداد دراسة علمية متوسعة عن موقف المستشرقين من الإيحائية، رغم أنهم أدخلوا في هذا الحصر جملة من الكتاب المسلمين، وعدداً من المستشرقين المنصفين.^(١)

وكتب المستشرق الأمريكي ريتشارد ميشيل الأستاذ بجامعة ميتشجان في آن آربر، أطروحته للدكتوراه عن الإخوان المسلمين من جامعة برنسون بالولايات المتحدة الأمريكية، ونشرها في كتاب بمعاونة من مؤسسة روكلير بالإضافة إلى مؤسستي فورد وفولبرايت، وترجم الكتاب إلى اللغة العربية مررتين.^(٢)

ويذكر محمد أركون، أو عركون، (توفي سنة ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م)، وهو ليس مستشراً بحال، ولكنه متأثر جداً بالفكرة الاستشرافي، أو بالفكرة الغربي، وإن لم يتعاطف مع الاستشراف دائمًا، أن «الخطاب الإسلامي الشائع حالياً قد زاد من حدة الصرامة العقائدية الجامدة للتصورات القديمة الموروثة عن الإسلام، أقصد الإسلام «الصالح لكل زمان ومكان»، والذي

(١) انظر: Ahmad bin Yousef and Ahmad AbulJobain. The Politics of Islamic Resurgence Through Western Eyes -. A Bibliographic Survey. -op. cit.

(٢) انظر: ريتشارد ب. ميشيل. الإخوان المسلمون/ ترجمة محمود أبو السعود، تعليق صالح أبو رفيق ... د.م. : د. ن، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م. - ص. ٥١٢.

يستعصي على التاريخ؛ لأنَّه فوق الزمن والواقع والتاريخ، أقصد الإسلام الذي أصبح مجرَّد طقوس عبادية واقعة تحت ضغط المراقبة الاجتماعية المتشددة أكثر فأكثر. هذا هو كُلُّ الإسلام في نظرهم، وأما بعد الفكر والبعد الروحي والبعد الحضاري للإسلام فهو شبه غائب، وعلى أيِّ حال فهو آخر ما يفكرون فيه». (١)

ويضيف محمد أركون القول: «وللأسف فإنَّ الاستشراق الكلاسيكي والأديبيات السياسية المتسرِّعة المنتشرة حالياً في الغرب عن الإسلام والحركات الإسلامية تزيد من انتشار هذه الصورة عن الإسلام المجرَّد الذي يقف فوق الزمن والتاريخ، الإسلام الأقنوبي الذي لا يتأثر بشيء ويؤثِّر على كل شيء، بل إنَّ الأديبيات الاستشرافية تضفي ثقلها العلمي على هذا التصور السكوني الجامد عن الإسلام والمسلمين ماضياً وحاضراً». (٢)

وسعى المستشرق الأمريكي ناداف سفران، رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة

(١) انظر: محمد أركون. الإسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة/ ترجمة وإسهام هاشم صالح..- بيروت: دار الساقى، ١٩٩٥م..- ص ١٣.

(٢) انظر: محمد أركون. الإسلام، أوروبا، الغرب..- المرجع السابق..- ص ١٣.

الأمريكية، إلى عقد مؤتمر عن الإيجيائية الإسلامية الأصولية بدعم من وكالة المخابرات الأمريكية، وصل إلى خمسة وأربعين ألف (٤٥,٠٠٠) دولار.^(١) وعندما علم بعض المسلمين المدعوين لهذا المؤتمر بهذا الارتباط اعتذروا عن عدم حضوره وعدم الإسهام فيه.

وكتب المستشرق الكندي ولفرد كانتول سميث كتاباً عن الإسلام في التاريخ الحديث Islam in Modern History، نشرته جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية، وأسهمت مؤسسة روكلفر في نشره.^(٢) كما أنَّ هذه المؤسسة هي التي مولت رحلات المؤلِّف في البلاد العربية والإسلامية.^(٣)

وكتب فرانسوا بورجا عن الإسلام السياسي، ركَّز فيه على الحركات الإسلامية في شمال أفريقيا.^(٤) وكانت كتابات أوليفيه

(١) انظر: أحمد عبدالحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق.. - مرجع سابق.. - ص ١٤٤ .

(٢) انظر: عبد بن محمد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم و موقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيقاً. - مرجع سابق.. - ص ٤٦ - ٥١ .

(٣) انظر عرضاً نقدياً مطولاً عند: محمد محمد حسين. الإسلام والحضارة الغربية.. - ط ٥ .. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.. - ص ١٤٧ - ١٦٩ .

(٤) انظر: فرانسوا بورجا. الإسلام السياسي: صوت الجنوب: قراءة جديدة للحركة الإسلامية في شمال أفريقيا/ ترجمة لورين فوزي ذكري، مراجعة وتقديم نصر حامد أبو زيد.. [الدار البيضاء]: تانسيفت - دار العالم الثالث، ١٩٩٤ م.. - ص ٣٩٥ .



روا عن الإسلام السياسي أكثر شمولاً للواقع الإسلامي المعاصر، فقد استعرض الوضع الإسلامي من شرق بلاد المسلمين إلى غربها من وجهة نظر استشرافية إعلامية مختلطة.^(١)

وكتب دانيال بايس (مولود سنة ١٩٤٩) عن الإسلام والسلطة السياسية. ولم يكن هذا الكتاب في خدمة المعرفة، بل في خدمة الغرب، يساعد المؤلف في تعريف مصالحها، يقول إدوارد سعيد عن الكاتب والكتاب: «كتاب بايس يشهد على مرونة الاستشراق الفريدة، وعلى عزلته عن التطورات الفكرية في جميع الميادين الأخرى من الثقافة، وعلى غطرسته العتيبة البائدة، سيما حين يتصل الأمر بتلك الظروف الجازمة القاطعة التي لا تضع سوى اعتبار طفيف للمنطق والمحاجة، وأشك في أن يتحدد اليوم عن اليهودية أو المسيحية بمثل ذلك المزيف من السلطة والتحليل الذي يسمع بايس لنفسه باستخدامة عند الحديث عن الإسلام، رغم أنَّ المرء قد يعتقد أنَّ كتاباً عن الصحوة الإسلامية يمكن أن يلمح إلى تطورات موازية وذات صلة بأساليب الانبعاث الديني في لبنان وإسرائيل والولايات المتحدة على سبيل المثال. أما عند بايس فإنَّ الإسلام حكاية متقلبة وخطرة، وحركة سياسية تتدخل في شؤون الغرب وتقلق

(١) انظر: أوليفيه روا. تجربة الإسلام السياسي / ترجمة نصیر مرقرة.. بيروت: دار الساقی، ١٩٩٦م.. ص ٢١٣.

راحته، وتحرص على العصيان والتعصب في كل أرجاء العالم». (١)

ومن هذا المنطلق يدور نقاش طويل حول خطر الإسلام على الغرب، وأنه هو القوة القادمة التي تهدّد الغرب، وتهدّف إلى زعزعة استقراره وتقديمه العلمي والتكنولوجي. (٢)

ويكتب إيفان هيربيك عن الانبعاث الإسلامي المعاصر من منظار تاريخي: أفكار حول الأزمة والنهوض في الإسلام، يرجع إطلاق الأصولية على الصحيحة إلى عدم توقعها، وعدم الاستعداد لها من المراقبين الخارجيين. (٣)

وكتب كارل زوربي عن نموّ تأثير الأصولية الإسلامية في المجتمع المصري خلال حكم السادات. ويرجع الاهتمام الغربي بالإحياء الإسلامية «الأصولية» إلى قيام ثورة الخميني

(١) انظر: إدوارد سعيد. تعقيبات على الاستشراق / ترجمة وتحرير صبحي حديدي .-. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ .-. ص ٤٣ - ٤٤. كتاب دانييل بايس. على درب الله: الإسلام والسلطة والسياسة.

(٢) انظر مناقشة فكرة خطر الإسلام على الغرب الفصل الرابع وعنوانه الإسلام والغرب: «خطر الإسلام» أم «خطر على الإسلام»؟ .-. ص ١١١ - ١٣٥ .-. في: فريد هاليدي. الإسلام والغرب: خرافة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط / ترجمة عبدالإله التعميمي .-. بيروت: دار الساقى، ١٩٩٧ .-. ٢٣٠ ص.

(٣) انظر: إيفان هيربيك. الانبعاث الإسلامي المعاصر من منظار تاريخي: أفكار حول الأزمة والنهوض في الإسلام .-. ص ١٢٣ - ١٣٤ .-. في: فالح عبد العجّار / مترجم ومعد. الاستشراق والإسلام .-. مرجع سابق .-. ١٦٧ ص.

في إيران، واغتيال الرئيس المصري أنور السادات في مصر، ولكنه يعيد تنامي الإحيائية الإسلامية «الأصولية» إلى خمسة عوامل سبقت الثورة الإيرانية ومقتل السادات، وهي على التوالي:

- ١ - هزيمة العرب في حربهم مع اليهود في ٢٦/٢/١٣٨٧هـ الموافق ٥/٦/١٩٦٧م.
- ٢ - محدودية الأفكار الاشتراكية التي ظهر بها جمال عبد الناصر منذ الخمسينات من القرن العشرين الميلادي.
- ٣ - تشجيع الرئيس المصري أنور السادات للقوى السياسية الإسلامية في مصر.
- ٤ - الشحن الاجتماعي لسياسة الانفتاح الاقتصادي التي تبنّاها الرئيس المصري أنور السادات في مصر.
- ٥ - عودة التحالف المصري مع الغرب على حساب الوجود الشيوعي الروسي في مصر.^(١)

ولا بدّ من ملاحظة أنَّ هذه العوامل الخمسة تنطلق من نظرية اشتراكية للتقلبات التي طرأت على المنطقة بعامة، وعلى مصر بخاصة.

(١) انظر: كارل زوربي. *نحو تأثير الأصولية الإسلامية في المجتمع المصري خلال حكم السادات*... ص ١٤٣ - ١٥٨... في: فالح عبدالجبار / مترجم ومعد. *الاستشراق والإسلام*... المرجع السابق... ص ١٦٧.

وكتب هولفر برايسنر عن ملاحظات حول المسائل الراهنة في الإسلام المعاصر، يركّز في هذه الورقة على المصطلحات التي أصقت بالإسلام كالأصولية، والإسلامية، والإحيائية، والتكميلية، وأنها قد جاءت من أوساط غير إسلامية، وأنها تحمل تضمينات زائفة. ويحدد قضيّا النقاشات الإسلامية التي تناولها الحركات الأصولية في أربع؛ هي على التوالي:

- ١ - الموقف من الدولة، والرغبة العارمة لإقامة ما يسمى الدولة الإسلامية.
- ٢ - فكرة إقامة مجتمع للمستقبل يقوم على الشريعة.
- ٣ - موقع المرأة في الحياة الاجتماعية والسياسية.
- ٤ - العلاقة مع غير المسلمين، ومع معارضي الأفكار الإسلامية.^(١)

تصنيف الإحيائية:

من الأمور المهمة لغرض هذه الورقة أن تدرس هذه الورقة تصنيف الإحيائية من خلال ما أسممت به هذه الحركات الإسلامية من جماعات وجماعات، بل ودول، وذلك من خلال

(١) انظر: هولفر برايسنر. أصوليون فقط؟ ملاحظات حول المسائل الراهنة في الإسلام المعاصر. - في: فالح عبدالجبار / مترجم ومعد. الاستشراق والإسلام. - المرجع السابق. - ص ١٤٥ - ١٥١.

النظرة الاستشرافية التي قد تظهر من بعضها نظرتها السريعة، ومن ثَمَّ السطحية التي لم تعمق في النفس، بقدر ما اتَّخذت من الظاهر مقياساً دقيقاً عندها، مثل مظهر الناس في ساحتهم ولباسهم، بل يظهر منها التعصب والعنصرية الواضحة للرجل الأبيض «الغربي» ضدَّ كل ما هو «شرقي». ويؤكِّد هذا مكسيم رودنسون في ردِّه على ثيودور لوثروب ستودارد في كتابه العالم الإسلامي الجديد، الذي تظهر فيه عنصريته من خلال تصنيفه للمسلم بأنه غامض، أصولي، متخلَّف، عدواني، جاهل، ومتوْحِش، متلَّعِج بتأثير الدين والعادات وقليل من النخبة المتنورة. ^(١)

وهذا يؤثِّر في الإفادة من هذه المعلومات السطحية في اتَّخاذ موقف إستراتيجي منها. ويوحى مراد هوفمان بذلك بقوله: «ولقد اتَّهمَ مثقفو الأصوليين آنذاك بما يُتَّهمون به اليوم أيضاً، اتهاماً ظالماً بأنهم سُنَّج، متاخرون، بل أغبياء، وذلك لاستمساكهم بالظاهر الحرفي للنصوص، علمًا بأنَّ وسائلهم في الدرس والتحليل والاستنتاج ومعالجة النصوص، تتفق وأفضل نتائج فلسفة اللغة التحليلية للمعاصرين في أوطانهم». ^(٢)

(١) انظر: Maxime Rodinson. Europe and the Mystique of Islam-. Translated by Roger Veinus -. Seattle: University of Washington Press, 1991-. p 72.

(٢) انظر: مراد هوفمان. الإسلام كبدائل .- مرجع سابق .- ص ١٠٨ .



وأتهمت الإيحائية بالانعزالية ومحدودية عقول أصحابها وضيق خبراتهم وأفقيهم . ومع هذا ينبري جون إسبوزيتو ليدافع عن الإيحائية بقوله : «لقد قضيت من عشر إلى خمس عشرة سنة في العالم الإسلامي ، وتعاملت بصورة طيبة مع عدد من الذين يعرفهم العالم اليوم بأنهم نشطون إسلامياً ، ووجدت الغالبية العظمى منهم ليسوا بالإرهابيين المتطرفين ، إن غالبيتهم ذات عقل متنفتح قابل للنقاش والاتصال مع الغربيين». (١)

كما أن هذه الإيحائية ، «الأصولية» ، التي يعيشها المسلمون ، كما يؤكّد إسبوزيتو ، ليست مؤقتة انبعثت من مجرد الفقر الذي تعيشه بعض بلاد المسلمين ، ولذا فإنه يحدّر صياغ القرار في الغرب من الاستمرار في الضغط على الصحوة والموقف المزدوج في النظرة إلى «الديمقراطية» في المجتمعات المسلمة . (٢)

ويتوسّع مازن المطّقاني في تحليل الموقف الغربي من الإيحائية ، «الأصولية» بشكل تحليلي نقدي ، ويرد على النقاط التي ذُكرت على أنها من تصنيف المتممرين إلى الإيحائية ، أو

(١) انظر : مازن المطّقاني . الغرب في مواجهة الإسلام : معالم ووثائق جديدة .- المدينة المنورة : مكتبة ابن القيم ١٤١٠ هـ / ١٩٩٨ م .- ص ١٤ - ١٥ .

(٢) انظر : Ahmad bin Yousef and Ahmad AbulJobain. The Politics of Islamic Resurgence Through Western Eyes-. A Bibliographic Survey-. op. cit-. p180.

متبنّيها، يمكن الرجوع إليه لمن أراد الاستزادة، إذ إنه ليس من صميم هذه الوقفة، فهي لا تهدف إلى الردود المباشرة.^(١)

كما بُرِزَ ذلك التصنيف واضحًا، أيضًا، في دراسة ريتشارد هرير دكمجيان السالفة الذكر، وإن ظهرت تحت عنوان الأسس النفسية - الاجتماعية للإحياء الإسلامي، مثل روح المتعصب، والعزلة والاكتمال قبل الأوان، والتطرف، والدونية والاستعلاء، والحركة - العدوانية، والفاشية، وعدم التسامح، والارتباطية، والإسقاط، والمثالية، والإحساس بالواجب، والقسوة والجرأة، والطاعة والالتزام.^(٢)

ويُنظر إلى هذه الإيحائية، «الأصولية»، على أنها شكلٌ من أشكال المحافظة والرجعية والتقليد والحمدود والتطرف والتطرف والرفض للحضارة الغربية، والدعوة إلى الحكومة الدينية «الشيوقراطية». ^(٣)

هذا في الوقت الذي يُصنّف المسلمين الإيحائية تصنيفًا

(١) انظر: مازن المطبّاني. الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة..- مرجع سابق.- ص ١٦ - ١٠٢ .

(٢) انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي..- مرجع سابق.- ص ٤٨ - ٦٣ .

(٣) انظر: أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق..- مرجع سابق.- ص ١٥٤ .

آخر، يمكن تفصيّه من خلال متابعة من كتبوا عنها من علماء المسلمين ومفکرיהם، مثل العودة إلى المساجد، والإقبال على المعارف الإسلامية، والازدياد من التمسّك بالدين، والسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، والمطالبة بأسامة العلوم، وإنشاء المؤسسات الإسلامية الاقتصادية والسياسية والثقافية، وإنشاء المراكز والمنظمات الإسلامية، وإحياء روح الجهاد بمعناه الشرعي المؤصل، والدعوة الجادة للوحدة الإسلامية، وقيام الأحزاب السياسية الإسلامية، وتجاذب الشعوب المسلمة مع القضايا الإسلامية. (١)

تصنيف الإسلام:

وتبع هذا التصنيف، أو سبقه، تصنیف الإسلام إلى «islams»، فهناك الإسلام الأصولي التقليدي، والإسلام الليبرالي، والإسلام الرسمي الحكومي والسياسي،^(٢) وحول هذه التسمية تکثر الإسهامات الغربية،^(٣) والإسلام الخير أو

(١) انظر: مانع بن حمّاد الجهني. الصحوة الإسلامية: نظرة مستقبلية...
الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، د.ت.- ص ١٤ - ٢٤.

(٢) انظر: فرج العشّة. نهاية الأصولية ومستقبل الإسلام السياسي -. بيروت: رياض الريس، ٢٠٠٩ - ٢١٩ ص.

(٣) انظر: فرنسوa بورجا. الإسلام السياسي: صوت الجنوب، قراءة جديدة للحركة الإسلامية في شمال أفريقيا. - مترجم سابق. - ص ٢٥ - ٧٠.

الطيب، «المسلمون الأخيار»، والإسلام الشرير، «المسلمون الأشرار»،^(١) والإسلام السلمي والإسلام المسلح.^(٢) والإسلام الشعبي الجماهيري،^(٣) والإسلام اليميني المتطرف، والإسلام اليساري المتطرف، والإسلام الاشتراكي اليساري غير المتطرف،^(٤) والإسلام السلفي «الأرثوذوكسي»، والإسلام الصوفي، والإسلام التقليدي، وإسلام العامة أو الإسلام الشعبي، أو إسلام المغفلين، بل والإسلام السعودي أو الخليجي، والإسلام التركي، والإسلام الهندي، والإسلام الباكستاني،^(٥) والإسلام الجزائري.^(٦)

(١) انظر: جوديث ميلر. تحدي الإسلام المستشد... في: الإسلام والغرب: آفاق الصدام... مرجع سابق... ص ٩٥ - ٩٥.

(٢) انظر: مازن بن صلاح مطّقاني. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي... مرجع سابق... ص ٥٣٥.

(٣) انظر: ريتشارد هرير دكميجيان. الأصولية في العالم العربي... مرجع سابق... ص ٤٤ - ٤٦.

(٤) انظر: سلسلة الإسلام واحد ومتعدد التي تصدرها رابطة الأدباء العرب ودار الطليعة بيروت. وقد صدر منها: الإسلام العربي، إسلام الفقهاء، إسلام المجددين، الإسلام السني، الإسلام الخارجي، الإسلام الآسيوي، إسلام الأكراد، إسلام عصور الانحطاط، الإسلام الشعبي، وغيرها. ولو كانت بعنوان: إسلام واحد ومسلمون متعددون، فتغير كلمة إسلام في عنوانات الكتب إلى مسلمين، لكان التعبير أقرب إلى القبول.

(٥) انظر: محمد محمد حسين. الإسلام والحضارة الغربية... مرجع سابق... ص ١٥٨.

(٦) انظر: جورج الراسي. الإسلام الجزائري: من عبدالقادر إلى أمراء الجماعات... بيروت: دار الجديد، ١٩٩٧... ص ٥٧٥.

ثم ظهر لنا المنظرون والمفاسدون بفكرة فصل الممارسة الدينية الإسلامية عن الدين الإسلامي نفسه، فظهر من يقول بالأيديولوجيا الإسلامية، وليس الإسلام، والظاهرة الإسلامية والعربية، وليس الإسلام، ويبيّن محمد أركون إطلاقه هذا بقوله: «لقد لفظت الكلمة «ظاهرة» عن قصد، ولم أقل «الإسلام» بكل بساطة. وهذا التفريق المفهومي له أهميته، فعندما نلفظ الكلمة «إسلام» نقول مصطلحًا يبدو ظاهريًا وكأنه واضح، أو كان كل الناس يفهمونه فورًا، ويستطيعون استخدامه بكل بساطة.^(١)

ويضيف محمد أركون القول: فهم يظنون أنه تكفي العودة إلى النصوص الكلاسيكية الكبرى التي يعتقد أنها تقول ما هو الإسلام، ولكن ذلك ليس إلا خيالات المراقبين الأجانب والأيديولوجيي الذين يرتكبون النظريات بهذا الشخص، وخصوصاً في فرنسا بالذات، وهم يفعلون ذلك لتبرير كل أنواع الهاوس السياسي تجاه العمال العرب المغتربين، والإسلام، إلخ. ويمرُّ كلامهم بسهولة لدى الجمهور الفرنسي وكأنه الحقيقة المطلقة، ولكنه في الواقع ناتج عن المتخيل السياسي والاجتماعي الذي يعمي بصره تماماً عن حقائق الواقع التي تغطيها الكلمة إسلام.^(٢) ولا يزال الحديث لمحمد أركون، حيث

(١) انظر: محمد أركون. العلمة والدين: الإسلام، المسيحية، والغرب... ط ٣ - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٦م - ص ١٩.

(٢) انظر: محمد أركون. العلمة والدين: الإسلام، المسيحية... المرجع السابق... ص ٢٠.

يقول : ولذا فينبغي أن نراقب «الظاهر» وندرسها بكل تعقيدها ، بغضّ النظر عن التصور «الواضح والسهل الذي يقدمونه عنها». (١)

وليس المقصود بهذا القول الفصل في الممارسة عن الدين لدى «أركون» ما سبق التوكيد عليه من أنَّ الإسلام حجَّة على الناس ، أي المسلمين الممارسين له ، وليس الناس الممارسوون للإسلام حجَّة على الإسلام ، من منطلق أنَّ الأشخاص يُعرفون بالحقّ ، ولا يُعرف الحقُّ بالأشخاص ، فهذا المنطلق منطلق إسلامي معروف ، لا يحتاج إلى تنظير أو تفلسف .

الخلاصة : التبيّنة :

يمكن الخروج من هذا التحليل لموقف المستشرقين من الإحياء الإسلامية أو الصحوة أو الانبعاث بعدد من النتائج ، من أهمها الآتي :

- ١ - شهد القرنان الأخيران في العالم الإسلامي حركاتٍ إصلاحيةً متفرقةً جغراًفاً ، ونتج عن هذه الحركات الإصلاحية بروز ظاهرة التوجُّه إلى الدين ، واصطباغ الأدبيات العربية على تسمية هذا التوجُّه إلى الدين بالصحوة الإسلامية . وربما قيل إنها الإحياء الإسلامية . وجرى تقسيمها من منظور تاريخي إلى إحيائين .

(١) انظر : محمد أركون . العلمة والدين : الإسلام ، المسيحية ، والغرب . المرجع السابق . - ص ٢٠ .

٢ - أهانت بعض عناصر الصحوة على نفسها - في بعض مواقفها - فيما يتعلق بترك انطباعات غير حسنة عنها - خصوصاً في الإيحائية الأولى التي غلبت العاطفة على العلم - لا سيما في موقفها من الغرب الذي يسيطر على الساحة العالمية اليوم، وبخاصة مع انتشار الحرب الباردة، وتفكك الاتحاد السوفييتي، وظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد والعلمة.

٣ - أدت نظرة بعض عناصر الصحوة إلى الغرب بخاصة، وإلى الحياة الراهنة بعامة، بعلماء الأمة ومفكريها إلى السعي إلى ترشيدها وتوجيهها الوجهة المباركة، ولذا حفلت المكتبة العربية بالإنتاج العلمي عن الصحوة، وغلب على هذا الإنتاج التقويم العلمي الشرعي المتأني الورجل من سيطرة العاطفة والحماس الزائد.

٤ - تفاعل المستشرقون مع الصحوة الإسلامية التي شاعت بين المسلمين في البلاد الإسلامية، وبين الأقليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية، وبين الجاليات المسلمة المقيمة في الغرب بخاصة. وفضل المستشرقون إطلاق مصطلح «الأصولية» على هذه الصحوة. وظلَّ هذا المصطلح مضطرباً إلى الآن. وغلب على هذا التفاعل من قبل المستشرقين على بعض عناصر الصحوة، التي لا تكُن ودأً للغرب ومعطياته الحضارية.

٥ - وتفاعل غير المستشرقين مع هذه الصحوة من علماء الغرب وإعلاميه، بحيث اختلط الأمر على المتابعين، ولم يتمكنوا من التفريق الدقيق بين هذه الفتات الأربع؛ المستشرقين وعلماء الغرب وفلاكيه والإعلاميين الغربيين، وأدى هذا إلى أن يفقد الاستشراق شيئاً من قيمته التي كان عليها من قبل.

٦ - نتج عن هذا التفاعل إنتاج فكري غزير، بعضه عميق، وكثير منه سطحي ومتسرع. وقد اهتم به الغرب وال المسلمين حتى أضحم مصدراً من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي المعاصر، لا سيما منه ما يتعلق بالصحوة الإسلامية، وبخاصة الإنتاج الفكري الاستشرافي الأكثر علميةً وعمقاً، وذلك عند من تمكنا من التفريق بين الفتات الأربع.

٧ - جاءت معظم الإسهامات الاستشرافية عن الصحوة بانطباعات غير طيبة، ما عدا حالات معدودة ومعلومة نادت بعدم التعميم في الأحكام، على الرغم من أنها ربما درست فئة من الفتات تنظيميةً أو حزبيةً، أو درست إقليماً من الأقاليم التي برزت فيه الصحوة واضحة، وأثرت في هذا الإقليم أو ذاك، وبدا أثراها من خلال بعض الممارسات التي لا تخفي على أي متابع.

٨ - تقدم المستشرقون وبعض علماء الغرب الذين درسوا

الصحوة الإسلامية بجملة من النصائح للحكومات الغربية، فظهر بعض هذا الإنتاج الفكري الذي تمَّ خُصْصَتْ عنه هذه النصائح بتكليف من هذه الحكومات، وتشجيع منها، مما أدى إلى تطوير هذه التقارير إلى كتب تُرجمت إلى اللغة العربية، وحفل بها بعض مفكري العرب.

٩ - لم يذهب هذا الإنتاج الفكري هباءً، فلقد استعانت الحكومات الغربية بهذا الإنتاج الفكري للاستشراق في وضع السياسات والإستراتيجيات، وتحديد الموقف من مجتمعات بروزت فيها الإيحائية، مما أدى إلى نظرية رسمية غير عادلة، وغير متكافئة مع هذه الصحوة، وربما نزعت هذه المواقف إلى التطرف في النظرة إليها، مما تبع عن تطرف في النظرة إلى الغرب والتطرف يولد عادةً تطرفًا.

١٠ - في ظل التطورات الحديثة في تقانة المعلومات يستمر الاستشراق في فقدانه للمكانة العلمية التي تبُوأها منذ القدم، لا سيَّما في تحليلاته للصحوة أو الإيحائية الإسلامية (الأصولية)، إذ سيلجأ المتابعون من استخداموا الاستشراق قاعدةً معلومات إلى المعلومة الجاهزة والسرعة التي ستوفِّرها لهم قواعد المعلومات الحديثة، وشبكات المعلومات الدولية، إلا إذا بادرت مراكز الدراسات الاستشرافية ومراكز دراسات الشرق الأوسط العلمية «الأكاديمية» الرصينة إلى إيجاد موقع لها في هذه القواعد

المتقدمة، لأنَّ الوقت الآن وقت السرعة المذهلة في
الوصول إلى المعلومة، والحصول عليها، بعد أن أصبحت
متاحة للجميع.

* * *

الخاتمة

وقفة أخيرة

● لا بدّ من الاعتراف بأنّ للمستشرين جهوداً في التعامل مع المعلومات الإسلامية التراثية والمعاصرة، وإنْ كان اهتمامُهم بالتراث المكتوب أكثر وضوحاً. والذي يبدو أنَّ الدوافع والأهداف لهذا الاهتمام الاستشرافي أصبحت واضحة لذوي الاهتمام والمتابعة، وللذا فإنَّ هذه الوقفة لن تهتمُ بالعودة إلى هذه الدوافع والأهداف، مع التوكيد على أنَّ الاستشراق يُعدُّ اليوم مصدراً فاعلاً من مصادر المعلومات عن الإسلام وال المسلمين.

● فقد اهتمَ المستشرون بالتراث الإسلامي، فحفظوا مخطوطاته، ونشروا أجزاءً لا بأس به منها، وحقّقوا بعضها، وترجموا بعضًا منها، ودرسوا العالم الإسلامي في قرونه الأولى، وأصبحت هذه الجهود كلها شائعة بين الباحثين العرب وال المسلمين، وبرزت أعلامٌ من المستشرين دأبت على

التراث العربي الإسلامي تخدمه بداعف الإعجاب أحياناً.

• وهذا يُعدُّ من الدوافع العلمية النزية، ويدوافع غير علمية أحياناً أخرى، إلى درجة أنَّ المستشرقين المتأخرين «المعاصرين» وجدوا أنَّ أسلافهم لم يتركوا لهم مجالاً يُذكر في خدمة التراث، لا سيما مع تسلُّم المسلمين والباحثين العرب وال المسلمين زمام هذا الاهتمام بعناية تفوق عناية المستشرقين السابقين، بحكم انتهاهم للثقافة التي يخدمونها. هذا بالإضافة إلى مشاركة المسلمين كأساتذة في الجامعات الغربية.^(١)

• فما كان من معظم المستشرقين المعاصرین إلا الاتجاه إلى الحاضر، بما يمرُّ به هذا الحاضر الإسلامي من تغييرات استرعت الانتباه العام، وأضحت مجالاً للدرس والتحليل العميق أحياناً، والسطحجي المتسرع في أغلب الأحيان، ذلك الذي تبناه وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وفضائيات ومواقع إلكترونية، فتأثر الاستشراق بهذا التوجُّه حتى لجا المستشرقون إلى الاعتداد بما تكتبه الصحف، وجعلوه مادة للتحليل والتعليق في كتبهم ومقالاتهم عن الإسلام والمسلمين.^(٢)

(١) انظر: مارسيل بوزار. الإسلام اليوم.. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م.. - ص ٢٠.

(٢) انظر: John Esposito, the Islamic Threat: Myth or Reality. New York: Oxford University Press, 1992. P. 168 - 215.

- وقع المجادون من المستشرقين - على قاتلهم في الآونة الأخيرة - في مكتباتهم ومراكيز بحوثهم، يتسبّبون بالعمق في الدراسة من نشر للتراث وتحقيق وترجمة ودراسات جادة، في وقت يستمرُ فيه سحب البساط من تحتهم، واتّجه آخرون كثيرون إلى التحليل السريع لواقع العالم الإسلامي في البرامج الإخبارية التحليلية، فاستهويتهم الشهرة السريعة والظهور الإعلامي المتكرر في الصحف والقنوات الفضائية(!) وبرزت أسماؤهم لدى المتنفذين في السياسة والاقتصاد، فاستعنوا بهم في الحصول على المعلومات عن العالم الإسلامي المعاصر، يكْلِفونهم بدراسة بقعة صغيرة منه، أو ظاهرة غابت عليه، أو توقع لها يمكن أن يؤول إليه الحال. وبُنيت على هذه الدراسات قرارات وإستراتيجيات، ورسمت عليها الخطط، وحدّدت بموجبها المواقف.
- ولكن هذه الفتنة من المستشرقين لم تُعد تمثل الاستشراق بالمفهوم العميق لهذا المصطلح، بل إنَّ معظم المستغلين بهذا الأسلوب من تحليل المعلومات عن الإسلام والمسلمين بهذه السرعة قد يدخلون في مفهوم علماء الغرب الذين يكتبون عن الإسلام والمسلمين، مما يعني أنَّ هناك مفهوماً آخر لمن يخوض في البحث في مجالات المسلمين الحديثة، لا ينطبق عليه مفهوم الاستشراق.
- وعلى أيِّ حال فإنَّ مفهوم الاستشراق نفسه بدأ يخفُّت، وطفق

بعض المشتغلين بالشرق يفضلون أيّ إطلاق عدا إطلاق المستشرق التفافاً على المصطلح، مثل عالم الإسلاميات أو المستعرب أو الخبير في شؤون الشرق الأوسط.^(١) وكان لهذا أثره على المعلومة عن الإسلام والمسلمين، حيث اتسمت بالسطحية والسرعة حين تستقي معلوماتها من تحقیقات صحافية أو مشاهدات سريعة في مجتمع من المجتمعات المسلمة التي نظر إلى أفرادها على أنهم متشارعون للرقية (!) بدائيون وجهلة، لصوص يخطفون الفتيات، ويعيشون تحت الخيام يربون الجمال، وتسيّرهم غرائزهم الجنسية الدموية.^(٢) وهذه أوصاف لا يقولها المستشرقون المحذثون الذين يدركون أنها أوصاف سريعة لم يعد لها «سوق» في البحوث والدراسات العميقة.

● ومن ذلك الخلط في المعلومات بين ما هو عربي وما هو إسلامي. ونحن نعلم أنَّ الإسلام دين وأنَّ العربية لغته التي يتحدثُها المسلمون العرب، والمسلمون غير العرب، ويتحدثُها العرب غير المسلمين وربما غير المسلمين وغير العرب، وعليه فإنَّ المجتمع العربي ليس كُلُّه مسلمين، ففيه

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الالتفاف على الاستشراق. -- مرجع سابق. -- ١٨٣ ص.

(٢) انظر: محمد إبراهيم القبومي. الاستشراق رسالة الاستعمار: تطور الصراع الغربي مع الإسلام. -- دار الفكر العربي، ١٩٩٣م. -- ص ٢٩٩.

النصارى العرب واليهود العرب، وما يتصرفه العرب من غير المسلمين لا يُحسب على الإسلام والمسلمين، لأنّ القاعدة عندنا أنَّ «الرجال» يُعرفون بالإسلام، وليس الإسلام يُعرف بالرجال. وإنما ولد هذا الخلط بين الدين والقومية أنَّ الاستشراق القديم سميَّ المسلمين عرباً، واستمرَّ على هذه التسمية يتوارثها المستشرقون، ثم أخذها عنهم الصحفيون والإعلاميون، حتى إنَّ بعضهم ليستغرب أنَّ يوجد بين العرب من هو غير مسلم!

● من هنا فإنه من الحيف أنَّ تلصق هذه السطحية المفرطة بالاستشراق الذي عهدناه في تعامله مع تراث العرب والمسلمين، رغم ما اعترى هذا التعامل من مأخذ، إلا أنها لم تكن على هذا المستوى من التعامل مع الثقافات الأخرى، بل إنَّ من الحيف أنَّ تُحسب بعض المقولات المضليلة عن العرب على الاستشراق من مثل قول أحدthem عن العرب إنهم ليسوا بشرًا، إنهم عرب! (١)

● وتتفاوت إلى اليوم نظرة مفكري العرب والمسلمين حول قبول الإنتاج الفكري للمستشرقين قبولاً مبدئياً. فهناك من قال بملء فمه إنَّ كلَّ ما يأتي عن المستشرقين مردود دون أن

(١) انظر: أحمد بهاء الدين شعبان. حاخامات وجزرارات: الدين والدولة في إسرائيل. .-(القاهرة): نوّارة للترجمة والنشر، ١٩٩٦ م.- ص ٤٧.

نجهد أنفسنا في النظر فيه. وذلك لأنَّ ماجاء به المستشرقون على مرِّ الأيام والسنين لم يتعدَّ في مضمونه الإهانات المباشرة، وغير المباشرة للتراجم العربية الإسلامية، بل لا تكاد تقرأ إسهاماً من هؤلاء إلا وتمجد وراءه دافعاً إلى وضع نقطة سوداء صغيرة في ذلك التراجم، وعليه فإنَّ إنتاجهم مرفوض من مبداءه. وفي رفضه ما يدعوهم إلى تغيير آرائهم ونظراتهم حول هذا التراجم.

• وفئة أخرى من المفكِّرين العرب والمسلمين تؤمن بما ذهبت إليه الفئة الأولى من العلماء، ولكنها تأخذ هذه المجموعة من الإسهامات العلمية والفكرية، وتعرف خلفيتها ومنطلقها، فتدرسها ثم تردُّ عليها، وتوضح للآخرين موقع الخطأ فيها، وتبُّرِّز لهم مواطن الضعف وأسباب هذا الضعف ودواجهه.

• وحجَّة هذه الفئة أنَّ كتابات المستشرقين اليوم قد عمت وصار لها وجود، ولها روَّاد ومفكِّرون ومصلِّدون، فهي لم تقف عند إسهامات فردية من مجموعة من علماء الغرب، ولكنها إسهامات جماعية وفردية في آنٍ واحد، تدعمها مؤسَّسات علمية كبرى، كالجامعات والهيئات العلمية الكبرى والهيئات البحثية الخيرية، بل تدعمها حكومات تقف وراءها؛ لأنها دراسات تتحقّق للحكومات فوائد كثيرة في سبيل قربها من هذه الثقافة المدرستة أو بعدها عنها. وبالتالي فإنَّ هذه الحكومات تستفيد من دراسات هؤلاء المستشرقين في رسم إستراتيجيات وخطط

للتتعامل مع أصحاب هذا التراث، سواءً على مستوى الحكومات أم على مستوى المفكّرين والأفراد من مختلف الاهتمامات.

● وتردُّ هذه الفئة من العلماء والمفكّرين على من يستبعد هذا الاهتمام المباشر من قبل الحكومات في دعم هذه الدراسات واستفادتها منها، بما تقدّمه على معاهد الاستشراق من مساعدات مالية مستمرة، ومن مساعدات معنوية تمثّل في تقرير المستشرقيين والتنويه بجهوداتهم وإسهاماتهم العلمية، ومن ثمَّ رصد الجوائز التقديرية لهم - على ما مرّ ذكره -. وتزيد هذه المساعدات وتنقص حسب أهمية الأمم التي يدرّسها المستشركون، لا سيّما إذا استعملت كلمة الاستشراق بمعناها الشامل الذي يتضمّن دراسة كل الثقافات الشرقية، بما فيها الهندية والفارسية والصينية واليابانية، وغيرها من الثقافات التي تقع في مفهوم «الشرق» عند هؤلاء الدارسين.

● ويلاحظ أنَّ حجم المساعدات في زیادته ونقصانه يتوقف على «التفاتات» حكومية ما إلى أهمية ثقافة ما في مستقبل العلاقات بين هذه الحكومات وهذه الثقافات. ولا يتعارض هذا إطلاقاً مع المساعدات الأخرى التي تقدّمها هذه الحكومات إلى المعاهد والمؤسسات العلمية التي ترتكز في دراساتها على الحال الراهن للمناطق المختلفة، بل تتعارض هذه مع تلك، لتعطي صورةً واضحةً للحكومات المعنية، تنطلق من خلالها في تحركاتها وعلاقتها ومصالحها.

● ورأي هذا منطلقه في إفحام السياسة في دراسة التراث ينبع منه أن يتقبل هذه الدراسات على أنها دراسات صادقة وموضوعية، بحيث تقدم صورة واضحة عن الخلقية التي تدين بها الأمم الأخرى، مما يدعو إلى عدم اتباع أساليب الشك والتكييف في هذه الثقافات. وهي إن وقعت فإنما هي واقعة من دافع ذاتي للدرس أخطأ فيه في فهم نص أو حادثة أو ظروف تمر بالحال التي يدرسها، فأصدر حكمه الخاطئ بناء على فهم خاطئ، وقد تعلمنا أنه إذا كانت المقدمات خاطئة جاءت النتائج خاطئة كذلك. أما تعتمد الخطأ غير وارد هنا، لئلا يتبع ذلك خطأ في رسم التحرّكات وال العلاقات والمصالح والإستراتيجيات وغيرها من المنطلقات السياسية.

● واقع الأمر أن هذا اعتراض وارد حقاً، ويرد عليه محاولة فهم أن هذه الحكومات لا تقدم هذه المساعدات إلا من أجل المضي في الطريق الذي نهجه المستشرون من أكثر من قرنين من الزمان، حينما بدأوا في دراسة التراث، لا سيما منه التراث العربي الإسلامي، إذ إن ما يقوم به هؤلاء الدارسون يشكل حلقة في سلسلة حلقات تكون في مجموعها محاولة إخضاع أهل هذه الثقافة وهذا التراث إلى أسلوب التفكير الغربي في النظر إلى الواقع والأحداث، فإذا تم ذلك أصبح من السهل جداً احتلال أهل هذا التراث احتلالاً فكريًا علمياً،

بعد أن مضى عهد الاحتلال الحضوري المباشر والمؤقت في آن واحد. وتكون الحكومات في هذا قد حققت غرضين مباشرين من الدراسات الاستشرافية: الأول ما يتعلّق برسم الإستراتيجيات، والثاني ما يتعلّق بالاحتلال والهيمنة الفكرية على المدى الطويل.

● في سيل الوصول إلى هذه الأهداف لا بدّ من التنازل عن بعض المفهومات «القديمة» التي تنظر بالسلبية التامة إلى التراث «الأجنبي»، فلا بدّ من الإشادة بين مدة وأخرى بهذا التراث وإشعار الآخرين من أهل هذا التراث أنَّ الأمم الأخرى تحترمه وتحترم أهله وعلماءه ورواده ومفكريه، وتحترم كذلك إنتاجه الفكري فتقتنيه وتحافظ عليه وترجمه وتدرسها وتشرحه وتعلّق عليه.

● هذا الاهتمام المباشر بالتراث من قبل الأفراد والهيئات والحكومات خلَف وراءه فئةً ثالثةً من أولئك الذين يتظرون إلى أعمال المستشرقين ويكونون حيالها موافقٌ واضحةً، تلك الفئة الثالثة الأخرى هي التي رحّبت بالإنتاج الاستشرافي، ونظرت إليه على أنه نصر جديد لهذا التراث، حيث رُزق من يدرسه دراسة «متأنية»، ويزير فيه بعض المأخذ التي تُردُّ إلى الأشخاص، ولا يمكن أن تكون حجَّةً على التراث.

● ويُقْنَن هؤلَاءَ عِنْدَمَا يَعْلَمُونَ مثلاً أَنَّ الْمَعْلَقَاتِ قد تُرْجِمَتِ إِلَى
أَكْثَرِ مِنْ لُغَةٍ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ النَّبِيِّ الشَّرِيفَ قد فَهَرَسَهُ
مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ، وَأَنَّ مَعْنَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قد
تُرْجِمَتِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ مِائَةٍ وَاحِدَى وَعِشْرِينَ لُغَةً، مِنْهَا ثَمَانِي
لُغَاتٍ أُورُوبِيَّةٍ وَأَمْرِيْكِيَّةٍ حَظِيتُ بِخَمْسٍ وَسَبْعِينَ تَرْجِمَةً. وَأَنَّ
مَوْلَّفَاتِ جَابِرِ بْنِ حَيَّانَ وَابْنِ سِينَا وَابْنِ رَشْدَ وَالْبَيْرُوْنِيِّ وَابْنِ
الْهَيْشَمِ وَالْكَنْدِيِّ وَالْغَزَالِيِّ وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَدَبِاءِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالشَّعَرَاءِ وَالْأَطْبَاءِ قد فَسَحَتْ لَهُمُ الْمَكَتَبَاتِ فِي رُفَوْفَهَا. كُلُّ
هَذِهِ الْجَهُودِ تَفْرُضُ الاحْتِرَامَ، وَبِالْتَّالِي تَفْرُضُ الْقِبْولَ
لِلْدَّرِسَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا هؤلَاءَ.

● أَمَا عَنْ أَخْطَائِهِمُ الْوَاضِحَةِ فَإِنَّ هَنَاكَ مِنْ يَعْدُهُمْ وَيَعْتَرِفُ بِهِمْ،
وَلَكِنَّهُ يَرَاهُمْ أَخْطَاءَ بَشَرِيَّةٍ، مُثْلِّ تَلْكَ الَّتِي يَقْعُدُ فِيهَا أَيُّ بَشَرٌ
عَلَى أَيِّ صَعِيدٍ كَانَ، وَعِنْدَمَا تَقْفُ مَعَ هؤلَاءَ وَقْفَةً قَصِيرَةً
تَذَكَّرُهُمْ بِهَا بِأَخْطَاءِ شَاشِتْ وَجُولَدَتْسِيَهُرْ وَمِرْغَلِيُوتْ وَبَارِكْ
وَبِلَاشِيرْ وَلِيفِيِّ وَجَرْسُونْ وَغَرْوَنِيَاوَرْ وَدُوزِيِّ وَكَرَاشِكُوفِسْكِيِّ
وَنُولَدَكَةِ، وَغَيْرُهُمْ يَحَاوِلُونَ أَنْ يَقْنُعُوكَ بِأَنَّهَا مَجْمُوعَةٌ أَخْطَاءٌ
شَخْصِيَّةٌ جَمِيعُهُنَّا فِي مَحاوِلَةِ لِبَخْسِ هؤلَاءِ حَقَّهُمْ!

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلٌ

وَلَكِنَّ عَيْنَ السَّخْطِ تُبْدِي الْمُسَاوِيَا

● وَلَكِثَرٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ طَبِيعَةٌ فَرِيْدَةٌ فِي الْبَحْثِ فِي الْعِلُومِ

والمعارف الإسلامية. فالقاسم المشترك بين هؤلاء جميعهم أنهم لم يكتبوا للإسلام حبًّا في الإسلام وعلومه، وإنما كانت كتاباتهم تتوجّح الإساءة إلى هذه العلوم وأهلها، والدين الذي شجّع عليها، بعد أن شعروا أنَّ هذه العلوم قد غزت أوروبا متسرّبة من مكتبات المسلمين وفكّرهم وثقافتهم وعلمهم. فهم بذلك لا يصطنعون الموضوعية وإن ظهرت في آثار القلة منهم جوانب فيها موضوعية ومعرفة بالحقّ واعتراف لأهله به، إلا أنَّ هذه النوعية من المنصفين مع وجودها لا يمكن أن تكون هي الجانب الغالب على هذه الفئة من الباحثين. ومن أنصف منهم الثقافة الإسلامية وعلومها لم يُعطِه أقرانه الاهتمام الذي يُعطيه من أوجد «نظريّة» جديدة في علم من علوم الثقافة الإسلامية. (١)

• والمستشرقون ذوو إنتاج فكري كبير، فإذا كنا نقف منه موقف الحذرين فإننا لا بدَّ أنْ نسجل الإعجاب بسهرهم الدائب، وبحثهم المستفيض، وتعلّمهم المستمرّ في سبيل أنْ يُحدثوا خدشاً أو خدوشًا في صرح ثقافة رياضية جاءت خدمة للأمة جموعه. هذا الإعجاب بالمجهد الذاتي الذي قاموا ويقومون

(١) انظر: على بن إبراهيم النملة. الاستشراف: موافق وموافق... مجلة الحرس الوطني... مج ٧، ع ٤٤ (شوال ١٤٠٦هـ - يونيو ١٩٨٦م)... ص ٤٤ - ٤٥. وانظر أيضًا هذا النقاش للمؤلّف في: المستشرقون والدراسات الإسلامية... مرجع سابق... (الفصل الرابع... ص ١٨٥ - ٢٣٦).

به لا يُسْعِّل هنا على أنه مسوغٌ لقبول ما جاؤوا به من نظريات جديدة حول تدوين الحديث الشريف والتراث الإسلامي - مثلاً -، ولكنه الإعجاب بالأسلوب والطريقة اللذين أتبعوهما في سبيل الوصول إلى ما وصلوا إليه، موقنين هنا أنهم إنما يخدمون بذلك ثقافاتهم وسياسات دولهم من دون مبالغة، إذ إنهم لم يتركوا جانبًا من جوانب التراث الإسلامي لم يكن لهم عليه ملحوظة، ولم يسلم منهم عالم من علماء الإسلام والمسلمين لم يقدحوا في علميته، بدءاً بالبخاري ومسلم وأصحاب الصحيح والسنن، ومروراً بعلماء الطبيعة والطب والاجتماع والأداب واللغة والجغرافيا والتاريخ.

• فبعضهم لا يقولون لك عن الحديث مباشرةً كلاماً سلبياً، ولكنهم يعمدون إلى رجاله، الذين عدّهم المسلمون ثقاتٍ، وأخذوا عنهم حديث رسول الله ﷺ، فيشكّكون في علميتهم، وطرق جمعهم للمادة العلمية التي كانت أصلاً لإنتاجهم العلمي الذي حفظوا فيه أحاديث الرسول - عليه الصلاة والسلام -، بعد أن اتبّعوا في ذلك أساليب التوثيق في علم الرجال أو الإسناد، التي لم تتوافر لأي ثقافة أخرى. وهم يعمدون إلى ذلك محاكمين جوانب مادّية بحثة، ربما وزنوها بالجوانب المادّية البحثة التي كانت متوفّرة لديهم في الوقت الذي يكتبون فيه عن هؤلاء العلماء الأفاضل، فيبدأون بالتشكيك بأسلوب البحث الشخصي عن رواة الحديث

والسفر إليهم، محتاجين بأن ذلك من الصعوبة بمكان، في وقت لم تكن فيه وسائل المواصلات متاحة آنذاك، وهم بهذا يقيسون مقدرة أولئك العلماء على البحث والتوثيق على مقدارتهم هم فيما لو وجدوا في عصر أولئك العلماء مما يسمى بالإسقاط.^(١)

● هم بهذا أيضاً يغفلون الجانب الروحي الذي كان الحافظ الوحيد أو الرئيسي على أقل تقدير لتدوين العلوم. فمثل هؤلاء العلماء إنما ورثوا العلم عن نبي الله - عليه الصلوة والسلام -، وهم بذلك يرجون ثواب الله ويخافون عقابه. هذا الجانب الروحي مغفل في كثير من تحليلات المستشرقين لاسهامات المسلمين في نهضة الأمم، وذلك لأنهم فقدون لهذا الجانب، حينما شعروا أن خلفيتهم الدينية تمنعهم أصلاً من التوسيع في العلوم وطرق أبوابها، فما كان منهم إلا أن فصلوا بين العلم والدين، كما فصل سياسيوهم بين الدين والدولة.

● وإذا كان بعض منهم يدرك أن الإسلام يحث على العلم، فإنه لا يمس ذلك بحكم خلفيته الدينية، فهو لا يخاف عقاباً ولا يرجو ثواباً من ذلك كله، وذلك للفصل عنده بين جانب

(١) انظر: شوقي أبو خليل. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين -. دمشق: دار الفكر، ١٤١٩ھ/١٩٩٨م -. ٢٤٠ ص.

الثواب والعقاب وجانب البحث العلمي . وعليه فإنَّ إدراكهم لحقِّ الإسلام على العلم والبحث عن الحكمة إنما يظلُّ ثقافةً مدركةً لم تترجم عندهم إلى واقع ، كما ترجمتها علماء المسلمين في إسهاماتهم التي خدمت الإسلام بخاصة ، وانعكست على البشرية بعامة ، وتبعها أو سبقها التطبيق على الواقع اليومي في حياة المسلمين .

❷ إذا كنت أكتب عنهم ذلك فإني أدرك تماماً أنَّ ما كتب عنهم من قبل أكثر من ذلك بكثير مادةً وفائدةً ، ولكني هنا أريد أنْ أنحو منحى آخر غير المنحى الذي تعوَّدنا عليه من المحظوظ من قدر المستشرقين في الكتابات العربية . فالكتابة عنهم بغير لغاتهم تفيض من جانب واحد ، وهو التحذير من أغراضهم وغاياتهم ، لئلا يقع فيها مثقفو العرب والمسلمين ، وكانت لهذا الجانب جدواه وكان له تأثيره ، ولعلَّ الأجرد من ذلك كلَّه أن يُدرسَ هؤلاء من جوانب كثيرة ، تبدأ بدراسة لغاتهم وطرق تفكيرهم وأسلوب بحثهم ، بحيث يتمكَّن المرء الدارس لهذا كله أنْ يكتب لهم عنهم ، راداً عليهم بأسلوب تفكيرهم ، متبعاً بذلك الموضوعية التامة التي لم يتبعوها ، إذ إنه سيجد نفسه أمام حقائق ، وهم يرون أنفسهم أمام نظريات . ويكتب لهم عنهم بلغاتهم ، وينشر عنهم بصحفهم ومجلاتهم ودورياتهم ، مثيراً قضايا أثاروها ، مستشهداً بأعمال كتابوها ، راداً على نظرياتٍ وضعوها وصاغوها ،

وملاحقاً إنتاجهم متبعاً له قارئاً إياه قراءة الناقد الذي يتوقع حسنة فيذكرها ويؤكّد عليها، ويتوقع زلة فلا بد أن يجدها، معطياً إياهم جوانب الإنصاف التي تبدو على كتاباتهم، معترفاً بها لهم، لثلا يتهمنون بأنه متحامل عليهم، فيفسد على نفسه فرصة التأثير فيهم. ولعل هذا من متطلبات الدعوة إلى قيام مفهوم الاستغراب بصورته العلمية الواضحة. ^(١)

● هذا الأسلوب علميٌّ بحثٌ بحد ذاته، وهو في الوقت نفسه يُكسب المرء الثقة من قبل قارئيه، ولو لم يكونوا من أولئك المستشرقين، الذين يهتمُّون بالثقافات الأخرى غير ثقافتهم مثل الثقافة الإسلامية. وفي هذا الأسلوب موضوعية تفرض على الآخرين احترام وجهة نظر كاتبها، وإن كانوا في قرارة أنفسهم لا يحبّذون ذلك. ولكن من يتبع مثل هذا الأسلوب إنما يعمد إلى وضع هؤلاء أمام الأمر الواقع، حينما يُعدُّ نفسه في أسلوب تفكيره وبحثه وكتاباته وكأنه واحد منهم.

● إذا كان من يقوم بمثل هذا متقناً للغة العربية إتقاناً تاماً أو قريباً من التامِّ أمكنه أنْ يعود إلى الموضوعات التي كتبوا عنها، فيقرأها قراءة غير التي قرأوها، ليجد أنهم إنما يفهمون فهماً ي يريدون أنْ يفهموه على ما فهموه عليه، فيعدل

(١) انظر: حسن حنفي. مقدمة في علم الاستغراب.

في فهمهم من النصوص التي استشهدوا بها. وهذا جانب كثيراً ما وقع فيه بعض المستشرقين الذين لم يتقنوا العربية بنحوها وصرفها وبيانها وبديعها، ففهموا نصوصاً فهماً غير مقصود، وبنوا على هذا الفهم قضياتهم ونظرياتهم، ويؤكّد على ذلك ويؤكّده كذلك رجوع بعض من المستشرقين إلى بعض النصوص العربية التي كتبت قبل ظهور فكرة «التنقيط» للحروف، فكان أنْ ساعد ذلك على أنْ يشتبوا في الفهم.

● هذا الأسلوب في الرد على المستشرقين وال الحوار معهم يتطلّب تضافراً لجهود الهيئات والمؤسسات العلمية الإسلامية، بحيث تقيم «جبهة» علمية تكون مهمتها جمع ما كتبه المستشرقون عن الإسلام والمسلمين، ومن ثم تتكلّف من يقومون بقراءة ذلك والبحث فيه والرد عليه بلغة كاتبه أو كتابه، ولو دعا الأمر إلى كتابة الكتب بدلاً من المقالات، إذ إنَّ بعض الموضوعات عند الكتابة عنها تحتاج إلى أكثر من مقالة، في سبيل إقناع المعنيين بالأمر ببطلانها وعدم علميتها أو موضوعيتها.

● هذا إضافة إلى العناية بالمؤتمرات والندوات وتكريم المنصفين من المستشرقين ودعمهم مادياً ومعنوياً، فتوجد هذه المؤسسات العلمية الإسلامية مركزاً للمعلومات تهيأ له الظروف والسبل التي تكفل له أنْ يقوم بهذا العمل النبيل

بشكل فعال، مما يتطلب وجود العالمين بالثقافة الإسلامية واللغات الأخرى، بحيث يجمعون بين هذا وذاك. وهذه النوعية من الباحثين قد لا تكون نادرة، ولكنها ربما تحتاج إلى البحث عنها ودعوتها وإعطائهما ما تحتاج إليه و تستحقه من العناية والتكرير، بحيث يتحول مركز المعلومات هذا إلى مركز للبحث والتنقيب والدراسات العلمية الخالصة.

- إذا كانت نواة مثل هذا المركز المقترن موجودة هنا أو هناك، فالآخرى بالمؤسسات العلمية الإسلامية مدعومةً من قبل حكوماتها والمهتمّين من أبنائها الموسرين أن تعطى مثل هذه النواة العناية التامة، بحيث تعينها على أن تقف على قدميها شجرةً وارفةً مباركة تؤتي أكملها كلَّ حين بإذن ربها.
- هذا في نظر الباحث هو الأسلوب الأمثل لمن يريد أن يؤثّر في اتجاهات المستشرقين، ويخفّف من حدة تهجمهم «العلمي والفكري» والإعلامي على الإسلام وعلماء الإسلام، فهم لا يزالون يقومون بذلك ويكتبون عن ذلك كثيراً، وليس هناك أخطر على الثقافة الإسلامية من أن تُطعن من وراء ظهرها، فتقديم للأخرين بأسلوب يعين على أن تُرى هذه الثقافة من زاوية سلبية بحثة، تقلل من أهميتها وأهمية تأثيرها في العالم.

- والنتيجة أن الاستشراق كما يؤكد محمود حمدي زقزوق في

كتابه: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: «كان ولا يزال جزءاً لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول: إنَّ الاستشراق يمثلُ الخلفية الفكرية لهذا الصراع. وللهذا فلا يجوز التقليل من شأنه بالنظر إليه على أنه قضية منفصلة عن باقي دوائر هذا الصراع الحضاري. فقد كان للاستشراق من غير شك أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوروبيَّة عن الإسلام، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة»^(١) وأنَّ للاستشراق مكانته وتأثيره في تسيير سياسات غربية تجاه الإسلام، كما أنه مؤثِّر في النظر إلى الفكر الإسلامي الحديث، كما يقول محمود حمدي زقزوقي أيضًا: «الواقع الذي لا يمكن إنكاره هو أنَّ الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجابًا أو سلبًا أردنا أم لم نُرد. وللهذا فإننا لا نستطيع أن نتجاهله أو نكتفي بمجرد رفضه وكأننا بذلك قد قمنا بحلَّ المشكلة»^(٢).

● ذلك هو الموقف الذي لا بدَّ من تبنّيه في مواجهة هذا الجزء

(١) انظر: محمود حمدي زقزوقي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. - مرجع سابق. - ص ١٤.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوقي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. - المرجع السابق. - ص ١٤.

من قضية الصراع الحضاري. ولهذا الموقف مقوّماته ودعائمه ووسائله يقوم بها أفراد، ويُتَّظَرُ أنْ تقوم بها مؤسَّسات ودول وأمم. فكان الله في عون أولئك الذين نذروا أنفسهم للتصدي للظاهرة الاستشرافية بعلمية موضوعية وتجرد. وكان الله في عون الجميع.

مراجع الكتاب

- ١ - آربيري، آرثر. المستشرقون البريطانيون / ترجمة محمد الدسوقي النويهي . - لندن: مطبعة وليام كولنر، ١٩٤٦ م.
- ٢ - آرمسترونج، كاربن. النزعات الأصولية في اليهودية وال المسيحية والإسلام / ترجمة محمد الجورا . - دمشق: دار الكلمة، ٢٠٠٥ م . - ٤٢٤ ص.
- ٣ - أبو بصير، صالح مسعود. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن . - بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر . - ص ٦٥ .
- ٤ - أبو خليل، شوقي. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشّرين . - دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م . - ٢٤٠ ص.
- ٥ - أبو زيد، أحمد. الاستشراق والمستشرقون . - عالم الفكر . - مع ١٠، ع ٢ (تموز. أيلول ١٩٨٨ م) . - ص ٢٥٥ - ٢٧٦ .
- ٦ - أحمد، إبراهيم خليل. الاستشراق والتبيشير وصلتهما

بالإمبريالية العالمية. - القاهرة: مكتبة الوعي العربي،
١٩٧٣هـ/١٣٩٣م. - ٢٠٠ ص.

٧ - الإسكندرى، أحمد وآخرون. المفصل في تاريخ الأدب
العربي. - القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٣٤م.

٨ - إدريس، محمد جلاء. الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات
العبرية المعاصرة. - القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٤هـ/
٢٠٠٣م. - ص ٧٧ - ٨٦.

٩ - أركون، محمد. الإسلام - أوروبا - الغرب: رهانات المعنى
وإرادات الهيمنة / ترجمة وإسهام هاشم صالح. - بيروت: دار
الساقى، ١٩٩٥م.

١٠ - أركون، محمد. العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية،
الغرب / ترجمة هاشم صالح. - بيروت: دار الساقى،
١٩٩٦م. - (سلسلة بحوث اجتماعية؛ ٤).

١١ - الأعظمي، محمد مصطفى. المستشرق يوسف شاخت والستة
النبوية. - في: مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية. -
جزآن. - الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. - ١: ٦١ - ١١٠.

١٢ - أنجيلايسكو، ناديا. الاستشراق والحوار الثقافي. - الشارقة:
دائرة الثقافة والإعلام، ١٩٩٩م. - ٩٢ ص.

١٣ - برایسلر، هولفر. أصوليون فقط: ملاحظات حول المسائل
الراهنة في الإسلام المعاصر. - ص ١٤٥ - ١٥١. - في:

- الاستشراق والإسلام / ترجمة وإعداد فالح عبد الجبار . - دمشق: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ١٩٩١ م . - ١٦٧ ص.
- ١٤ - بشير، الشيخ أحمد. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . - في: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقده جامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦ هـ . - الرياض: الجامعة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م . - ص ٤٥٩ - ٤٩٦ .
- ١٥ - البنداق، محمد صالح. المستشركون وترجمة القرآن الكريم: عرض موجز بالمستندات لموافق وأراء وفتاوی بشأن ترجمة القرآن الكريم مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ست وثلاثين لغة شرقية وغربية . - ط ٢ . - بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . - ٢٣٨ ص.
- ١٦ - البهبي، محمد. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . - ط ١١ . - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م . - ٥١٢ ص.
- ١٧ - بوازار، مارسيل. الإسلام اليوم . - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦ م .
- ١٨ - بورجا، فرانسوا. الإسلام السياسي: صوت الجنوب: قراءة جديدة للحركة الإسلامية في شمال أفريقيا / ترجمة لورين فوزي ذكري، مراجعة وتقديم نصر حامد أبو زيد . - الدار البيضاء. تأسيفت: دار العالم الثالث، ١٩٩٤ م .

- ١٩ - بيسكاتوري، جيمس، محرر. الحركات الأصولية الإسلامية وأزمة الخليج / تعریب أحمد مبارك البغدادي. - الكويت: مؤسسة الشراع العربي، ١٩٩٢ م.
- ٢٠ - البيطار، نديم. حدود الهوية القومية: نقد عام. - بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢ م.
- ٢١ - تشارلز، أمير ويلز. الإسلام والغرب: محاضرة صاحب السمو الملكي الأمير تشارلز. أكسفورد: مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، ١٩٩٣ م.
- ٢٢ - التلّ، عبدالله. جذور البلاء. - ط ٢. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م. - ٢٧٩ ص.
- ٢٣ - الجابري، محمد عابد. الرؤية الاستشرافية في الفلسفة الإسلامية: طبيعتها ومكوناتها الأيدلوجية والمنهجية. - في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. - ٢ ج. - الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م. - ١ : ٣٠٥ - ٣٣٨.
- ٢٤ - جريشة، علي. الاتجاهات الفكرية المعاصرة. - المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦ م. - ٣٥٧ ص.
- ٢٥ - جريشة، علي ومحمد شريف الزبيق. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي. - القاهرة: دار الاعتصام، (١٩٧٨ م). - ٢٥٦ ص.
- ٢٦ - جمال، أحمد محمد. مفتريات على الإسلام. - ط ٢. - القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٥ م. - ٢٧٨ ص.

- ٢٧ - الجميل، محمد بن فارس. إجلاء النبي ﷺ لليهود عن المدينة (٢ - ٦٤٢ هـ / ١٤٢٨ م). - في: السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر المنعقد في المدينة المنورة ١٢ - ٩٢ - ٥/٣١ هـ - ٢٠٠٧/٥/١٤٢٨ م. - الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣١ هـ. - ٢٢٣ - ٢٦٦.
- ٢٨ - الجميل، محمد بن فارس. النبي ﷺ ويهود المدينة. - الرياض: مركز الملك فیصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م. - ٣٢٩ ص.
- ٢٩ - الجندي، أنور. التراث الإسلامي والمستشرقون. - الهلال. - مج ٨٤، ع ١٠ (محرم ١٣٩٦هـ / يناير ١٩٧٦م). - ص ٦٠ - ٦٧.
- ٣٠ - الجندي، أنور. الإسلام في وجه التغريب: مخطّطات التبشير والاستشراق. - القاهرة: دار الاعتصام، (د. ت). - ٤٢٩ ص.
- ٣١ - الجندي، أنور. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي. - دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ / ١٩٨٧ م. - ٤٣١ ص.
- ٣٢ - الجندي، أنور. هزيمة الاستشراق في ملتقى الإسلام. - تونس: دار بوسالمة، (١٩٨٥ م). - ٣١ ص.
- ٣٣ - جيسير، فنسان. الإسلاموفobia: المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا/ ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي وقسم السيد آدم بله. - الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م. - ١٩٢ ص.

- ٣٤- الحاج، ساسي سالم. نقد الخطاب الاستشرافي: الظاهره الاستشرافية. وأثرها في الدراسات الإسلامية.. - ٢ مج. . . - بيروت: دار المدار الإسلامي. . .
- ٣٥- الحداد، محمد أحمد مشهور. الاستشراف والمستشرقون. - أخبار العالم الإسلامي. - مج ٢٣ ، ع ١٠٧٤ (ومابعده).
- ٣٦- حسن، شمس إسماعيل. هذا العالم لمن: زيف الإسلاموفوبيا/ ترجمة عزّة خليل وغادة طنطاوي، مراجعة مركز التعریف والتراجمة. - بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢١٤ ص.
- ٣٧- حسن، محمد خليفة. أزمة الاستشراف الحديث والمعاصر. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٣٨- حسن، محمد عبدالغنى. عبدالله فكري. - القاهرة: الدار المصرية للطباعة، (د. ت). - (سلسلة أعلام العرب؛ ..).
- ٣٩- حسين، محمد محمد. الإسلام والحضارة الغربية. - ط ٥ . . - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٤٠- حمدان، نذير. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين. - ط ٢ . . - جدة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م. - ٢٠٧ ص.
- ٤١- حمدان، نذير. في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات. - الطائف: مكتبة الصديق، (د. ت). - ٣٧٥ ص.

- ٤٢ - حمدان، نذير. مستشرقون سياسيون، جامعيون، مجمعيون. -- الطائف: مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م. -- ٢٦٥ ص.
- ٤٣ - الحميد، عبداللطيف. سقوط الدولة العثمانية: دراسة تاريخية في العوامل والأسباب. - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م. - ٩٤ ص.
- ٤٤ - خالدي، مصطفى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد الغربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي. - صيدا: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٢م. - ٢٧٤ ص.
- ٤٥ - الخطيب، عمر عودة. لمحات في الثقافة الإسلامية. - ط ١٠. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م. - ٣٨٢ ص.
- ٤٦ - داغر، يوسف أسعد. مصادر الدراسات الأدبية. - بيروت: المطبعة المخلصية، ١٩٦١م.
- ٤٧ - دكميجان، ريتشارد هرير. الأصولية في العالم العربي. - ط ٣ / ٣. - ترجمة عبد الوارث سعيد. - المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ / ١٩١٢م.
- ٤٨ - دويدار، بركات عبدالفتاح. الحركة الفكرية ضد الإسلام. - مكة المكرمة: المركز العالمي للتعليم الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ. - ٢٤٨ ص.
- ٤٩ - الديب، عبدالعظيم. المستشرقون والتراث. - المحرق (البحرين): مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م. - ٤٥ ص.

- ٥٠ - الراسي، جورج. الإسلام الجزائري: من عبدالقادر إلى أمراء الجماعات. - بيروت: دار الجديد، ١٩٩٧ م. - ٥٧٥ ص.
- ٥١ - رالي، أغسطس. مسيحيون في مكة / ترجمة رمزي بدر. - لندن: دار الوراق، ٢٠٠٧ م. - ٢٥٦ ص.
- ٥٢ - رالي، أغسطس. مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى / نقله إلى العربية حسن سعيد غزالة وراجعه وعلق عليه محمد محمود السرياني ومراجعة نواب مرزا. - الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠ هـ. - ٣١٤ ص.
- ٥٣ - روا، أوليفيه. تجربة الإسلام السياسي / ترجمة نصیر مروة. - بيروت: دار الساقی، ١٩٩٦ م. - ص.
- ٤٥ - الزغبي، أحمد بن عبدالله. الفكر الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي. - ٣ مج. - رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية قدمت لقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٥٥ - زفروق، محمود حمدي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. - الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ١٤٤٥ هـ. - ١٥٦ ص. - (سلسلة كتاب الأمة؛ ٥).
- ٥٦ - زكريا، فؤاد. - الصحوة الإسلامية في ميزان العقل. - القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩ م.

- ٥٧ - زوربي، كارل. نمو تأثير الأصولية الإسلامية في المجتمع المصري خلال حكم السادات. - ص ١٢٩ - ١٤٣ .- في: الاستشراق والإسلام / ترجمة وإعداد فالح عبدالجبار. - دمشق: دار المدى. ٢٠٠٦ م. - ١٦٧ ص.
- ٥٨ - الزيات، فاروق محمد. أهمات المؤمنين. - ميونخ: شركة بفاريا للنشر والإعلام، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م. - ١٩٠ ص. (بالألمانية).
- ٥٩ - السامرائي، قاسم. الاستشراق بين الموضوعية والافتراضية. - الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. - ١٦٨ - ١٩٠ ص.
- ٦٠ - السايغ، أحمد عبد الرحمن. العلاقة بين الاستشراق والتنصير. - أخبار العالم الإسلامي. - مجل ٢٤ ع ١١١ (ومابعده) (١٤٠٩هـ/٢٠ فبراير ١٩٨٩م).
- ٦١ - السباعي، مصطفى. المستشركون: ما لهم وما عليهم. - ط ٣ . - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. - ٦٩ ص.
- ٦٢ - السعد، نورة بنت خالد. التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي: دراسة في بناء النظرية الاجتماعية. - جلة: المؤلفة، ١٤١٨هـ. - ٣٢٠ ص.
- ٦٣ - سعيد، إدوارد. الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء. - ط ٢ / نقله إلى العربية كمال أبو ديب. - بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م، ٣٦٦ ص.
- ٦٤ - سعيد، إدوارد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق / ترجمة

٦٥- محمد عناني. - القاهرة: رؤية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م). - ٥٦ ص.

٦٦- سعيد، إدوارد. تعقيبات على الاستشراق / ترجمة وتحرير صبحي حديدي. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٦٦م.

٦٧- سعيد، نفوس زكريا. تاريخ الدعوة إلى العافية وأثارها في مصر. - الإسكندرية: دار نشر الثقافة، ١٩٦٤م.

٦٨- السفياني، عابد بن محمد. المستشرقون ومن تابعهم و موقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيقاً. - مكتبة المكرمة: مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. - ١٥٠ ص.

٦٩- سمايلوفتش، أحمد. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. - القاهرة: دار الفكر العربي. - ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. - ٧٨٠ ص.

٧٠- السيد، رضوان. الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية. - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. - ٢٧٧ ص.

٧١- شاتليه، ل. الغارة على العالم الإسلامي / لخصلها ونقلها إلى اللغة العربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب. - ط٢. - جلة: منشورات العصر الحديث، ١٣٨٧هـ. - ٢٩٢ ص.

٧٢- شاكر، محمود محمد. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. - القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م. - ٢٥٨ ص. - (سلسلة كتاب الهلال؛ ٤٤٢).

- ٧٢ - شامة، محمد بن. الإسلام في الفكر الأوروبي. - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م. - ٢٧٥ ص.
- ٧٣ - الشرباصي، أحمد. التصوف عند المستشرقين. - القاهرة: مطبعة نور الأمل، ١٩٦٦ م.
- ٧٤ - الشرقاوي، محمد عبدالله. في الفكر الإسلامي المعاصر: الاستشراق، دراسات تحليلية وتقديمية. - القاهرة. - دار الفكر العربي، ١٩٩٣ م.
- ٧٥ - شعبان، أحمد بهاء الدين. حاخامات وجنرالات: الدين والدولة في إسرائيل. - (القاهرة): نوارة للترجمة والنشر، ١٩٦٦ م.
- ٧٦ - الشكعة، مصطفى. مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس. - في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. - ٢ مج. - الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. - ٢ : ٢٧٣ - ٣٤٣.
- ٧٧ - شلبي، أحمد. الاستشراق: تاريخه وأهدافه، شبهات المستشرقين ضدّ الإسلام: مناقشتها وردّها. - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. (د. ت). - ٢١٢ ص.
- ٧٨ - الصغير، محمد حسين علي. المستشرقون والدراسات القرآنية. - ط ٢. - بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م. - ١٣٤ ص.
- ٧٩ - طاشكendi، عباس صالح. الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق

- ١- التراث العربي المخطوط. - عالم الكتب. - مجل ٥، ع ١
 (رجب ١٤٠٤هـ - ١ إبريل ١٩٨٤م). - ص ٥ - ١٤.
- ٨٠- عاقل، نبيه. المستشركون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي. - في: محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي. - الجزائر: وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م. - ص ١٨٥ - ٢١٧.
- ٨١- عبدالفتاح، محمد عبدالحليم. كلام في الممنوع: الاختراق اليهودي للفاتيكان، الموساد - الفاتيكان - وتنصير العالم؛ ملف قاتم وتقارير سوداء. - القاهرة: المؤلف، ٢٠٠٥م. - ص ٢٤٢.
- ٨٢- ابن عبود، محمد. الاستشراق والنخبة العربية. - المجلة التاريخية المغربية. مجل ٩، ع ٢٧ و ٢٨ (١٩٨٢م). - ص ١٩٩ - ٢١٥.
- ٨٣- ابن عبود، محمد. منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي. - في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. - ٢ مجل. - الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. - ٢: ٣٤١ - ٣٩١.
- ٨٤- عبدالحميد، عرفان. المستشركون والإسلام: محاولة أولية لفهم الأسس التاريخية لطبيعة العلاقات الفكرية بين الإسلام والغرب. - ط ٢. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م. - ص ٢٩.

- ٨٥ - عبد الغني، مصطفى. المستشرقون الجدد: دراسة في مراكز الأبحاث الغربية. - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م.
- . ص ١٧٤.
- ٨٦ - عبدالهادي، نوال. لغة الضاد بين التشكيك والتحديث. - المجلة العربية. - ع ١٣٤ (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م). - ص ٩٢ - ٩٣.
- ٨٧ - عتر، حسن ضياء الدين. الاستشراق: نشأته وأهدافه. - مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة. - معج ٤، ع ٥. - (تاريخ) ص ٢٣ - ٥٩.
- ٨٨ - عثمان، محمود عبدالحفيظ. جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي. - الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠١ هـ. - ٢٧٢ ص.
- ٨٩ - العثيمين، محمد بن صالح. الصحوة الإسلامية: ضوابط وتوجيهات / إعداد وترتيب أبوأنس علي بن حسين أبو لوز. - الرياض: دار المجد. ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٩٠ - عدنان، سعيد. تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي لعبدالجبار ناجي. - عالم الكتب. - معج ٥ ع ٥ (رجب ١٤٠٤ هـ / إبريل ١٩٨٤ م). - ص ٢١٢ - ٢١٥.
- ٩١ - عربيي، محمد ياسين. الاستشراق وتغيير العقل التاريخي العربي: نقد العقل التاريخي - ١ - . - الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩١م.

- ٩٢ - عزوzi، حسن. ظاهرة الاستشراق الصحفى. - الوعي الإسلامي. - ع ٤٠٣ (ربيع الأول ١٤٢٠ هـ / يونيو - يوليو ١٩٩٩ م). - ص ٥٨ - ٥٩.
- ٩٣ - العسرى، محمد عبد الواحد. الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى آسين بلاثيوس. - الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م. - ٤٢٠ ص.
- ٩٤ - العشماوي، عبد الرحمن بن صالح. وقفة مع جرجي زيدان. - ط ٢٢. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م. - ١٢٣ ص.
- ٩٥ - العشّة، فرج. نهاية الأصولية ومستقبل الإسلام السياسي. - بيروت: رياض الريس، ٢٠٠٩ م. - ٢١٩ ص.
- ٩٦ - العظم، صادق جلال. ذهنية التحرير: سلمان رشدي وحقيقة الأدب. - لندن: رياض الريس، ١٩٩٢ م.
- ٩٧ - العقاد، عباس محمود. إسلاميات: عبقرية علي. - القاهرة: دار الشعب، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م. - ١٥١ ص.
- ٩٨ - العقاد، عباس محمود. ما يقال عن الإسلام. - القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م. - ٢٢٥ ص. - (سلسلة كتاب الهلال؛ ١٨٩).
- ٩٩ - العقل، ناصر بن عبد الكريم. من قضايا الصحوة: حاجة

الصحوة إلى الفقه في الدين. العلماء هم الدعاة وظواهر
سمات يجب تجنبها. - الرياض: دار المسلم، ١٤١٦هـ /
١٩٩٦م.

١٠٠- العقيقي، نجيب. المستشركون. - ٣ مجل. - ط ٥. - القاهرة:
دار المعارف، ٢٠٠٦م.

١٠١- العلاني، محمد العجمي. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي
القديم: رجيس بلاشير إنموذجاً. - تونس: المؤلف،
١٩٨٨م. - ٢٠٨ ص.

١٠٢- عليان، محمد عبدالفتاح. أضواء على الاستشراق. -
الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. -
١٢٠ ص.

١٠٣- عمارة، محمد. الأصولية بين الغرب والإسلام. - القاهرة:
دار الشروق، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. - ٩٦ ص.

١٠٤- عمارة، محمد. الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري. -
القاهرة: دار المستقبل العربي. ١٩٨٥م.

١٠٥- غراب، أحمد عبد الحميد. رؤية إسلامية للاستشراق. - ط ٢.
- لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ.

١٠٦- غويسلو، خوان. في الاستشراق الإسباني / تعریف کاظم
جهاد. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،
١٩٨٧م. - ص ١٥٣ - ١٦٣.

١٠٧- الفاسي، علال. التبشير أخطر أسلحة الاستعمار. - الهلال

١٠٨- فُرُوخ، عمر. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة.
- في: الإسلام والمستشرقون / تأليف نخبة من العلماء
ال المسلمين. - جلد: عالم المعرفة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. -
ص ١٢٥ - ١٤٣.

١٠٩- فتح الباب، مجدي محمد. موقف المستشرقين من الصحوة
الإسلامية. - القاهرة: دار الروضة، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م. - ص
٦٨ - ٥٠.

١١٠- النبواني، محمد بن إبراهيم. الاستشراق رسالة الاستعمار:
تطور الصراع الغربي مع الإسلام. - القاهرة: دار الفكر
العربي، ١٩٩٣ م.

١١١- القاضي، محمد عبد الرحمن. ميغيل آسين بلاثيوس
MIGUEL ASIN PALACIOS (1871-1944) رائد الاستعراب الإسباني المعاصر. - الرياض: المجلة العربية،
١٤٣١ هـ. - ص ٨ - ١١. - (سلسلة كتاب المجلة العربية؛
١٦٧).

١١٢- القرضاوي، يوسف. الصحوة الإسلامية بين الاختلاف
المشروع والتفرق المذموم: دراسة في فقه الاختلاف في ضوء
النصوص والمقاصد الشرعية. - ط ٢. - القاهرة: دار
الصحوة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

- ١١٣- القرضاوي، يوسف. الصحوة بين الجحود والتطهُّف. -
الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية. -
- ١٤٢ هـ. - (سلسلة كتاب الأمة؛ ٢).
- ١١٤- الكعاك، عثمان. صفحات سوداء من تاريخ المبشرين. -
الهلال. - مع ٨١. ١٠ (أكتوبر ١٩٧٣ م / رمضان ١٣٩٣ هـ).
- ص ٣٨ - ٤٩.
- ١١٥- كيل، جيل. يوم الله: الحركات الأصولية المعاصرة في
الديانات الثلاث / ترجمة نصیر مروة. - ليماسول (قبرص):
دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، تاريخ.
- ١١٦- الكيلاني، إسماعيل. لماذا يزيفون التاريخ ويعيّثون
بالحقائق! . - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧ هـ /
١٩٨٧ م. - ٣٥١ ص.
- ١١٧- لانداو، ديفيد. الأصولية اليهودية: العقيدة والقوة / ترجمة
مجدي عبد الكري姆. - القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٤ هـ /
١٩٩٤ م.
- ١١٨- لمعي، القس إكرام. الاختراق الصهيوني للمسيحية. -
القاهرة: دار الشروق، ٢١٦ ص.
- ١١٩- لويس، برنارد وإدوارد سعيد. الإسلام الأصولي في وسائل
الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية. - بيروت: دار العجيل،
١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ١٢٠- لويس، برنارد. لغة السياسة في الإسلام / ترجمة إبراهيم شتا.
- قبرص: دار قرطبة، ١٩٩٣ م.

- ١٢١- محمود، علي عبدالحليم. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. - في: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.
- من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقده جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ. - الرياض: الجامعة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. - ص: ٣٠ - ١٧٣.
- ١٢٢- مراد، يحيى. معجم أسماء المستشرقين. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. - ٧٤٢ ص.
- ١٢٣- المسيري، عبدالوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. - ط. ٢. - ٢ مج. - القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩م. - ١: ١٥٦ - ١٥٨.
- ١٢٤- مطّقاني، مازن بن صلاح. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م. - ٦١٤ ص.
- ١٢٥- مطّقاني، مازن بن صلاح. الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة. - المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- ١٢٦- مكتب التربية العربي لدول الخليج والمنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. - ٢ مج. - الرياض: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- ١٢٧- المنجد، صلاح الدين. الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله. - الهلال. - مع ٨٢، ع ١٠ (شوال ١٣٩٤ هـ / نوفمبر ١٩٧٤ م). - ص ٢٢-٢٧.
- ١٢٨- المنجد، صلاح الدين. المستشرقون الألمان: ترجمتهم وأسهموا به في الدراسات العربية. - ط ٢. - بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢ م. - ١٩١ ص.
- ١٢٩- المنجد، صلاح الدين. المتنقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية. - ج ١ . - ط ٢. - بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م. - ٢٤٨ ص.
- ١٣٠- منسى، بشاره. العروبة والأصولية الدينية. - بيروت: رياض الريّس، ٢٠٠٧ م. - ص ٣٩-٢٥.
- ١٣١- الميداني، عبد الرحمن حسن جبّكه. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير - الاستشراق - الاستعمار: دراسة وتحليل وتجويمه. - ط ٤ - دمشق: دار القلم، ١٤٠٥ هـ. - ٦٩٨ ص. - (سلسلة أعداء الإسلام؛ ٣).
- ١٣٢- الناكوع، محمود محمد. الصحوة الإسلامية وقضايا للتحاور. - لندن: دار ابن قادمة. ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ١٣٣- بن نبي، مالك. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. - بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م. - ٤٤ ص. - (سلسلة مفاهيم إسلامية).

- ١٣٤- النحوي، عدنان على رضا. الصحوة الإسلامية إلى أين. - ط ٢. - الرياض: دار النحوي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٢م.
- ١٣٥- الندوي، أبو الحسن على الحسني. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين في الموضوعات الإسلامية. - ط ٢. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. - ص ٨٢.
- ١٣٦- الندوي، أبو الحسن علي الحسني. المسلمين تجاه الحضارة الغربية. - جدّة: دار المجتمع، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ١٣٧- النشمي، عجيل. صحوة التدين والواقع المعاصر. - ط ٣. - دبي: جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي، (د. ت). - ص.
- ١٣٨- النظامي، خليل أحمد. عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم. - في: الإسلام والمستشرقون / تأليف نخبة من العلماء المسلمين. - جدّة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. - ص ١٠٣ - ١٢٤.
- ١٣٩- نقرة، التهامي. القرآن والمستشرقون. - في: مناهج المستشرقين في: الدراسات العربية الإسلامية. - ٢ مج. - الرياض: مكتب التربية العربية لدول الخليج، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. - ١٩ : ٥٧.
- ١٤٠- النملة، على بن إبراهيم الحمد. الاستشراق: مواقف

ومواقف. - مجلة الحرس الوطني. - مجل ٧ ع ٤٤ (شوال ١٤٠٦هـ / يونيو ١٩٨٦م). - ص ٤٤ - ٤٥.

١٤١- النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق والإسلام في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٢٤ ص.

١٤٢- النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٥٦ ص.

١٤٣- النملة، علي بن إبراهيم الحمد. إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٤٨ ص.

١٤٤- النملة، علي بن إبراهيم. الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصل من المصطلح. - الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. - ص ٧١ - ٧٢. - (سلسلة الأعمال المحكمة؛ ٩٧).

١٤٥- النملة، علي بن إبراهيم الحمد. التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة. - ط ٥. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٧٠ ص.

١٤٦- النملة، علي بن إبراهيم الحمد. العلاقة بين الاستشراق والاستعمار. - التوباد. - مجل ١ ع ٤ (شوال ١٤٠٨هـ / يونيو ١٩٨٨م). - ص ٣٨ - ٤٢.

- ١٤٧ - النملة، علي بن إبراهيم الحمد. المستشركون والتصصير : دراسة العلاقة بين ظاهريتين ، مع نماذج من المستشرقين المنصرين . - الرياض : مكتبة التوبة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م . - ١٧٨ ص.
- ١٤٨ - النملة، علي بن إبراهيم. المستشركون والستة والسيرة في المراجع العربية . - بيروت : مكتبة بيسان ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م . - ١٥٧ ص.
- ١٤٩ - النملة، علي بن إبراهيم. المستشركون والقرآن الكريم في المراجع العربية . - بيروت : مكتبة بيسان ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م . - ٢٦٩ ص.
- ١٥٠ - النملة، علي بن إبراهيم. مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصادرتهم . - بيروت : مكتبة بيسان ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م . - ٢٦٢ ص.
- ١٥١ - النملة، علي بن إبراهيم. نقد الاستشراق في المراجع العربية . - بيروت : مكتبة بيسان ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م . - ٣٠٣ ص.
- ١٥٢ - النملة، علي بن إبراهيم. نقد الفكر الاستشرافي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة . - الرياض : المؤلف ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م . - ٢٨٠ ص.
- ١٥٣ - النملة، علي بن إبراهيم. هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل . - الرياض : المؤلف ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م . - ٢٣٠ ص.
- ١٥٤ - هارون، عبدالسلام. تهذيب سيرة ابن هشام . - ط ٢ . -

- القاهرة: المؤسسة العربية المحدثة، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م.
- ١٥٥ - هاليدي، فريد. الإسلام والغرب: خرافة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط / ترجمة عبدالإله النعيمي. - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٧ م.
- ١٥٦ - هانتينجتون، صموئيل بي. الإسلام والغرب: آفاق الصراع / ترجمة مجدى شرش. - القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م. - ١٢٨ ص.
- ١٥٧ - هانتينجتون، صموئيل. صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي. - ط ٢ / ترجمة طلعت الشايب. - القاهرة: شركة سطور، ١٩٩٩ م. - ٥٢٠ ص.
- ١٥٨ - هب، غرهد. العرب في المحرق النازية: ضحايا منسيون / ترجمة محمد حديد، مراجعة زياد مدنى. - دمشق: قدمس، ٢٠٠٦ م. - ١٥٣ ص.
- ١٥٩ - هورخروينه، ك. سنوك. صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري / نقله إلى العربية محمد بن محمود السريانى ومراجج بن نواب مرتزا. - مكة المكرمة: النادى الثقافى الأدبى، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م. - ٢ : ١٢ - ١٧.
- ١٦٠ - هورخروينه، ك. سنوك. صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجرى / نقله إلى العربية علي عودة الشيغ، وأعاد صياغته وعلق عليه محمد بن محمود السريانى ومراجج بن نواب مرتزا. - ٢ مج. - الرياض: دارة الملك

عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. - ٧٢٧ ص. - (سلسلة مكتبة
الدارة المئوية).

١٦١- هوفمان، مراد. الإسلام كبدائل. - الكويت. مجلة النور
الكويتية. - ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٦٢- هيربيك، إيفان. الانبعاث الإسلامي المعاصر من منظار
تاريجي: أفكار حول الأزمة والنهوض في الإسلام. - في:
الاستشراق والإسلام/ ترجمة وإعداد فالح عبدالجبار. -
دمشق: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم
العربي، ١٩٩١م. - ص ١١١ - ١٢٠.

١٦٣- وزَان، عدنان محمد. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.
- مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ٢١١ ص. - (سلسلة دعوة الحق؛ ٢٤).

المراجع الأجنبية:

- 1 - Akhtar, Karam and Ahmad H. Sakr. Islamic Fundamentalism -. (s.l.): The Authors, 1982.
- 2 - Dekmejian, R. Hrair. Islam in Revolution: Fundamentalism in the Arab World -. Syracuse: Syracuse University Press, 1985.
- 3 - Esposito, John. The Islamic Threat: Myth or Reality-. New York: Oxford University Press -. 1992.
- 4 - Lewis, Bernard: The Political Language of Islam-. Chicago: The University of Chicago Press., 1988.
- 5 - Piscatori, James. Islamic Fundamentalism and the Gulf Crisis-. Chicago: the American Academy of Arts and Sciences., 1991.

- 6 - Rodinson, Maxime. Europe and the Mystique of Islam/ Translated by Roger Veinus-. Seattle: University of Washington Press., 1991
- 7 - Ruthven, Malise. Islam in the World-. Middlesex: Penguin books., 1984.
- 8 - Said, Edward W.. Orientalism. Middlesex, England: Penguin., 1978.
- 9 - Siddiqi, Shamim A. S. The Revival of the Muslim Ummah-. The Forum for Islamic Work., 1996.
- 10- Yousef, Ahmad bin, and Ahuljobain. The Politics of Islamic Resurgence Through Western Eyes: A Bibliographic Survey. Springfield: The United Association for Studies and Research. Inc., 1992.

السيرة الذاتية للمؤلف

- الاسم: علي بن إبراهيم الحمد النملة.
- مكان الميلاد: البكيرية بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.
- تاريخ الميلاد: ٢/١/١٣٧٢ هـ الموافق ١٩٥٢/١٠/١٩ م.
- التعليم العام: الرياض ١٣٧٧ - ١٣٩٠ هـ.
- الدراسة الجامعية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية. ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م. التخصص: اللغة العربية.
- الماجستير: جامعة فلوريدا الحكومية بتالاهاسي في الولايات المتحدة الأمريكية. ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م. التخصص: المكتبات والمعلومات.
- الدكتوراه: جامعة كيس وسترن رزرف بклиفلاند، أوهايو في الولايات المتحدة الأمريكية. ٤١٤٠ هـ / ١٩٨٤ م. التخصص: المعلومات والمكتبات.

- أستاذ: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- باحث في معهد العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت بألمانيا ١٤٠٥ - ١٩٨٦ هـ / ١٤١٠ م.
- مدير الشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية في واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية ١٤٠٩ - ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- مدير عام الهيئة العامة لجمع التبرعات للمجاهدين الأفغان ١٤١٢ - ١٩٩٢ هـ / ١٤١٢ م.
- عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٤ هـ - ١٤٢٠ م / ١٩٩٤ - ١٩٩٩ هـ.
- وزير العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ - ١٤٢٥ هـ / ١٩٩٩ - ١٤٢٥ م.
- وزير الشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥ هـ / ١٤٢٥ م.
- أستاذ المكتبات والمعلومات بكلية علوم الحاسوب الآلي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- عضو عدد من جمعيات القطاع الثالث.
- باحث في شأن الاستشرافي والتصيري وال العلاقات الفكرية والحضارية بين الشرق والغرب.

الأعمال العلمية:

أولاً: الكتب:

- ١ - الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والuniversalة. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٥٠ ص.
- ٢ - الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظارات ورصد ورافق المكتوب. - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م. - ٣٧٠ ص.
- ٣ - الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصادر ريتهم. - الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. - ٢٦٢ ص. - (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٣).
- ٤ - إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة. - الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. - ١٩٨ ص. - (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٤).
- ٥ - إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفاهيم. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م. - ٢٤٨ ص.
- ٦ - الالتفاف على الاستشراق: محاولات التنصل من المصطلح. -

- الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م . - ١٨٢ ص. - (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٥).
- ٧ - تأملات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحديات. - الرياض: مكتبة العيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . - ٢٥٠ ص.
- ٨ - التنصير في الأديان العربية. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م . - ٢٧٢ ص.
- التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد ورافي للمطبوع . - ط ٢ . - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م . - ٤١٩ ص.
- ٩ - التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته . - القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م . - ١٢٠ ص.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته . - ط ٢ . - الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م . . - ١٥٢ ص.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته . - ط ٣ . - الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م . - ١٦٧ ص.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته . - ط ٤ . - الرياض: المؤلف: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م . - ٢٤٨ ص.
- التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة . - ط ٥ . - بيروت: مكتبة بيسان: ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م . - ٢٧٠ ص.

- ١٠ - ثقافة العبث: سلوكيات عبئية في زمن الفاقة. - الرياض: مكتبة العيكان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م . - ٢٤٥ ص.
- ١١ - الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم. - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . - ١٢٥ ص.
- ١٢ - السعوديون: الثبات والنماء.. - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . - ٣١٤ ص.
- ١٣ - السعوديون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميّز في زمن العولمة.. - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م . - ٢٤٥ ص.
- ١٤ - الشرق والغرب: محفلات العلاقات ومؤثّراتها. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م . - ٢٤٨ ص.
- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحفلاتها. - ط ٢ . -
بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م . - ١٧٣ ص.
- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحفلاتها. - ط ٣ . -
بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م . - ٣٥٢ ص.
- ١٥ - الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسراً. - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . - ١٥٢ ص.
- ١٦ - صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها. -
دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م . - ١٧١ ص.
(سلسلة نقد العقل المعاصر).

- ١٧ - ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات . . . -
 الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م . - ٢١٠ ص . -
 (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ١).
- كُنه الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات . . ط ٢ . -
 بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م . - ٢٤٦ ص.
- ١٨ - العمل الاجتماعي والخبري في منطقة الخليج العربية: التنظيم -
 التحديات - المواجهة . - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ /
 ٢٠١٠م . - ٣١١ ص.
- ١٩ - الفكر بين العلم والسلطة: من التصادم إلى التعايش . -
 الرياض: مكتبة العيكان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م . - ٢٧٧ ص.
- الفكر بين العلم والسلطة: من التصادم إلى التعايش . - ط ٢ . -
 الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م . - ٢٩٠ ص.
- ٢٠ - فكر الانتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات
 والتطبيقات . - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م . -
 ٣٢٤ ص.
- ٢١ - فكر التصدّي للإرهاب: وقفات مع المفهوم والأسباب
 والأوزار . - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود
 الإسلامية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م . - ١١٣ ص.
- ٢٢ - مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات: الميثاقية بين شرق وغرب .
 - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م . - ١٧٧ ص.

- ٢٣ - مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م. - ١٣٢ ص.
- مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. - ط ٢. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م. - ٢٠٠ ص.
 - النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. - ط ٣. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. - ٢٠٤ ص.
 - التجسيم الحضاري بين الأمم في ضوء تناقل العلوم والأداب والفنون. - الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م. - ١١١ ص.
- ٢٤ - المستشرقون والإسلام في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٢٤ ص. - (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٩).
- ٢٥ - المستشرقون والستة والسيرة في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ١٥٧ ص. - (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ١١).
- ٢٦ - المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٦٩ ص. - (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ١٠).
- ٢٧ - المستشرقون وعلوم المسلمين في المراجع العربية. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٥٦ ص. - (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ١٢).

- ٢٨ - المستشركون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر. - ط٢ . - الرياض: مكتبة التوبه، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م. - ١٩١ ص. - (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٢).
- ٢٩ - مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م. - ٥٦ ص. - (ضمّن في كتاب: الاستشراق والدراسات الإسلامية).
- ٣٠ - المكتبات والمعلومات السعودية: وقفات صحافية. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م. - ٢٨٤ ص.
- ٣١ - مصادر المعلومات عن الأدب الجاهلي: رصد ورافي. - الرياض: مكتبة التوبه، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م. - ٢٦٠ ص. - (بالاشتراك مع: أ. د. عفيف محمد الرحمن).
- ٣٢ - المستشركون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهريتين، مع نماذج من المستشرقين المنصرين. - الرياض: مكتبة التوبه، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م. - ١٧٨ ص. - (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٤).
- ٣٣ - مواجهة الفقر: المشكلة وجوانب المعالجة. - الرياض: المجلة العربية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م. - ٣٩ ص. - (سلسلة كُتِّب المجلة العربية؛ ٩). (بالاشتراك مع: أ. د. صالح بن محمد الصغير).
- ٣٤ - نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية. - الرياض:

- ٣٥- مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. - ٣٠٣ ص. - (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٨).
- ٣٥- نقد الفكر الاستشرافي: الإسلام، القرآن الكريم، الرسالة. - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. - ٢٧٩ ص.
- ٣٦- هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهويين والتهويل. - الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. - ٢٣٠ ص.
- ٣٧- ويشر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثراً. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. - ٢٤٠ ص.
- ويشر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثراً. - ط. ٢. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. - ٢٩٨ ص.
- ٣٨- الوراقة وأشهر أعلام الوراقين: دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/١٩٩٠م. - ١٩٠ ص.
- ٣٩- وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية. - الرياض: المجلة العربية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. - ٦٦ ص. - (سلسلة كتيب المجلة العربية؛ ٧٣).
- وقفات حول العولمة وتنمية الموارد البشرية. - القاهرة: مجلة العمل، ٢٠٠٣م. - ٤٦ ص. (سلسلة كتاب العمل؛ ٥٢٥).
- العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية. - ط. ٢. - الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. - ١٧٦ ص.

40- Infrastructure of Information Needs and Resources in the Country of Saudi Arabia: an Assessment-. Ph. D. Dissertation-. Cleveland, Ohio (USA): Matthew A. Baxter School of Information and Library Science, Case Western Reserve University, May 1984 - 280p.

ثانياً: مقالات وبحوث علمية: (مرتبة هجائياً)

- ١ - الاتّجار بالبشر: العلاج بالوقاية. - ورقة عمل مقدمة للحلقة العلمية حول مكافحة الاتّجار بالأطفال بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض محرّم ١٤٢٧هـ/فبراير ٢٠٠٦م. - ١٧ ص.
- ٢ - أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ. - مجلة الجامعة الإسلامية. - ع ١٤٧ مج ٤٢ (١/١٤٣٠هـ - ديسمبر ٢٠٠٨م). - ص ١٦٥ - ٢٠٣.
- ٣ - أثر مؤسسات المجتمع المدني في التعامل مع مؤتمرات المرأة. - البحرين: الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية عن المرأة وأثارها على العالم الإسلامي، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ٢٠ ص.
- ٤ - الإرهاب: المفهوم والهوية. - الكويت: وزارة التعليم العالي، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٥ - الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعلمية. - القاهرة: مؤتمر اتحاد المؤرّخين العرب، ١١/٨/١٤٢٩هـ - ٦/١٤٠٨م. - ٣٨ ص.

- ٦ - الاستشراق مصدراً من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي: قضايا المسلمين المعاصرة، الصحوة «الأصولية». - في: ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي. - الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. - ٣٤ ص.
- ٧ - الاستشراق والإسلام: مقدمة لنقد ورافي «بليور جرافى». - مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. -
- ٨ - الاستشراق والإعجاز في القرآن الكريم: دراسة في النقد الذاتي للاستشراق. - ص ٢٥٣٤ - ٢٥١١. - في: المؤتمر الدولي الثالث: العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والستة بين التراث والمعاصرة ١٤٢٨ - ١٤٢٨هـ الموافق ٤ - ٦ مارس ٢٠٠٧م. - المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- ٩ - الاستشراق والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين تؤثران على فكر الشباب تلقياً وتفاعلاً. - في: المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي. - عمان: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. - ٢٦ ص.
- ١٠ - الاستشراق والقرآن الكريم: مقدمة لنقد ورافي «بليور جرافى». - مجلة البحوث والدراسات القرآنية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة). - ع ٣ (١٤٢٨/١) - ٢٢٩ - ١٩٥م. - ص ٢٠٠٧.
- ١١ - الاستشراق مصدر من مصادر المعلومات عن التراث. - في:

دراسات إسلامية . - بريدة: نادي القصيم الأدبي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م . - ص: ٧٩ - ٩٩ .

١٢- إشكالية المصطلح المُنتَقُول للغربية: نظرة عامة ونماذج . -
(محاضرة) الدمام: منتدى الزامل ، ١٤٣٠هـ / ٢٢ / ٥ - ١٧ / ٥ .
٢٠٠٩م .

١٣- الإصلاح في دور الرعاية (محاضرة). جامعة نايف العربية
لعلوم الأمنية والغرفة التجارية الصناعية بجدة . - ١٤٢٩هـ /
٢٠٠٨م . - ١٠ ص .

١٤- اضطراب المصطلح المُنتَقُول من الآخر: نماذج من مصطلحات
قلقة . - المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا ، ١٤٣١هـ /
٢٠٠٩م . - ٣٧ ص .

١٥- الإعلام وأثاره الإيجابية والسلبية في حياة الأقليات المسلمة . -
في: ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي: فقه
الأقليات ٨ - ١٤١٩هـ / ٤ / ١٠ - الموافق ٣١ / ٧ - ٢ / ٨ .
١٩٩٨م . - ١٨ ص .

١٦- الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة . - أذنبرة: جامع خادم
الحرمين الشريفين بأذنبرة .

١٧- الالتفاف على الاستشراف: محاولة التناصل من المصطلح . -
ص ٧٣٧ - ٧٧٥ . - في: المؤتمر الدولي الثاني:
المستشرقون والدراسات العربية الإسلامية ٤ - ٦ صيف
١٤٢٧هـ الموافق ٤ - ٦ مارس ٢٠٠٦م . - المنيا: كلية دار

- العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. - ص ١٥٦.
- ١٨- أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوقات الإفادة منها. - العقيق. - ع ٢٧ - ٢٨ (رمضان - ذو الحجّة ١٤٢٠هـ). / ديسمبر ١٩٩٩ - مارس ٢٠٠٠م). - ص ٢٥١ - ٢٧٢.
- ونشرت في: بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية المنعقدة في المدينة المنورة في المدة من ٢٥ - ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ. - الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. - ص ٥٤٥ - ٥٧٠.
- ١٩- البطالة والفقر في البلاد العربية وأثرهما على الخطة الأمنية العربية. - ورقة مقدمة في: منتدى الإستراتيجيات الأمنية العربية: الواقع والتطورات الذي عقده جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالخرطوم من ٣ - ٦ / ١٤٣١هـ - ٢١ - ٢٣ / ١٢ / ٢٠٠٩م. - ص ٤٣.
- ٢٠- البنية الأساسية لنظام وطني للمعلومات. - مكتبة الإدارة. - مع ع ١٣ (محرم ١٤٠٦هـ / أكتوبر ١٩٨٥م). - ص ٢٦٣ - ٢٨١.
- ٢١- التجهيزات الأساسية للمعلومات. - مكتبة الإدارة. - مع ١٢ ، ١١ (جمادي الأولى ١٤٠٥هـ / يناير - فبراير ١٩٨٥م). - ص ٣٨ - ٢٣.
- ٢٢- التجار والمسؤولية الاجتماعية. - القصيم. - ع ١١٤ (٣ / ٣ - ٥ / ٣ / ٢٠٠٧م). - ص ١٠ - ١١.

- ٢٣ - التَّصْسِيرُ الْقُسْرِيُّ وَأَثْرُهُ فِي التَّعْدِيِّ عَلَى الْحُرِّيَّاتِ الدِّينِيَّةِ . - الرياض: هيئة حقوق الإنسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م . - ٥٠ ص.
- ٢٤ - تنمية العمل الخيري . - الدوحة: مؤسسة عيد بن محمد آل ثاني الخيرية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
- ٢٥ - تنمية العمل الاجتماعي: تحقيق المسئولية الاجتماعية (محاضرة) . - الدمام: مجلس الحصيني، ١٤٣٠هـ / ٥/١٠ . - ٢٤ ص. ٢٠٠٩/٥/٥ .
- ٢٦ - تنمية العمل الاجتماعي في دول الخليج العربية بين الواقع وتطلعات المستقبل . - لندن: مركز الإمارات للدراسات والإعلام، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م . - ٤٣ ص.
- ٢٧ - الثوابت والإستراتيجيات في الإعلام السعودي . - في: وزارة الإعلام. مسيرة الإعلام السعودي . - الرياض: الوزارة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م) . - ص ١٠١ - ١١٧ .
- ٢٨ - خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية: عرض لما كُتب باللغة الإنجليزية . - حولية المكتبات والمعلومات (قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض) . - ع ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) . - ص ١٠٣ - ١٢٩ .
- ٢٩ - الخدمات المكتبة للمعاين في المناطق الصناعية . - مجلة المكتبات والمعلومات العربية . - مج ٦ ع ٢ (١٤٠٦هـ / ٨) . - ٦٤ ص ٥٥ - ٤/٦ .

- ٣٠ - خواطر حول إدارة العمل الاجتماعي . - الرياض : كلية اليمامة ، (يوم الاثنين ٢٢ / ١٠ / ١٤٢٧ هـ الموافق ١٣ / ١١ / ٢٠٠٦ م) . - ١٤ ص.
- ٣١ - دار الورقة الخليجية . - عالم الكتب . -
- ٣٢ - رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب وال المسلمين . - مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية . - مج ١ ع ١ (محرم - جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ / يوليو - ديسمبر ١٩٩٥ م) . - ص ٣٩ - ٨١ .
- ٣٣ - العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب . - عالم الكتب . - مج ٥ ع ٣ (١٤٠٥ / ١) - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ . - ص ٤٨٣ - ٤٩٢ .
- ٣٤ - علي كُراع النمل . - مجلة الحرس الوطني . - مج ٩٩ ع ٩ (٩٩ / ٩٩) - ١٤٩٩ هـ - ١٩٨٩ م . - ص ٩٩٩ - ٩٩ .
- ٣٥ - العمل الاجتماعي والتحديات المعاصرة . - المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م . - (محاضرة) .
- ٣٦ - العمل التطوعي . الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية . - ١٤٣٠ / ٢ / ١ - ٢٠٠٩ / ١ / ٢٧ . - (محاضرة) .
- ٣٧ - عوامل يلزم اعتبارها عند التخطيط لبرامج المكتبات والمعلومات في المناطق النامية . - عالم الكتب . - مج ٣ ع ١ (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) . - ص ٦ - ١٠ .

- ٣٨ - العولمة الفكرية. - دارين الثقافية. - ع ١١ (١٤٢٣هـ). - ص ٦٦ - ٢٢ .
- ٣٩ - العولمة وتهيئة الموارد البشرية. - الدوحة: وزارة الطاقة والصناعة في ٢٣ - ٢/٢٥ /١٤٢٣هـ الموافق ٦ - ٨ /٢٠٠٢م . - ص ٣٠ . (محاضرة)
- ٤٠ - كتاب الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربع لأبي حامد المقدسي (٨١٩ - ٩٨٨٨) (تحقيق ونشر). - العصور . - مج ٣ ع ٢ (١٤٠٨/١١) . - ص ٣١٣ - ٣٥٨ .
- ٤١ - كُنه الاستشراق: مناقشات في التعريف، والنشأة والدّوافع والأهداف . - في: دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكّم ، ع ١ . - المدينة المنورة: كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م . - ص ٢٢ - ٦٠ .
- ٤٢ - مراصد «بنوك» المعلومات والجامعات العربية . - مجلة المكتبات والمعلومات العربية . - مج ٨ ع ٣ (١٤٠٩/١١) . - ص ٧ - ٢٨ .
- ٤٣ - مستقبل الكتاب المطبوع . - عالم الكتب . - مج ٣ ع ٢ (١٠/١٤٠٢هـ - ١٤٠٢/٧) . - ص ١٦٢ - ١٧٠ .
- ٤٤ - المكتبة الافتراضية والتراث العربي . - الدار البيضاء: الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م . - ٨ ص.

٤٥ - من تجارب العمل الخيري بمنطقة الخليج العربية: المأسسة والعراقة: ورقة مقدمة لفعاليات الملتقى السنوي الثاني عشر لشباب دول مجلس التعاون الخليجي. - القصيم / المملكة العربية السعودية، ٣ - ٢٠١١ / ٢ / ٦ - ٢٠١٣ / ٣ / ٧ - (محاضرة).

٤٦ - مناهج التأثير والتأثير بين الثقافات: الميثاقنة بين شرق وغرب. - أبها: النادي الأدبي بعسير، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م. - ٣٨ ص. (محاضرة).

أ - ونشرت في مجلة بيادر الصادرة عن النادي الأدبي بعسير.

٤٧ - منهج التأثير والتأثير في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: حال العرب والألمان. - ص ٣١١ - ٣٣٦ . - في: المؤتمر الدولي الرابع: الثقافة العربية الإسلامية: الوحدة والتنوع. - ١ - ٣ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ الموافق ٩ - ١١ مارس ٢٠٠٨ م. - المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

٤٨ - منطلقات ثقافية لحقوق الإنسان وإشكالية المصطلح. - باريس: اليونسكو، ١٤٢٩ / ٥ / ١٢ - ٢٠٠٨ / ٣ / ١٢ - ٢٧ ص.

٤٩ - الموسوعة الفِيْكِرِيَّةُ عَبْدُ الْوَهَابِ الْمِسِّيرِيِّ . - (محاضرة) النادي الأدبي بالرياض (السبت ٦ / ٢٠ / ١٤٣٠ هـ الموافق ١٣ / ٦ / ٢٠٠٩ م) . - ٨٠ ص.

- ٥٠ - نظرية المستشرقين للملك عبدالعزيز وجهوده في توحيد المملكة العربية السعودية. - في: بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مئة عام ٧ - ١٤١٩هـ الموافق ٢٤ - ٢٨ / ١١ / ١٤١٩هـ. - الرياض: الأمانة العامة للمؤتمر، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م. - ص ٤٦.
- ٥١ - نقد الاستشراق: مقدمة لرصد ورافي «بليوجرافي». - مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. - ع (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).
- ٥٢ - وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية. - مجلة التعاون الصناعي في الخليج العربي (الدوحة). - ع ٨٩ (يوليو ٢٠٠٢م). - ص ٥٨ - ٧٥.

- 53- Cultural Issues in Human Rights and the Vagueness of Terminology-. Perth, Australia: Center for Studies of Muslim States and Societies, University of Western Australia 2009. - 20p.
- 54- Index of Information Utilization Potential (IUP) as an Information Measure. - Arab Journal for Librarianship & Information Science. - v. 7, no: 3 (7/1987). - p.4 - 14.
- 55- Manpower Deficiency in Saudi Arabia: Its Effect on the Library and Information Profession. - International Library Review 14: 3 - 20 (1982).
- 56- Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World. - Journal of Muslim Social Scientists, 1982. 18p.
- 57- Principles for Planning Library Education Programs

in the Muslim World. - Presented in the First Conference of Muslim Librarians and Information Scientists. Sponsored by the Muslim Students' Association. West Lafayette Indiana: Purdue University 1982. 18 p.

المحتوى

٧	المقدمة
١٥	الباب الأول: الاستشراق: المفهوم والنشأة والدّوافع والأهداف
٤٣	الفصل الثاني: النّشأة والتاريخ
٦١	الفصل الثالث: دوافع الاستشراق والمستشرقين
٧٩	الفصل الرابع: أهداف الاستشراق والمستشرقين
١٠٩	الباب الثاني: علاقـة الاستشراق والمستشرقـين بالاحتلال والتنصـير واليهودـية
١١١	التمهيد
١١٧	الفصل الأول: العلاقات بين الاستشراق والاحتلال
١٣٧	الفصل الثاني: العلاقة بين الاستشراق والمستشرقـين والتنصـير والمنصـرين

الفصل الثالث: الاستشراق في خدمة اليهود واليهودية	١٦٣
الفصل الرابع: الاستشراق والمستشرقون والإحياء الإسلامية	١٩٧
الخاتمة: وقفة أخيرة	٢٣٥
مراجع الكتاب	٢٠٥
السيرة الذاتية المؤلف	٢٨١